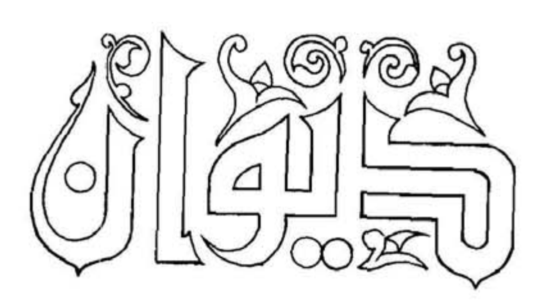






الوزير محمد بن عبد الملك الزيات

المتوفى سنة ٢٣٢ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور جميل سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء
الى
معالي الفاضل
أحمد خليفة السويدي

في يوم من أيام تموّز الحارة ، كنتُ وحدي في قاعةٍ في المجمّع الثقافّي بأبوظبي . كنت منكبّاً على منضدة تكدّست عليها الكتب ، وبيدي ديوان ابن الزيّات ، وعيني فيه . واحسستُ بخُطىً تقترب .. ورفعتُ رأسي ، فاذا معالي السويدي ومعه طائفة من معيَّته ، واقترب بابتسامة المستغرب قائلاً :

أنت هنا ! منذ متى !؟
منذ أسبوع
منذ أسبوع ، ولا نراك !

وجلس معي ، وأشار الى معيَّته بالانصراف ، وتفضّل فسأل .. وسأل عن بغداد .. ثم سأل عمّا بيدي .

كنت عرفت معاليه من قبل أديباً يحفظ الشعر ، ويروع سامعه بإنشاده وبالاستشهاد به ، فرفعت يدي عن الديوان وحدثته عنه ، فأصغىٰ .. ولقي ابن الزيّات منه عطف الوزير الأديب على الوزير الأديب ، وتفضّل بأن يتولىٰ المجمّع الثقافي طباعته .

لازال متفضّلاً على أهل الأدب مشكوراً منهم .

جميل سعيد
أبوظبي في : ٢٧ ذي الحجة ١٤١٠هـ
الموافق : ٢٠ تموز سنة ١٩٩٠م

تقديم

يسر مؤسسة الثقافة والفنون في المجمع الثقافي أن تضع بين أيدي القراء هذا الكتاب «ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات» وهو طبعة محققة ومنقحة حيث سبق للمؤلف الأستاذ الدكتور جميل سعيد أن بحث في هذا الديوان في الأربعينات من هذا القرن لكنه أعاد النظر فيه هذا العام ١٩٩١، قبل وفاته، رحمه الله، بأشهر قليلة، وأجرى الكثير من الإضافات والشروح والفهارس على ضوء ما قام به من تحقيق لمعاني بعض الألفاظ التي وردت في أصل الديوان الشيء الذي أغنى البحث وأضفى عليه روحاً جديدة تساعد القارئ على فهم ما ورد به من أشعار.

والله ولي التوفيق

المجمع الثقافي



تقديـــــم

لم يكن لي أن أكتب مقدمة لهذا الديوان ، إذ قدّمه محققه وشارحه بدراسة حول الشاعر وشعره . وكان دوري يقتصر على مراجعة التجربة الأخيرة عند طباعته .

هذا ماكلفني به أستاذي الدكتور/ جميل سعيد ـ عليه رحمة اللّه ـ قبل رحيله من الامارات العربية المتحدة بسويعات قلائل . وصاحَبَ هذا التكليفَ ، التحيةُ والسلامُ على أمل اللقاء في الامارات ثانية ، وكان يعدّ عدته لدراسات قابلة ، تدور في ذهنه منذ سنين ، وحال دون تحقيقها مشاغل قيادية كثيرة في عدد من الجامعات العربية .

وبعد سفره بأسبوع تلقيت مكالمة هاتفية ، من الاخ الدكتور/ هيثم جميل سعيد :

- هناك خبر مؤلم !.
- خيراً إن شاء اللّه .
- والدي انتقل الى رحمة اللّه .
- لا حول ولا قوة الا باللّه . متى كان ذلك ؟
- أوّل أمس ، ١٩٩٠/١٢/١ .
- وكيف كان هذا ؟.
- بالسكتة القلبية ، وهو يقود سيارته ، عائداً من المجمع العلمي العراقي .
- انا للّه وانا اليه راجعون . وعظّم اللّه أجركم ، وألهمنا واياكم الصبر والسلون على فقده . فقد كان نعم الأب لي ولكم .

وقع عليّ الخبر كالصاعقة ، وأُصبت بوجوم ما بعده وجوم . فقد كان بيننا قبل أيام وكله حيوية ونشاط ، ولكنه الأجلُ انتهى ، ولارادَّ له . وعادت بي الذكرى الى سنين خلت عشتها معه ، وشاء لها القدر أن تتوثق مع الأيام .

تعود صلتي باستاذي المرحوم ـ الى عام ١٩٦٧ ، حين كنت في السنة الثالثة بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ـ جامعة بغداد . إذ عرفتــه في قاعة الدرس ، وهو يدرّسنا النقد الأدبي القديم ، وشدني لدرسه ، أنه كان يثير فينا ـ نحن الطلبة ـ روح الجدل والحوار ، بطريقته في عرض المادة . والنقد الادبي القديم عند العرب ـ في عصر الرواية خاصة ـ كان يساعده على هذا الاسلوب ، إذ وصلنا النقد عن طريق الرواية ، والرواية فيها توثيق ، وتدقيق ، وتزيد ، وتلفيق ، وتزوير أيضا ، وكان أستاذنا يوجهنا لهذا ، ويطلب منّا أن نعرض هذه الروايات على العقل ، وأن نأخذ منها ما يقبله العقل ، ويدعمه الدليل ، وأن نبتعد عن ما لايقبله العقل ويعوزه الدليل . ومنذ

ذلك الوقت اتجهت اتجاها مغايرا لما كنت عليه في تناول المادة ودراستها وتحليلها .

وانتهت دراستي الجامعية الاولى عام ١٩٦٨ ، والتحقت في العام نفسه بدائرة الماجستير بجامعة بغداد ، وفي السنة التمهيدية التقيت أستاذي من جديد .

وكان في تدريسه لطلبة الماجستير يختار في كل عام موضوعا جديدا ، يدرّسه لهم ، ويكون مدخلا للتعرف على موضوعات بكر ، لم يتناولها الدارسون من قبل ، أو مُسَّتْ مسّاً وهي بحاجة الى دراسة وتعمق . وكان الموضوع الذي اختاره في ذلك العام (١٩٦٨ ـ ١٩٦٩) هو «لغة الشعر» تعرفنا من خلاله على الفرق بين لغة الشعر ، ولغة النثر . وعلى طبيعة لغة الشعر السهلة ، ولغة الشعر الصعبة ، وماهي العوامل التي تساعد الشعراء على أن يتجهوا الى أي منهما . ثم تعرفنا فوق كل هذا على منهج أصيل في البحث ، وذوق رفيع في اختيار النصوص . وكان هذا معيننا الذي زَوَّدنا به وأعاننا على البحث والدرس الدقيقين فيما بعد .

وانتهت السنة التمهيدية ، وكان لابد من اختيار موضوع للرسالة ، واتفاق مع أستاذ للاشراف ، وما كان أمامي ـ رغم كثرة أساتذتي بجامعة بغداد ، واجلالي لقدرهم ـ الا أن اتجه للدكتور جميل سعيد ليشرف عليّ ، ويعينني على اختيار موضوع للرسالة . وتم الاتفاق بيني وبينه على أن يكون موضوع الرسالة «الحنين الى الوطن في الادب العربي حتى نهاية العصر الاموي» . وعلى مدى ثلاث سنوات ، اتصلت بأستاذي من قرب ، وتعلَّمت منه الكثير الكثير : المنهجَ ، والعلمَ ، والتجربةَ ... والوفاء .

وفي عام ١٩٧٢ أنهيت دراستي للماجستير ، والتحقت بالعمل في جامعة قسنطينة بالجزائر ، وبالدراسة للدكتوراه في جامعة عين شمس بالقاهرة ، واستمرت العلاقة بيننا ، لم تنقطع ، بل ازدادت قوة . وتخرجت في جامعة عين شمس ، وتحولت للعمل بجامعة قاريونس بليبيا عام ١٩٧٧ ، وبقيت فيها الى عام ١٩٨٠ ، وهو تاريخ التحاقي بجامعة الامارات العربية المتحدة . وتجدد اللقاء مع أستاذي في كلية الآداب ، وعادت الذكريات ، واتصل الود الممزوج بالعاطفة المرهفة ، عاطفة الاب تجاه ابنه ، وبر الابن بأبيه . وقد كان الاب سعيدا بابنه ، والابن فخورا بأبيه . وقد لاقى كل منهما عنتا ، وضيقا ، وحسدا ، لهذه العلاقة النبيلة ، والوفاء النادر ، في زمن عزّ فيه النبل ، وندَّ عنه الوفاء . وصبر كلٌّ منهما على الضيم ، وفاز كل منا بصاحبه ، وهُزم الحاسدون .

هذه لمحة عابرة شدَّني اليها طيفُ أستاذي وأنا أتجرَّع هول الصدمة ، والمصاب

الجلل ، الذي ألمّ بي بفقده . وأرجو أن يتاح لي الظرف الذي أكتب فيه سيرته وسيرتي معه في دراسة خاصة . والى أن يتحقق هذا فاني أشير الى شيء من سيرته العلمية في الذاكرة ، أثير بها الدارسين ، وأعرِّف بجانب من آثاره .

كانت ولادته بمدينة عانة في غربي العراق سنة ١٩١٦م ، وبها تلقّى تعليمه الأولي ، انتقل بعدها الى مدينة بغداد ، وتخرج في دار المعلمين العالية بقسم اللغة الانجليزية .

سافر للقاهرة خلال الحرب العالمية الثانية ، والتحق بقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة فؤاد الاول ـ آنذاك ـ وحصل على درجة الماجستير عام ١٩٤٥ في موضوع «تطور الخمريات في الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى عصر أبي نواس» . كما حصل على درجة الدكتوراه في الجامعة نفسها عام ١٩٤٧ في موضوع «الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين» . وأشرف على الرسالتين الدكتور/ أحمد أمين .

عاد الى بغداد وعمل بقسم اللغة العربية . وبقيت صلته بهذا القسم منذ ذلك الوقت الى أن وافته المنية .

تقلد عددا من المناصب الاكاديمية بجامعة بغداد ، إذ عمل رئيسا لقسم اللغة العربية ، وعميدا لكلية الشريعة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ ، وعميدا لكلية الآداب ١٩٦٤ ـ ١٩٦٨ ، ورئيسا لدائرة الماجستير في اللغة العربية . واختير عضوا عاملا بالمجمع العلمي العراقي مايزيد على ربع قرن .

تنقل في الجامعات العربية والعالمية زائرا ، ومدرسا ومحكما . فعلى الصعيد العالمي عمل أستاذا زائرا مدة عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ، بجامعة برنستون بأمريكا ، وأستاذا زائرا مدة عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ بجامعة جون هوبكنز بأمريكا أيضا .

وعلى الصعيد العربي عمل ثلاثة أعوام رئيسا لقسم اللغة العربية بالجامعة الليبية ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ . وعمل عاما بجامعة الملك سعود ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ وثلاثة أعوام أخرى ١٩٨٤ ـ ١٩٨٧ . وعمل رئيسا لقسم اللغة العربية ، وعميدا لكلية الآداب بجامعة الامارات العربية المتحدة خمسة أعوام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤ .

وانتدب ممتحنا خارجيا بجامعة الخرطوم ١٩٦٧ .

وكان محاضرا بمعهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية عام ١٩٥٦ و ١٩٦٩ .

وهو عضو عامل بمجمع اللغة العربية الاردني . وزار عددا من الجامعات العالمية في الصين والاتحاد السوفياتي والجزائر .

واختير محكما لسنوات بجائزة الملك فيصل العالمية ، وجائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .

أما آثاره ، فتوزعت بين التأليف والترجمة والتحقيق ، وقد كان التأليف هو الغالب على هذه الآثار . فترك في باب التأليف دراسات وبحوثا منها : .

ــ في الدراسات .

- الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين .
- دروس في البلاغة العربية وتطورها .
- تطور الخمريات في الشعر العربي حتى عصر أبي نواس .
- التيارات الادبية المعاصرة في العراق .
- الزهاوي وثورته في الجحيم .
- محمد بن عبدالملك الزيات .
- فلسطين في الشعر العربي المعاصر .
- العروبة في شعر الابيوردي .
- معجم لغات القبائل والامصار ، بالاشتراك مع الدكتور/ داود سلوم .
- نصوص النظرية النقدية عند العرب بالاشتراك مع الدكتور/ داود سلوم

ــ في البحوث :

- النابغة الذبياني ناقدا .
- لغة الشعر العربي .
- عمر بن الخطاب في توجيهه للأدب والنقد الادبي .
- ابن جني والجرجاني في دفاعهما عن المعنى .
- من حديث الماء في الشعر العربي .

- المائدة في الادب العربي .

- المسنون والشيخوخة في الادب العربي .

بالاضافة الى عدد غير قليل من البحوث التي نشرها في المجلات العلمية والثقافية ، وفي مقدمتها مجلات : الأستاذ ، والأقلام ، ومجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ، ومجلة المجمع العلمي العراقي .

ـ أما التحقيق ، فحقق الكتب التالية :

- الوشي المرقوم في حل المنظوم لابن الاثير .

- ديوان محمد بن عبدالملك الزيات .

الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور لابن الاثير بالاشتراك مع الدكتور/ مصطفى جواد .

- خريدة القصر وجريدة العصر - القسم العراقي - للاصبهاني بالاشتراك مع الاستاذ/ محمد بهجت الاثري .

ـ وله من الكتب المترجمة :

- عقدة اوديب

- انا كريستي ليوجيل اونيل .

وان هذه الآثار نشرت في فترات متباعدة ونفدت طبعاتها ، الامر الذي يدعو الى اعادة طبعها ، ولمّ شتاتها ، ولعل المجمع العلمي العراقي ، هو خير من ينهض بهذا العمل ، إحياء لذكرى أحد أعضائه العاملين فترة طويلة ، وتكريما له ولامثاله من العلماء والباحثين .

وبعد،،،

فقد قمت بمراجعة الديوان ، وعملت على تقويم ما فيه من مشكلات نتجت عن الطباعة ، أو كانت مستغلقة بدايةً ، لأن المرحوم ، اعتمد نسخة مخطوطة واحدة في التحقيق ، كثر فيها التصحيف والتحريف . كما قمت باثبات بحر كل قصيدة في مقدمتها . فان ظهر في الديوان خطأ فتبعته تقع عليّ ، وما فيه من إنجاز فمرده لمحققه وشارحه .

واني بوضع هذا التقديم بين يدي الديوان ، تطلعت الى أمرين :

أولهما أن أبث فيه ألما وحسرة يعتصران نفسي ، لما ألمّ بي بفقد أستاذي الذي نعمت بقربه ، وشملني بعطفة ورعايته ، فترة غير قصيرة من الزمن وكان مصابي فيه أشبه بمصاب الابن بأبيه .
وثانيهما أن ألقي ضوءا على سيرة هذا الاستاذ الجليل ، والمربي الفاضل ، معرّفاً به وبآثاره التي لا يعرفها الكثيرون بما فيها من أصالة ، وتعدد جوانب .

وقبل أن أضع القلم جانبا ، بعد خطّ هذه السطور ، أشعر أنه بقيت في العين دمعة ، والنفس غُصَّة ، لاني لم أبلغ المراد في التعبير على حالي ، وهل لي ذلك ؟ إني أنشد المستحيل !.

ومالي ـ والامر كذلك ـ الا أن أفزع الى الشاعر الجاهلي الذي ردّدَ قوله في قيس بن عاصم عند فقده :

وما كان قيسٌ هلكُهُ هلكُ واحدٍ
ولكنهُ بنيانُ قومٍ تَهَدَّما

وما كنت بعيدا عن هذا الذي عبّر عن شاعرنا القديم ، في موقفي مع أستاذي الدكتور/ جميل سعيد ، عليه رحمة الله .

- العين في أول أيام رمضان المبارك ١٤١١ هـ .
الموافق : ١٧ مارس ١٩٩١ .

محمد ابراهيم حوّر

دراسة تفصيلية
لحياة ابن الزيات وشعره



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيّدنا محمد ، سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فهذه جوانب من حياة ابن الزيات الاجتماعية والسياسية والثقافية والأدبية ، ألممنا بها مفصّلين بعض التفصيل الذي رجونا به ان يكون عوناً للقارىء على الإحاطة بما يتعلق بديوان ابن الزيات ، وعلى استجلاء شعره .

يقول عنه السمعانّي في الانساب : «هو أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن أبان بن أبي حمزة البغداديّ» وزاد المرزباني في الحديث عنه في معجم الشعراء[١] بأن قال : «أصله من أهله دسكرة جبّل من النهروان الأسفل» ، وروى له بيتين من الشعر يشيران إلى أنه أعجمي . ونحن لم نر البيتين هذين مثبتين في ديوانه ، كما لم نر من يرويهما له غير المرزباني هذا .

وسيرة ابن الزيات على النحو الذي اطلعنا عليه ، لا تترك مجالا للظن بأنه أعجميّ . لقد مدح الرجل في أول حياته الحسن بن سهل ، ومدح أخاه الفضل بن سهل ، وهما من هما من الفرس في مكانتهما في التسلّط على الخليفة المأمون ، وفي السيطرة على بلدان الخلافة . وكانت قصيدتاه[٢] فيهما أطول قصائد المديح المرويّه في ديوانه ، وقد أطرى الفرسَ ترضيةً وتقرّباً اليهما ، وكان بوسعه أن يشير الى أنه فارسيّ أيضاً ، توسلاً للسعة في جائزة المديح ، ولكنه لم يفعل هذا .

وقد ذهب صاحب أمراء البيان[٣] إلى أنه عربّي ، وكأنه أراد أن يؤكّد هذا ، فقال : «هو عربيّ ، بأصوله ، ولد ونشأ ببغداد» .

---

١ ـ معجم الشعراء ، ص٤٢٥ط : مكتبة القدسي ـ القاهرة .
٢ ـ القصيدة رقم : ١ والقصيدة : ١١١ .
٣ ـ أمراء البيان ـ محمد كرد علي ، ١/ ٢٨٠ .

إن سيرة ابن الزيات ترينا أنه كان كثير الاعتداد بشخصه . وعندنا إنه ، وقد ساس الدولة العباسيّة نحواً من أربعة عشر عاماً ، وَوَزَر وزارة متصلة لثلاثة من الخلفاء ، لو شاء أن يخترع لنفسه نسباً في العرب ، أو في الفرس ، أو في الترك ، لما أعجزه ذلك . لقد انتسب بشار بن برد مثلاً الى «قريش العجم» كما سمّاهم ، مع أنه مولىً وأبوه طيّان وأخوه قصّاب . وإننا لا نرىٰ في ديوانه هذا ، ولا في سيرته أنه يفتخر بالانتماء لعائلة أو قوم أو جنس أو بلد . وهو عندنا عجب في صفاته هذه التي اجتمعت فيه : إنه تاجر ، عالم ، أديب ، كاتب ، شاعر ، وزير مدبّر حازم . ومع هذه الصفات الكثيرة التي قلَّ أن تجتمع في فرد واحد ، فإنه كان عَلَماً في كلّ منها ، وربّما كان في قابلّيته الشعرية ، التي نقدّم ديوانه هذا بها ـ أقل منه في غيرها من صفاته التي أشرنا إليها .

عصره وحياته

أدرك ابن الزيات أواخر أيام الرشيد ، وهو في أول شبابه ؛ كان في نحو العشرين من العمر ، يقول ابن طباطبا عن الرشيد[١] : «لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء ، والفقهاء ، والقضاة ، والكتّاب ، والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد» . وكانت خزائن الرشيد تفيض بالمال . وبغداد كانت جنّة الدنيا في عصره ، كانت مقصد طلاب العلم والفضل والثراء ، كما كانت مقصد طلّاب اللّذة والمتعة . وقد قُدّر لابن الزيات ، وبغداد موطنه وعصر الرشيد وما بعده عصره ، أن يأخذ حظّه بأوفر نصيب من هذا كله . جرىٰ مع أهل العلم والأدب فكان العالم الأديب ، الكاتب الشاعر . وجرىٰ مع أهل اللذة والمتعة فكان أبو نواس ـ الذي أدركه ابن الزيات وهو في أوّل شبابه ـ رائده في حياته اللاهية ، وفي شعره الماجن المعبّر عن هذه الحياة . ونرىٰ أن نلمَّ بالحديث بما نراه معيناً على استجلاء شعره في ديوانه هذا .

---

١ ـ الفخري في الآداب السلطانيّة ؛ ص ١٧٧ .

حرفة أسرته

قال السمعانّي في الانساب في حديثه عن الزيات[1] : «وهذه النسبة الى بيع الزّيت .. وكذلك الى جلبه ونقله من بلد الى بلد» ثم عدّد المشهورين بجلبه ونقله ، وقال : «ومنهم أبوجعفر محمد بن عبدالملك بن أبان بن أبي حمزة البغداديّ ، المعروف بابن الزيات» . وشهر محمد بن عبدالملك بابن الزيات . ويبدو أن الألقاب أو الصفات غير المستحسنة هي التي تكون أكثر لصوقاً بالذين يتلقبون بها . ويكفي أن نقول : أن أبا الطيب ، أحمد بن الحسين الشاعر ، لُقّب بالمتنبّي ، وأيّ سُبَّةٍ أكثر من هذا في العالم الاسلامي !؟ وكذلك كان الشأن في «ابن الزيات» . لقد اتخذ منافسوه من لقبه هذا وسيلة لهجائه .. يجمع خصمه أو منافسه أحمد بن أبي دؤاد الشعراء يغريهم بهجائه ، ويقولون .. ثم يقول لأحدهم :[2]

أحسن مِنْ خمسين بيت سدى جمعك معناهنَّ في بيت
ما أحوج الملك الى مطرةٍ تذهب عنّا وَضَر الزيت

ويهجوه علي بن جبلة الشاعر المعروف بالعكوّك ، فيفتتح أبياته بقوله :[3]

يا بائع الزيت ! عَرِّجْ غير مرموق
لتشغلنّ عن الأرطال والسوق

وفي أخبار ابن الزيات : أن الكتنجيّ مرَّ به وسلَّم ، ولم يلتفت اليه فقال بعد انصرافه[4] :

---

١ ـ الأنساب ؛ ٦/٢٥٥ . ط : المعارف العثمانية في الهند

٢ ـ انظر : ق٩٦ ، والتعليق عليها .

٣ ـ انظر : ق٩٦ والتعليق عليها .

٤ ـ الأغاني ؛ ٢٢/٤٧٧ .

هذا وأنت ابن زياتٍ تصغّرنا   فكيف لو كنت يا هذا ابن عطّار

ومع أن الحرفتين هي تجارة ، إلا أننا نرىٰ الناس يفضّلون الاتّجار بالعطر على غيره ، لقد تحدَّث ابن قتيبة عن صناعات الأشراف ، في كتاب المعارف ، وبيّن أنّ أبا طالب ، والد الخليفة الامام عليّ بن إبي طالب رضي الله عنه ، كان عطّارا . ومشهور قول الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : لو كنت تاجراً ما اخترتُ غير العطر ، إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه» .

نقول : هذا موقف خصوم ابن الزيات منه ، امّا محبّوه فإنهم يتجافون عن لقب الزيّات هذا ، وكان الخليفتان ؛ المعتصم والواثق لا يلحقان لفظة الزيات في خطابه أو تسميته .

ولنا أن نعّقب على حديثنا هذا بأن نقول : لقد ساس ابن الزيات الخلافة نحواً من أربعة عشر عاماً ، ويكفيه فخراً ألّا يجد منافسوه والحاقدون عليه ، ما يهجىٰ به من ظلم أو عسف أو رشوة أو .. غير سبابه بابن الزيّات . وهي حرفة قد تكون غير محبّبة لمحترفيها ، ولكنها على أيّة حال ليست نقيصة تستوجب المذمّة لمحترفها .

أبوه تاجر ثري

يقول صاحب الأغاني في الحديث عن محمد هذا : «أما أبوه عبدالملك فكان تاجراً من تجار الكرخ المياسير . ويروىٰ عن عبدالله بن محمد بن عبد الملك قوله[١] : «لما وثب ابراهيم على الخلافة ، اقترض من مياسير التّجار مالاً ، فأخذ من جدّي عبدالملك عشرة آلاف دينار» .

ومعلوم أنّ ابراهيم بن المهدي ثار على الخليفة المأمون ، والمأمون في خراسان ، وصار ابراهيم يُدعىٰ له بالخلافة ، وهو الخليفة ببغداد .

ويبدو لنا أن عبدالملك الزيّات هذا قد استغنى ، وقد يكون جاوز تجارة الزيت الى غيره ، ولعلّه استفاد بتجارته في أيام الحرب بين الأمين والمأمون ؛ إذ كانت ساحات وقائعها بغداد ؛ وكان فيها قَطع للطرق ، وحصار للبيوت وصادرات للغلّات والأطعمة . وعندنا ان التجار ما لم يُنتهبوا جملة يكونون هم أهل الربح في حالات الحرب هذه . لقد قالوا عن الأمين الخليفة انه اضطر في الحصار لبيع ما في قصوره من تُحف لتوفير المال لجنده المحارب . تُرىٰ من يشترى هذه التحف ، وبالثمن الرخيص ، غير التّجار !؟ ومن يبيعها ، وبأغلىٰ الأثمان ، حين تهدأ الدنيا غير التجار أيضاً !؟ . نقول : لعلَّ عبدالملك الزيّات كان هذا التاجر المستفيد ، وهذا ما نظنّه من أخباره وأخبار ابنه محمد .

---

١ ـ الأغاني ؛ ٤٦٣/٢٢ .

ابن الزيات في حياته اللاهية

يقول الجاحظ ؛ صديق ابن الزيات وصاحبه :[١] «دولة بني العبّاس أعجميّة خراسانية» ويقول أبو الفرج ، وهو يتحدث عن الشاعر بشار بن برد :[٢] «فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه» فتراه سمّاها «دولة أهل خراسان» . وواضح ان الجاحظ وأبا الفرج إنّما أرادا الاشارة الى النفوذ الفارسيّ الذي اصطبغت به دولة بني العبّاس ، وكانت دولة بني أميّة خالية منه .

نقول : ومن المعروف ان الفرس أمّة عكفت على الشراب ، وجعلت شرب الخمر شعيرةً من شعائر ديانتها المجوسيّة ، وكان الفرس المجوس يكرّمون أعيادهم بشرب الخمر ، كما يكرّم المسلمون ليالي القدر بالاحسان والصدقات . وقد لجّوا بالشراب ، حتى قال هيرو دوت عنهم : انهم يُصرّفون أمور الدولة وهم سكارى . ومن هنا انتشرت الحانات وعاون على انتشارها أنْ أحسن المسلمون معاملة أهل الذّمة ؛ اليهود والنصارىٰ ، وأن اعتبروا المجوس مثلهم في هذا ، فكانت تجارة الخمر ممّا شهروا به . وَوَجّههم اليها أن كان دينهم يحلّها لهم ، وأن رأوا أنفسهم في مأمن من منافسة المسلمين لهم في هذا الميدان . وهكذا فتحوا الحانات ، وصار يديرها منهم رجال ونساء ، حتى روىٰ الجاحظ :[١] «من تمام آلة الخمّار أن يكون ذمياً مختوم العنق» .

وأقبل أهل المجون من المسلمين على حاناتهم يشربون ويتحدثون عن الخمر ، وكان أبو نواس ـ وهو الشاعر الذي أدركه ابن الزيات في عنفوان شبابه ـ شيخهم في هذا .

---

١ ـ البيان والتبيين ؛ ٣/٣٦٦ .
٢ ـ الأغاني ؛ ٣/٢١٢ .
٣ ـ البيان والتبيين ؛ ٢/٣٠٦ .

أدرك ابن الزيّات هذه الحياة اللاهية ، وأدرك نقيضها أيضاً ؛ أدرك الحرب وفيها القتل والنهب والسلب ، والحرق والخراب والدمار ، وكان هذا في أول عهد الأمين في حربه مع المأمون ، وفي أول عهد المأمون وانتقاض عمّه ابراهيم بن المهدى عليه .

كانت الحروب في أول أيام بني العباس تقع بعيدة .. وكان أهل بغداد لا يعرفونها إلا بأخبارها . أمّا هذه فكانت بغداد وضواحيها هي الساحات لها . ومعلوم أن الناس في أيام الحروب يكونون عادة في حالات من اللا مبالاة ؛ يتحرّرون فيها من كثير من العادات الاجتماعية ، وقد يتهاونون بالاحتشام وينطلقون الى الشراب .

نقول : شهد ابن الزيّات هذا كلّه ، وسار فيه سيرة أبي نواس في قوله :

رأيتُ الليالي مرصدات للذّتي فبادرت أيامي مبادرة الدهر

ومدَّه في حياته هذه مال وفير ، وشباب متدفّق الحيويّة ، وهيئة حسنة ، كان يشير اليها بأشعاره[1] . وسار في هذه الحياة اللاهية ، وراح يعلن في ديوانه عن مجالس خمر وغناء كمجالس أبي نواس[2] .

ويكثر الحديث عن ندماء مجالسه ، شأن أهل الخمر الذين يتعلّقون بندمائهم تعلّقهم بخمورهم .[3]

وقد يشير بشيء من الدعابة والتبرّم الى ندماء ثقال ، يحضرون مجلس الشراب معه ، يقول في قصيدة :[4]

---

١ ـ القصيدة ٣٠ .
٢ ـ القصيدة ٧١ .
٣ ـ ق : ١٢٧ .
٤ ـ ق : ٣٣ .

فـديتـك إن شربـي في كنيف ونـدمـاني البعيـد من الظـريف

وفي كثير من قصائده يفكر بذكر أسماء الفتيات اللواتي يحضر مجالسهن ، ومنهن : عُذر ، ولبان ، وغُلَيم ، وقضبان . ولا نظن أن هذه الاسماء اختيرت للكناية بها ؛ على نحو ما يفعل الشعراء في التكنية : بهند ، أو سلمىٰ ، أو ليلىٰ أو سعدىٰ عن حبيباتهم .

وقد يُعلن غير محتشم عن بعض ما يجرىٰ في مجالس الخمر والغناء كما نرى هذا في قصيدته :[1]

كنّـا وقُضبـان وهـي تُسمعنـا والقـومُ مـن مُطـرقٍ ومُطّـرحِ

وفي ديوانّه :[2] «انطلق مع نديمه .. وكان منزل المقيّن تحت ساباط ، فلما وصل الى بابه وجد عليه برذوناً أدهم ، فسأل عن خبره .. فعرّفه انه باع القينة ، وابتاع البرذون من ثمنها ، فانصرف وهو يقول :

قينـة كـانـت تـغنـى مُسخـت بـرذون أدهـمْ
عجتُ بـالسـابـاط يـومـاً فـاذا القينـة تُلْجَـمْ

وكما ترىٰ هذه الصورة ، ترىٰ صور القيان المثقفات قد تدرّبن على المكاتبة والمراسلة يقمن بها في اصطياد الزوّار ، وفي ايقاظ نار الغيرة في نفوس روّادهن ، يقول :[3]

جاء الكتاب بما قد كنتُ احذره يـا ويلتا ليَ ممـا سطّر القلَمُ
قالت : تحقّق ماَ كنَّا نُزنّ بـه فالنار بين ذوي الأضغان تضطرم

---

١ ـ ق : ٦٤ .
٢ ـ ق : ١٥٢ .
٣ ـ ق : ١٠٩ .

ابن الزيات في عشقه

ويبدو أن ابن الزيّات وقد طال ترداده على دور القيان ، صار الى مثل ما قاله عمر بن أبي ربيعة عن نفسه :

صار جداً ما لعبتُ به
ربَّ جدٍّ جرَّه اللّعبُ

قال الخطيب البغدادي[1] : «حدَّثني .. قال : كان محمد بن عبدالملك الزيّات يعشق جارية من جواري القيان ، فبيعتْ من رجل من أهل خراسان فأخرجها . قال : فَذُهِلَ محمد بن عبدالملك حتىٰ غُشي عليه ، ثم أنشأ يقول :[2]

يا طول ساعات ليل العاشق الدنف
وطول رعيته للنجم في السَّدَف
ماذا تواري ثيابي من أخي حُرق
كأنما الجسم منه دقّة الألف

ونرى شعر ابن الزيات يتغيّر ، فتقرأ في ديوانه أشعاراً يشير فيها الى أنه يتستَّر في حبّه ، وأخرىٰ يتحدَّث بها عن مرارة الهجر ، وعن قسوة العتاب ، وأخرى في أحاديث نفسه وحثّها على التصبّر والسلوان ، وأخرىٰ في زجر نفسه . وحثها على اطّراح الحب والتخلّص مما هو فيه . ونرىٰ بعض شعره هذا يفيض عاطفة شأن شعر عشّاق العرب المشهورين .

وهكذا نرى شعره الغزلّي ، قد انقسم قسمين ؛ أحدهما اتجه فيه الى الغزل الحسيّ شأن شعراء المجون ، والآخر اتجه فيه اتجاه شعراء الحبّ العذريين ؛ فيه خلجات الحبّ تكون بين العاشق والمعشوق ، تعبّر عنها النظرة

---

١ ـ تأريخ بغداد ؛ ٢/٣٤٢ .
٢ ـ انظر الملحق بهذا الديوان ؛ ق : ١١ .

والاشارة ، وفيه الحديث عن النفس ، وعن معاناتها للشوق وفيه الصراع يلوم به المحبّون أنفسهم ويمعنون في لومها وتعنيفها ، وفيه التجلّد وحثّ النفس على الصبر ، وفيه الحديث عن طول الليل وعن الأرق ، وعن طيف الحبيب وزياراته في الحلُم .

وديوان ابن الزيات ـ بشكله الذي وصلنا هذا ـ مملوء بهذه الصور ، صور العشّاق في حنينهم وبكائهم . وقد يبدو لقارئه أن حياة ابن الزيات السياسية ، على أهميَّتها الكبيرة ، لم يكن لها ذلك الأثر في نفسه بالقياس الى ما لهذه الحياة : حياة اللهو والمجون والعشق .

ميله إلى الأدب

ومال محمد بن عبدالملك الى الأدب ، وكان ميل أبيه الى التجارة . يقول أبو الفرج عن محمد بن عبدالملك[١] : «... وكان أبوه تاجراً ، فكان يحثّه على التجارة وملازمتها ، فيأبى إلاّ الكتابة وطلبها» ويروي عن عمر بن محمد بن عبدالملك قوله : «كان جدّي موسراً من تجّار الكرخ ، وكان يريد أبي أن يتعلّق بالتجارة ، ويتشاغل بها ، فيمتنع من ذلك ، ويلزم الأدب وطلبه .. فقال له ذات يوم : والله ! ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك ، وليضرّنك ؛ لأنك تدع عاجل المنفعه وما أنت فيه مكفي ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه وتطلب الأجل الذي لا تدري كيف تكون فيه ..» ويبدو أن محمداً لم يثنه قول أبيه هذا عن الأدب وعن التعلّق به ، وأنه ردّ على أبيه بقوله : «واللّه ! لتعلمنّ أيّنا ينتفع بما هو فيه ؛ أنا أم أنت !» قالوا : ثم شخص الى الحسن بن سهل «بفم الصِّلْح» والحسن بن سهل ، كان المأمون[٢] قد ولاه كور الجبال ، والعراق ، وفارس ، والأحواز ، والحجاز ، واليمن ـ فامتدحه بقصيدته التي أوّلها :[٣]

---

١ ـ الأغاني : ٢٢/٤٦٣ .
٢ ـ الكامل ـ لابن الأثير : ٦/٢٩٧ .
٣ ـ ق : ١ .

كـأنهـا حــين تنـاءىٰ خطــوهـا أخنس موشيٌّ الشوى يرعىٰ القُلَلْ

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فعاد الى أبيه ، فقال له أبوه : لا ألومك بعد هذا على ما أنت فيه» .

واستمرأ محمد الجائزة ، وشجّعه هذا أن يرتقي بمديحه الى الفضل بن سهل والفضل بن سهل قد استولىٰ على زمام الخلافة والملك ، وحجب المأمون عن الاتصال بالدنيا ، وعمّا يجرى حوله في بلدان الخلافة ، فمدحه بقصيدته التي أوّلها :[1]

قــف بــالمنــازل والــربــع الــذي دثــرا
وسقّــهــا المــاء مــن عينيــك والمطــرا

والقصيدة طويلة احتفل لها ابن الزيّات ، وتحدَّث فيها عن متاعبه ومتاعب ناقته في السفر ، وقطع المفازات وملاقاة الأهوال ، شأن الشعراء الجاهليين . ويبدو أنه أعدّ هذا قبل أن يسافر ؛ لأننا لا نرىٰ في أخباره أنه سافر الى «مرو» ولا نرىٰ في أخبار الفضل أنه اطّلع على القصيدة . ويبدو أنّه نظمها والفضل في أوج قوّته وسيطرته ، ولكنّ الفضل دخل الحمّام ، وهو في صحبة المأمون في سفره عائداً الى بغداد ، وأخرج من الحمّام قتيلاً . وأراد المأمون ، وقد قالوا : هو الذي أمر بقتله ، أن يبعد التهمة عنه ، فقتل قاتليه وأرسل رؤوسهم الى الحسن بن سهل أخيه ، وصبّره وزيره بعد الفضل .

على أن ابن الزيات ، وإن لم يستفد المال بقصيدته هذه من الفضل بن سهل ، فإنها زادت في قربه من الحسن بن سهل ، وربّما كان هذا أنفع له من المال لو استفاده .

---

١ ـ ق : ١١١ .

تاجر في البلاط

وهدأت بغداد بعد أن انتهت الحرب بين الأخوين ؛ الأمين والمأمون بمقتل الأمين .. وانتهت ثورة ابراهيم بن المهدي في انتفاضة على الخليفة المأمون . وحربه مع الحسن بن سهل . وجاء المأمون خليفة الى بغداد ، واختفىٰ عمّه ابراهيم مستتراً عنه وعن الناس .

ويبدو أن عبدالملك التاجر ، وقد استفاد من هذه الحروب ، قد ازدادت ثروته وتوسَّعت تجارته ، ولعلَّه هجر تجارة الزيت الى غيرها . يقول الطبري[1] : «وكان محمد بن عبدالملك الزيّات يتولىٰ ما كان أبوه يتولاه للمأمون . من عمل المشمّس والفساطيط وآلة الجمازات» وترىٰ من نص الطبريّ هذا ان عبدالملك صار تاجراً في بلاط الخليفة المأمون وتاجراً لغير تجارة الزيت ، وان ابنه محمداً كان يعاونه أو ينوب عنه في هذه التجارة . ولعلَّ مديح محمد للحسن بن سهل ومديحه لاخيه الفضل كانا الوسيلة في قربه وقرب أبيه من بلاط الخليفة المأمون . وفي ديوان ابن الزيات أبيات يعاتب فيها أخاه صالحاً[2] ، ولكننا لا نرىٰ لأخيه ذكراً في أخبار الأسرة ، أو في أخبار ابن الزيات ، بعد أن صار وزيراً وجاءته الدنيا ، كما أننا لا نرىٰ لأبيه عبدالملك الزيات ذكراً أيضاً . وعندنا أنّ ابن الزيات ربّما خلف أباه في تجارة بلاط الخلافة بعد موت أبيه . نقول هذا ، وعندنا أن لو مات أبوه وهو في الوزارة لرأينا الشعراء يرثونه تقرّباً للوزير . نقول هذا ونحن نعجب أيضاً أن نرىٰ رثاء ابن الزيات لأمّ ابنه عمر بقصيدةٍ باكية[3] ، ولا نرىٰ رثاءً لأحد من أسرته أيضا .

وما إن دخل ابن الزيات بلاط المأمون تاجراً عن أبيه ، حتى صارت له شخصيّته التي امتدت الى أعمال أخرىٰ في البلاط . يقول ياقوت في حديثه عن

١- تأريخ الرسل والملوك ؛ ص١١٨٣ط : خيّاط ـ بيروت .
٢ ـ ق : ٧٠
٣ ـ ق : ٣٨ .

الحسن بن وهب :[1] «قال الصولّي : كان من أوّل أمر الحسن بن وهب اتصاله بمحمد بن عبدالملك الزيات ، في آخر أيام المأمون ، وكان محمد يلي النفقات وغير ذلك ..» ثم نرىٰ ابن الزيات يرتفع شيئا في أيام الخليفة المعتصم ، فيكون له[2] : «تفقّد الدار والاشراف على المطبخ ..» ثم يكون في جملة الكتّاب للمعتصم ، ثمّ منها الى الوزارة ...

لقد أمضىٰ ابن الزيات نحواً من خمسة عشر عاماً في تدرّجه في أعماله هذه ، وكأن المؤرخين لا يرون الأمر في الالتفات الى تدرجّه فيها بكبير الأهميَّة ، والذي نراه أن عمله في البلاط قد حوَّله الى شخصيّة أخرىٰ . لقد رغب عن نفسه في أن يكون شاعراً من شعراء المديح ، الذين يمدحون طلباً للمال أو للعطيّة . ونحن لا نرىٰ في ديوانه ما يمدح به الخليفة المأمون أو أحداً من رجاله بقصيدة طويلة يحتفل لها احتفاله بمديحه للحسن بن سهل أو لأخيه الفضل بن سهل ، على أننا نجده لا يفوّت الفرصة في أن يعلن ولاءه للخليفة ويبيّن أنه من مؤيديه ومشايعيه . يقول ابنه عبدالله بن محمد :[3] «لما وثب ابراهيم بن المهدي على الخلافة ، اقترض من مياسير التجار مالاً ، فأخذ من جدّى عبدالملك عشرة آلاف دينار ، وقال له : أنا أردّها اذا جاءني مال . ولم يتمَّ أمره فاستخفىٰ ثم ظهر ، ورضي عنه المأمون فطالبه الناس بأموالهم ، فقال : أنا أخذتها للمسلمين وأردت قضاءها من فيئهم ، والأمر الآن الى غيري» قال عبدالله : «فعمل إلىٰ محمد بن عبدالملك قصيدة يخاطب فيها المأمون ، ومضىٰ الى ابراهيم فأقرأه اياها ، ثم قال : والله ! لئن لم تعطني المال الذي اقترضه من أبي . لأوصلنَّ هذه القصيدة الى المأمون ، فخاف ابراهيم فقال : خذ بعض المال ، ونجّمْ عليَّ بعضه ، ففعل ابى ذلك ، بعد أن أحلفه ابراهيم بأوْكد الايمان ألّا يظهر القصيدة في حياة المأمون ..» .

١ ـ معجم الأدباء ؛ ٢٢٣/٣ .
٢ ـ ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ؛ ١٠٢/٥ .
٣ ـ الأغاني ؛ ٤٦٦/٢٢ .

ونقرأ القصيدة[1] ، وهي تزيد على الأربعين بيتاً ، فنراها إعلاناً لولاء ابن الزيات للخليفة المأمون ، وهجاءً لابراهيم ، وتحريضاً للمأمون على الايقاع به . ولا نرىٰ فيها ذكراً للمال أو للاستدانة . لقد تلطّف ابن الزيات ، فجعل القصيدة في الولاء للخليفة المأمون ، ولم يشر الى المال المقترض ، مخافة ان يلحق بأبيه أو به شيء بسبب الاستدانة .

يقول ابن خلكان عن ابراهيم[2] : إنه أخذ ليلاً ، وهو منتقبٌ بين امرأتين .. وحمل الى دار المأمون ، فأمر أن يقعد على هيئته الى الغد ، ليراه بنو هاشم والقوّاد والجند ..» ويبدو أنَّ ابن الزيات ، وهو يعمل في البلاط رأىٰ ابراهيم على حالته هذه .

وتردّد المأمون بين العفو عنه والايقاع به . ويظهر أنَّ ابن الزيات عمل قصيدته هذه في تلك الآونة . وعفا المأمون عن عمّه ، ولم يلتفت لتحريض ابن الزيات ، ولكن ابن الزيات ، وإن لم يؤخذ برأيه ، استفاد بأن أعلن ولاءه للخليفة ، وحصل على المال الذي اقترض من أبيه ..

واتصل محمّد بكتّاب البلاط ، وهم يؤلفون طبقة ذات ثراءٍ وجاه ، وحسبنا من ثرائهم ان خلفاء بني العباس كانوا يعمدون الى مصادرتهم حين يعوزهم المال[3] . وعاونه على الاتصال بهم أن كان أديباً شاعراً مثلهم ، وأنْ كان ذا ثروةٍ من تجارته ووظيفته ، وأنْ كان ذا هيئة حسنة ، وقد وصف نفسه بهذا في شعره ، وان كان من المتأنقين في لباسه ومركبه . وقد أثار هذا غيرة كاتب المعتصم ثم

---

١ ـ ق : ٢ .
٢ ـ وفيات الأعيان : ١/٣٨٦
٣ ـ انظر بعض التفصيل في هذا ، في الطبري : ١٢/١٣٣٠

وزيره الفضلُ بن مروان ، فأشهره بقوله :[1] «أنت تاجر ، مالك وللملابس الكتّاب !؟» ويقول محمد بن يزيد المبرّد[2] : «كان لمحمد بن عبدالملك برذون لم يُر مثله فراهةً وحسناً ، فسعىٰ به محمد بن خالد حيلويه الى المعتصم ، ووصف له فراهته ، فبعث المعتصم فأخذه منه» .

ونقرأ قصيدة ابن الزيات هذه فتراه يرثيه بها رثاء الصديق ، ونحسّ هذا ، في بداية مطلعها :

قالوا : جَـزِعتَ !؟ فقلت : إنَّ .. مصيبة
جلَّـت رزيَّتُـهـا ، وضـاق المـذهـبُ

ويتحدث في القصيدة هذه : عن مركبه . وعن لجامه وسرجه وزينته و ..

ويغنّيه المغنّي أبو دهمان ، فلا يستطيع أن يردّ نفسه عن سرقة منديل من مناديله الدبيقيَّة النفيسة ، يضعه تحت عمامته[3] .

ومع ان الكتاب الذين رآهم ابن الزيات في هذه الفترة في بلاط المأمون كثيرون ، فاننا نرىٰ اسمه يدور مع اثنين منهم ؛ هما : الحسن بن وهب ، وابراهيم بن العباس الصوليّ . أما الحسن بن وهب فكان أخصَّ أصدقائه الذين يدور اسمهم في ديوانه . وقد بقي له صديقا صفّياً ، حتى اذا قتل ابن الزيات رثاه الحسن بقصيدة باكية ، عرَّض فيها ببني العباس ، قالوا :[4] : ... وخاف الحسن أن يُظهر القصيدة مكتوبةً في حياته ، وكان ينكرها ، وظهرت القصيدة بعد أن مات مكتوبة بخط الحسن بن وهب نفسه .

---

١ ـ امراء البيان ـ محمد كرد علي ، ص : ٢٨٢ .
٢ ـ ق : ٢ .
٣ ـ ق : ٨ .
٤ ـ الأغاني ؛ ٢٢/ ٥٠٤ .

أما ابراهيم ، وهو شاعر رقيق ، كاتب ، وفي اخباره[1] اشعار كثيرة فيها العتاب ، وفيها الهجاء القاسي الكثير لابن الزيات . لقد اختلف معه ابن الزيات ، ولجّ في الهجاء في حياة ابن الزيات وبعد مماته . ونحن نعجب ألّا نرىٰ لابن الزيات في ديوانه هذا كلمة ولا ذكراً لابراهيم . ومن هنا قلنا : ان هذا الديوان لا يمثّل حياة ابن الزيات كاملة .

الى الحجّ والوزارة

وودّع ابن الزيات شبابه إلى كهولته ، وتغيّرت نغمته في شعره . وفي قصيدته التي يخاطب بها صاحبيه على طريقة امرىء القيس :

عـدّ يـا عن مـلاميا وأقـلّا عتـابيـا[2]

يبيّن ان الشيب غزا رأسه ، وان الغواني صدفن عنه ، وان الزمان قلَّ شبابه وانه رأىٰ في الشيب داعياً الى النهىٰ . ونرى مثل هذا في قصيدته : « ترك اللهو والصّبا ..»[3] ـ وقصيدته : «هل أنت صاح !؟ ..»[4] وغيرهما ..

ورأىٰ أن يودّع بغداد في حاناتها ومتعها ، ويودّع ذكرياته في العشق ويسافر الى الحج . وفي الأغاني :[5] «حجّ محمد بن عبدالملك في آخر أيام المأمون» فلما قدم كتب اليه راشد الكاتب :

«لا تنس عهدي ولا مودّتيه» يطالبه بهديّته من الحج . ويردّ عليه ابن

---

١ ـ انظر معجم الأدباء لياقوت ؛ الترجمة : ١٦ ص١٦٤ ـ ١٩٨ .
٢ ـ ق : ٥٢
٣ ـ ق ؛ ٣١
٤ ـ ق : ١١٥
٥ ـ الأغاني ؛ ٢٢/٤١٦

الزيات بقصيدة[1] يبيّن فيها أنه دعا له هناك ، وأنه تخيّر له من العصب اليماني أحسنه .

ونرىٰ ابن الزيات تتغيّر نغمته في شعره ، ففي قصيدته :

ذهب الحزم واستمال بي اللهو وأخنىٰ عليَّ ريبُ الزمان[2]

يعاتب نفسه ويستحثها على السير قُدُماً لبلوغ ما يتمنّاه ، ولعلَّه تمنىٰ الكتابة . ونقول : الكتابة : لأننا نرىٰ الوزارة حُلُماً أو كالحُلم لانسان يرتقى اليها من تفقّد نفقات الدار والاشراف على المطبخ .

الى الوزارة

قالوا : غضب المعتصم الخليفة على وزيره الفضل بن مروان . وعلّلوا هذا بكثرة طلب المعتصم للمال ، وكثرة اعتذار الفضل عن تدبيره .[3] وأقام مقامه أحمد بن عمّار البصريّ .. وقرأ ابن عمّار هذا يوماً ، كتاباً على المعتصم فيه ذكر «الكلاء» ، وسأل المعتصم عن معنى الكلاء ، فقال ابن عمّار ، وكان قليل المعرفة باللغة والأدب : لا أعلم ، فقال المعتصم : «خليفة امّي ووزير عامّي» . ثم قال : ابصروا من بالباب من الكتّاب ، قالوا : فأدخل اليه محمد بن عبدالملك ، ففصَّل في معنى الكلاء ، ما بيّن به معرفته الواسعة في اللغة . ورأىٰ المعتصم أن يعرض عليه الكتب بدل ابن عمّار ، ثم صيّره وزيره .

كان المعتصم كما عبّر عن نفسه «اميّا» في ثقافته اللغوية . قال السيوطي[4] : «أمّه أمّ ولد .. كانت أحظى النساء عند الرشيد» فكأن الرشيد كان ينظر ابنها المعتصم بغير العين التي ينظر بها بقية أولاده . وقالوا : كان مع

---

١ ـ ق : ٤٨

٢ ـ ق : ١٠٧

٣ ـ انظر تفصيل هذا في الطبري : ص١١٨٥ .

٤ ـ تأريخ الخلفاء : ص٣٣٤ .

المعتصم غلام يتعلم ، ومرض الغلام ومات ، فقال الرشيد : يا محمد مات غلامك ! فقال لأبيه : نعم يا سيدي واستراح من الكُتّاب ! وارتاع الرشيد لقوله هذا ، وقال : وإن الكُتّاب ليبلغ منك هذا ؟ ثم قال : دعوه لا تعلّموه ..

على ان المعتصم ، وإن كان فقيراً في الثقافة من الكتب ، فقد كان غنياً في ثقافة الحياة : شهد حروب أخويه الأمين والمأمون ، ثم كان مع عمّه ابراهيم بن المهدي في ثورته وانتفاضه على المأمون . ثم استقرَّ الأمر للمأمون وصار المعتصم يحضر مجالسه ، وفيها الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء . وكان المأمون يستصحبه في اسفاره معه ، وقد احبّه المأمون فولّاه بلاد الشام ومصر ، فأحسن القيام بالولاية والادارة . يضاف الى هذا كله انه كان رجل رياضة وصيد وحرب ، وكانوا يحدّثون عنه الأعاجيب في قوته وشجاعته وجرأته .[١]

رأى المعتصم في ابن الزيات ما كان ينقصه ، ورأى ابن الزيات في المعتصم ما جعله يتعلّق به . وفي ديوان ابن الزيات نحواً من عشرين مقطوعة في مديح المعتصم : منها قصيدة بخمسين بيتاً[٢] يحتفل لها ابن الزيات على نحو ما كان يحتفل لشعر المديح في شبابه : يشيد بها في المعتصم ، ويفصّل فيها بذكر حروبه وانتصاراته .

وتوثقت الصلة بينهما ، واعتمد المعتصم على ابن الزيات في كلّ ما يتعلّق بالكتابة والادارة وتدبير الأموال . وزاد على هذا بأن جعله ينظر في أموره الشخصية والعائلية : كالاشراف على تربية أولاده . كانت خلافة المعتصم سلسلة

---

١ ـ انظر تفصيلاً لهذا في المسعودي ٤/ ٧٤ وتأريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٣٤ وتأريخ ابن كثير ، ٩/٢٩٦ .
٢ ـ ق : ٣ .

متصلة من الحروب[1] : ثار عليه الزطّ ، وغلبوا على طريق البصرة وعاثوا وأخافوا السُبل والناس . وكانت ثورة بابك الخُرَّمّي التي دامت نحو عشرين سنة وقتل فيها الآلاف من الناس ، وخرّبت فيها المدن . وكان عدوان الروم على المسلمين فكانت حرب عموريّة المشهورة ، وكان عصيان المازيار وعصيان المنكجور . هذه الحروب المتصلة كلّها دَبَّر الأموالَ لها ابن الزيات ، على حين عزل المعتصم وزيره الفضل بن مروان في بداية خلافته لقلَّة المال ، كما قالوا . ولا عجب عندنا في هذا ، فابن الزيّات تاجر قبل ان يكون كاتباً أو شاعراً . ونزيد على هذا بأن نقول : وعهد اليه المعتصم ببناء سامراء ، فأحسن القيام بالبناء وتدبير نفقاته . وفوّض اليه المعتصم أمر التصرف بالأراضي واستثمارها بالزراعة ، فأحسن التصرف أيضاً .

ابن الزيات والخليفة الواثق

ومات المعتصم ، ووقف ابن الزيات على قبره يرثيه :[2]

أقــول إذ غيّبــوكَ واصطفقــتْ
عليــك أيــد بــالمــاء والطــين

وكان ابنه الواثق الخليفة من بعده . قالوا : كان الواثق قد حنق على ابن الزيّات في أيام أبيه ، لأمور تتعلّق بتعليمه ، وبحجب بعض المال عنه[3] ، وذهبوا الى أنه أقسم إن آلت الخلافة إليه ليقتلنَّ ابن الزيّات . ولكن الواثق رأى أن يكفّر عن يمينه ، وأن يستبقي ابن الزيات الذي لا يرىٰ عوضاً عنه في تدبير أمور الخلافة .

---

١ - ينظر التفصيل في هذا ، في ابن الأثير ، حاشيه ص٢٣٢ جـ٥ ط : منير الدمشقي والطبري ١١/١١٦٥ وما بعدها .
٢ - ق : ٤٣ وق : ٣٩
٣ - ينظر كتاب الفخري في الآداب السلطانية : ص : ١٧٥ .

كان الواثق على عكس أبيه المعتصم : أديباً ، عالماً ، راوية للشعر ، شاعراً ، يلّحن الشعر ويغنّيه على عوده ، وقالوا : إنه يفضل عمَّه المأمون في ثقافته هذه . نقول : لعلَّ المعتصم أباه حرص على هذا ، بعد أن رأىٰ ما أصابه من عزوفه عن التعليم في أيام أبيه الرشيد .

جاء الواثق وخزينة الخلافة انهكتها الحروب المتصلة في عهد المعتصم ، واعتمد الواثق ، كما اعتمد أبوه المعتصم ، على الأتراك ، فأسند الى أشناس التركي أعمال الجزيرة ، والشام ، ومصر ، والمغرب فولّىٰ عليها ولاة من قبله . وكانت خراسان وأعمالها ، والريّ ، وطبرستان وما يتصل بها ، وكرمان في يد عبد الله بن طاهر . أما الحجبة فكانت لايتاخ التركيّ . ووظيفة الحجبة هذه كان أمرها قد علا حتى صار الحاجب يستبد بالنفوذ دون الوزير . أمّا مركز الخلافة ، فقد فوَّض فيه الواثق الأمر الى ابن الزيات وأشرك ابن أبي دؤاد في الاستشارة معه .

وطلب الواثق المال لشراء جاريةٍ فلم يجد ابن الزيات المال الذي يدفعه . قالوا : فاحتال ابن الزيات في قصيدة[1] جعلها على لسان أحد العسكر ، وأرسلها الى الواثق ، يغريه بها بكتّاب هؤلاء الذين فوَّض اليهم الواثق الأمور ، ويذكّره بما كان من أمر الرشيد[2] مع البرامكة . وصادر الواثق الكتّاب وامتلأت خزائن الدولة ، وعاد لابن الزيات سلطانه في التصرّف ، وصار شأنه مع الواثق أوثق منه مع أبيه المعتصم ، إذ بلغ عنده ما لم يبلغه وزير من قبل . يقول الطبري :[3] «... وعقد محمد بن عبدالملك الزيات لاسحاق بن ابراهيم .. على اليمامة والبحرين وطريق مكة مما يلي البصرة في دار الخلافة» ويعقّب على هذا بقوله : «ولم يذكر أنّ أحداً عقد لأحد في دار الخلافة إلاّ الخليفة ، غير محمد بن عبدالملك الزيّات»

---

١ ـ انظر القصيدة في الملحق ، برقم : ١٣

٢ ـ انظر الحديث في هذا ، في تأريخ الطبري : ١٢/١٣٣١ .

٣ ـ الطبري : ١٢/١٣٥٠ .

ويقول الطبري أيضاً :[1] «ونصب محمد بن عبدالملك لابن أبي دؤاد ، وسائر أصحاب المظالم[2] العداوة ، فكشفوا وحبسوا .. وأقيموا للناس ولقوا كلّ جهد ..» .

وأراد الواثق أن يزيد في أمر ابن الزيات ، وكأنه لم يجد سبيلاً الى الاستزادة ، فأمر أصحابه ان ينهضوا قياماً لأبي جعفر ـ كنية ابن الزيات ـ اذا دخل ، ولم يرخّص في ذلك لأحد . قالوا فاشتدّ الأمر على القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، ولم يجد لمخالفة الواثق سبيلاً فوكّل بعض غلمانه بمراقبة موافاة ابن الزيّات ، فإذا أقبل أخبره فينهض ويركع . ويشير ابن الزيات الى هذا بقوله :[3]

صلّىٰ الضحىٰ لما استفاد عداوتي   وأراه ينسك بعدها ويصوم

ابن الزيات في نهايته

جاء ابن الزيات الى الوزارة ، وكان أحمد بن أبي دؤاد أثيراً عند الخليفة المعتصم . أوصاه المأمون بقوله : «.. وأبو عبدالله ـ كنية أحمد بن أبي دؤاد ـ لا يفارقك الشركة في كل أمورك ؛ فانه موضع ذلك» . وأخذ المعتصم بوصية أخية المأمون ، فكان ابن أبي دؤاد كلَّ شيء عنده .

وبقيت المنافسة بينهما طيلة أيام المعتصم ، وطيلة أيام الواثق . قالوا في ابن الزيات : له في كلّ يوم صريع ؛ لا يُرىٰ فيه أثر ناب ولا مخلب . وقالوا في ابن أبي دؤاد : تُشَحذُ له المُدىٰ وتُنصبُ له الحبائل حتى إذا أقبل وثب وثبة الذئب ،

---

١ ـ تأريخ الطبري ؛ ١٢/١٣٣١ .

٢ ـ أصحاب المظالم كانوا ينظرون الأمور يكون النظر فيها فوق سلطة القاضي . فلصاحب المظالم : إحلاف الشهود عند ارتيابه بهم ، والاستكثار من عددهم .. وكانت محكمة المظالم هذه تعقد برئاسة الخليفة أو الوالي أو من ينوب عنهما ، وتعقد عادة في المسجد . وينظر صاحب المظالم بالقضايا التي يقيمها الأفراد أو الجماعات على الولاة اذا انحرفوا عن طريق العدل ، وعلى عمّال الخراج اذا اشتطّوا بالضرائب .. يُنظر الماوردي في الاحكام السلطانية ؛ ص٦١ ـ ٧٢ .

٣ ـ ق : ٢١

وختل ختله الضبّ . ومن كلامه : «ليس بكامل مَن لم يحمل وليَّه على منبرٍ ولو انه حارس ، وعدوّه على جذع ولو أنه وزير» .

كان ابنَ أبي دؤاد شديد التعصّب للعرب . وكان سندهم في دولة بنّي العّباس ذات النفوذ الفارسيّ والتركيّ ، وبلغه ان الأفشين ، وهو قائد المعتصم الأكبر الذي لا تردّ له كلمة ، همّ بقتل أبي دلف العجليّ ، القائد العربيّ الشهير . قالوا : فجلس له ، واحضره ؛ واحضر السّياف ليقتله .. وبلغ ابن أبي دؤاد الخبر ، فركب في وقته وخلّصه ..

وغضب المعتصم على خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني . وتشفَّع له أحمد بن أبي دؤاد .. وخرج خالد ، والناس ينتظرون عقوبته ، فإذا هو يخرج وعليه الخلع والمال بين يديه ، وصاح به رجل : الحمد لله على خلاصك يا سيّد العرب ! فقال له خالد : اسكتْ . سيّد العرب والله ! أحمد بن أبي دؤاد» .

هذا ابن أبي دؤاد ! أما ابن الزيات فلم يكن يتعصّب لقبيلة ولا جنس ولا نحلة ، فهو رجل دولة بمفهومنا الحاضر لهذا التعبير ، وكان أحمد ينتسب لقبيلة إياد ، وابن الزيات يهجوه بأنه دعيّ في العرب ؛ وفي إياد ، يقول فيه :[1]

ابلغ دعيَّ إياد إن مـررتَ به قول امرىء ناصح للّـهِ والدين

ويقول فيه :[2]

تـأيـدَّ وادّعىٰ القُـربـا وأثـرىٰ واستفـاد أبـا

وقد مرَّ بنا ان ابن أبي دؤاد ، ولم تكن له قابلية ابن الزيات في الشعر ، كان يجمع الشعراء ، ويغريهم بهجاء محمد بن عبدالملك ، وكانوا يلجّون بهجائه بأنّه «زيات» .

---

١ ـ ق : ٥٦ .
٢ ـ ق : ٥٧ .

وقد مرَّ بنا ما لابن الزيات عند الواثق وعند المعتصم ، ونقول : إن منزلة ابن أبي دؤاد ليست دونه في هذا ، أما المعتصم فقد رأينا منزلته عنده ، وأما الواثق ، فيقول ابن أبي دؤاد : «دخلتُ على الواثق ، فقال : مازال قومٌ اليومَ في ثلْبك ونقصك ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين لكلّ امرىء منهم ما اكتسب من الإثم .. فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين !؟ قال : يا أبا عبدالله :

وسعىٰ اليَّ بعيب عَزَّة نسوة جعل المليك خدودهنَّ نعالَها

وواضح ان ابن الزيات هو الذي بذل سعيه في هذا .

واستمرَّ الصراع .. كان الواثق يريد ان يبعد أخاه جعفر بن المعتصم عن ولاية العهد ويوليّها لابنه محمد ، وكان ابن الزيات يعرف منه هذا ، فيقسو على جعفر بن المعتصم ترضيةً وتقرّباً للواثق . وكان ابن أبي دؤاد يعرف هذا أيضاً ، ولكنه كان يتصرّف بما يعين به جعفر بن المعتصم ولا يغضب به الخليفة الواثق .

ومرض الواثق ، وعاجلته المنية وهو في الثلاثين من عمره ، وكان ابنه محمد مايزال صغيراً على تولي الخلافة ، فكان جعفر بن المعتصم هو الخليفة ، وكان الذي لقّبه «بالمتوكل» أحمد بن أبي دؤاد .

لقد سبق لابن الزيات أن أغضب الواثق يوم كان والياً للعهد ، حتى حلف ليقتلنَّه ، ثم كفّر عن يمينه واستبقاه . تُرىٰ أكان يطمع في مثل هذا من جعفر بن المعتصم ووراءه أحمد بن أبي دؤاد !؟ لقد خاب فأله ... ودار ابن أبي دؤاد يغري «جعفر المتوكّل» به وبمصادرة أمواله . وظن المتوكل أنّ أموال ابن الزيات لا حصر لها ، بعد أن ولي الوزارة كلَّ هذه السنين ، ولقيَ من الخليفتين : أبيه وأخيه ما لم يلقه وزيرٌ من خليفة . وحبسه المتوكّل ، وأذاقوه من صنوف

العذاب[1] ، واستخرجوا كلَّ ما عنده ، فلم يكن شيئاً بالنسبة لماحسبوه أوتوّهموه . يقول أبو الفرج[2] : «... فلم يجدوا من أملاكه كلّها من عينٍ ووَرقٍ وأَثاث وضيعةٍ إلّا ما كانت قيمته مائة ألف دينار ، فندم ـ المتوكّل ـ على ذلك ، ولم يجد عنه عوضاً ، وكان أمره مما يعتدُّ على أحمد بن أبي دؤاد ويقول له : أطمعتني في باطل وحملتني على أمر لم أجد منه عوضاً ..» .

---

١ ـ انظر بعض التفصيل في هذا في الطبري ؛ ص١٣٧٣ ـ ١٣٧٦ .
٢ ـ الأغاني ؛ ٢٢/٥٠١ ـ ٥٠٢ .



ابن الزيات في حياته الثقافية

الاسلام والعلم

حبّذ الاسلام العلم ، وأول سورة نزلت في القرآن الكريم هي : «اقرأ باسم ربّك الذي خَلَق» .

والسورة الثانية ، عند بعض المفسّرين ، هي : «ن والقلم وما يسطرون» . ونرى في الآية الكريمة الأولىٰ الحث على القراءة وفي الثانية الكتابة . وكما أمر سبحانه بالعلم أشاد بالتعظيم لأهله قال تعالى :[١] «يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات» . وقال سبحانه :[٢] «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون !؟»

وسارت الأحاديث النبوية سيرة القرآن الكريم في هذا ، قال صلىٰ الله عليه وسلم : «طلبُ العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة» وقال : «اطلب العلم من المهد الى اللحد» .

وأخذ المسلمون في هذا في عهد الخلفاء الراشدين ، وعهد بني أميّة .

---

١ ـ سورة المجادلة ، الآية : ١١ .
٢ ـ سورة الزمر ، الآية : ٩ .

عصر ابن الزيات
عصر العلم

وجاء بنو العباس . وكان العصر الذي عاش فيه ابن الزيات في أيامهم هو عصر العلم . لقد عاش بين خلافة الرشيد والمتوكّل[١] ، وهو العصر الذهبيّ للخلافة العباسيّة . أنشأ الرشيد فيه ما سمّوه «بيت الحكمة» أَو «خزانة الحكمة» وعمل على ترجمة الكتب العلمية القديمة مما حصل عليه المسلمون في بلاد الروم التي افتتحوها ، ويروون ان يوحنا بن ماسويه[٢] كان ممن عهد اليهم الرشيد بالترجمة ، وذكر ابن النديم :[٣] : أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات .. فكتب يسأله الإذْن في إنفاذ ما يختاره من العلوم القديمة المدّخرة ببلاد الروم .. وأرسل المأمون جماعة لذلك ، اختاروا ما حملوا من الكتب ، فأمر بنقله فنقل .

كان هذا فيما يتعلق بالكتب العلمية والطبية والفلسفية ، أمّا ما يتعلّق بالدين والأدب ، وغيرهما مما يتصل بالحياة الاجتماعية والأخلاقية فكان للمسلمين علمهم وثقافتهم ، وكانت لهم عنايتهم التي تغنيهم عن كتب غيرهم .

شجّع على نشاط التأليف والترجمة والنسخ ، أنْ كانت صناعة الورق ، وأن تبع ذلك ظهور حرفة الورّاقين . وحسبنا ان نقول : إن اليعقوبي[٤] ذكر أن بغداد كانت تباهي في زمانه بأنَّ فيها أكثر من مائة حانوت للورّاقين في سوق واحدة .

---

١ ـ عاش ابن الزيات من سنة ١٧٣هـ ـ ٢٣٢هـ .
٢ ـ أخبار الحكماء ٣٨ .
٣ ـ الفهرست ٢٤٣ .
٤ ـ مقدمة ابن خلدون ٣٥٢ .

مجلس المأمون مجلس علم وجدل

وجاء المأمون بغداد واستقرت به الخلافة ، وكان المأمون نفسه عالماً راوية للشعر ، أديباً . وكانت المسائل العلمية لم تتثبتّ في أشكالها النهائية بعد ، فأراد أن يجعل مجلسه مجلس علم وأدب ، تُعرض فيه مسائلُ العلوم والدين والأدب ، يأخذ العلماء حظهم في الحديث فيها . وقرّب «المعتزلة» وهم أهل مناظرة وجدل ؛ يأخذون «بالعقل» أكثر من أخذهم «بالنقل» فغلبوا على مجالسه بجدلهم . فكانت مسألة «خلق القرآن» وهي التي سمّاها المسلمون «المحنة» وراح ضحيتها كثير من المسلمين ، وكان زعيمها خصم ابن الزيات ومنافسه ـ فيما بعد ـ القاضي أحمد بن أبي دؤاد .

ابن الزيات في بلاط المأمون

عاش ابن الزيات في هذا الجوّ ، جوّ العلم والأدب والجدل والمناظرة ، وقضىٰ نحو خمسة عشر عاماً في بلاط المأمون ، كانت أعوام شبابه كلّها ، وبعض أعوام كهولته . وهو وإن لم يكن أهلاً للاشتراك مع المتناظرين أو المتجادلين ، فانه لم يكن بالبعيد عنهم أيضاً . كان تاجراً في البلاط ، ولكنّه ـ كما مرّ بنا ـ كان يحبّ الأدب ويميل اليه أكثر من ميله الى التجارة . وكان شاعراً حرَّض المأمون بقصيدة طويلة على عمّه الثائر على الخلافة ابراهيم بن المهدي . وكان ، لأدبه وثروته ، صاحباً وصديقاً لطائفة من كتّاب المأمون في بلاطه ، وهم أهل ثقافة وعلم وأدب ، وكان يتزيّا بزيّهم ويتأدّب بأدبهم . بل ربما كان يفوقهم في الإطلاع على بعض مسائل اللغة والنحو . يقول الخطيب البغدادي[1] : «كان ابن الزيات أديباً فاضلاً عالماً بالنحو واللغة» وأراد أن يدلّل على قوله هذا ، فقال : «... إنّ أبا عثمان المازنّي لما قدم بغداد في أيام المعتصم ، كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو ، فإذا اختلفوا فيه فيما يقع فيه شك ، يقول لهم المازني : ابعثوا الى هذا الفتىٰ الكاتب ، يعني : محمد بن عبدالملك ، واسألوه واعرفوا جوابه ، فيفعلون فيصدر الجواب من قبله بالصواب الذي يرتضيه المازنّي ...» .

---

١ ـ تأريخ بغداد ٢/٣٤٢ .

ابن الزيات وزير المعتصم

كان هذا أمر ابن الزيات قبل أن يلي الوزارة . ومعلوم أنَّ أول أسباب تولّيه ، كما قالوا ـ إنما كان السؤال عن مسألة لغوية ، هي معرفة : «الكلأ» ومعانيها .

وزر للخليفة المعتصم ، ولم يكن المعتصم كأبيه الرشيد أو أخيه المأمون في علمه . لقد قال عن نفسه وعن وزيره ابن عمّار : «خليفة امّيّ ووزير عامّي» . ولكنه ، على قلة حظّه من الكتب ، كان مثقفاً بتجارب[1] الحياة ، وكان محبّاً للعلم والأدب والشعر ؛ كان يحضر مجالس المأمون وفيها العلماء والأدباء أهل الجدل والمناظرة ، وكان يودّ لو كانت له الثقافة التي تتيح له أن يخوض معهم في أحاديثهم وجدلهم . وكان يحب الشعر ويحاول نظمه ، وقد قالوا[2] : «له شعر لا بأس به ..»

---

١ ـ انظر ص٢٣ وما بعدها من هذا البحث .

٢ ـ تأريخ الخلفاء للسيوطي ، ص : ٣٣٧ .

تشجيعه للعلم

ورأىٰ المعتصم ، وهو على ما قاله عن نفسه ، وقلناه عنه في العلم والثقافة ، أن يطلق يد وزيره في تشجيع العلم والأدب ، فكان لابن الزيّات ما أراد في هذا . لقد سار سيرة الرشيد وسيرة المأمون في العناية بالعلم والعلماء . قالوا :[1] «وممن بذل في نقل العلوم ، غير الخلفاء ، محمد بن عبدالملك الزيّات ؛ إذ كان يقارب عطاؤه للنقلة والنسّاخ (٢٠٠٠) ألفي دينار في الشهر . وقد نقلت باسمه كتب عديدة ..» ويورد ابن أبي اصيبعة جماعة من أكابر الأطبّاء ، ترجموا باسمه الكتب ؛ مثل يوحنا بن ماسويه ، وجبريل[2] بن بختيشوع وحبيش بن الحسن . وقالوا : إن حنين بن اسحاق ترجم له مقال جالينوس[3] : «كتاب الصوت» . وإذا كان هذا هو اهتمام ابن الزيّات في الكتب العلمية تترجم له ، فإنه ـ من غير شك ـ يكون أكثر اهتماماً باللغة والأدب والشعر ، لأن هذه ألصق بحياته في الوزارة وفي العمل من ناحية ، ولأن الأدب واللغة والنحو هواه من ناحية أخرى . لقد ألّف الجاحظ كتابه الكبير المعروف «بكتاب الحيوان» وأهداه اليه ، فأثابه بخمسة آلاف دينار .

---

١ ـ تأريخ التمدن الاسلامي ـ جرجي زيدان ٣/١٦٥ .
٢ ـ امراء البيان ـ محمد كرد علي ؛ ١/٢٩١ .
٣ ـ تأريخ التراث العربي ـ فؤاد سزكين الترجمة العربية ؛ ٢/١٩٥ .

اقتناؤه الكتب وعنايته بها

كان عصر ابن الزيات هذا ، عصر تنافس في جمع الكتب واقتنائها والتأليف فيها ، يقول ثعلب[١] : «رأيت لاسحاق الموصليّ الف جزءٍ من لغات العرب ؛ كلّها سماعه» هذا واسحاق الموصلّي له شهرته في الغناء . وقد أهدىٰ الجاحظ لأحمد بن أبي دؤاد كتابه : البيان والتبيين ، وأهدىٰ كتابه : «الزرع والنخل» لابراهيم بن العباس الصولي ، وأثيب من كلّ منهما بمثل ما أثابه ابن الزيات . أمّا ابن الزيّات فيقول عنه الجاحظ ، صديقه[٢] : «أردت الخروج الى محمد بن عبدالملك وزير المعتصم ، ففكرت في شيء أهديه اليه فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه ...» قالوا : «ووصل الجاحظ اليه ، واعلمه به قبل إحضاره ، فقال له ابن الزيّات : أَوَ ظننتَ أنَّ خزانتنا خالية من هذا الكتاب !؟ فقال الجاحظ : ما ظننت ذلك ، ولكنّها ـ أي النسخة ـ بخطّ الفرّاء ، ومقابلة الكسائي ، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ ـ يعني نفسه ـ فقال ابن الزيات : هذه أجلُّ نسخة توجد واعزُّها ..» .

وترىٰ في قول ابن الزيات : «أوَ ظننتَ أنَّ خزانتنا خالية من هذا الكتاب !؟» نوعاً من التبكيت الذي جعل الجاحظ يبين انه انما جاء بهديته هذه لا لظنه بخلو مكتبة ابن الزيات منها ، بل جاء بها لصفات رآها لا تتوفّر في غيرها من نسخ الكتاب . وواضح ان الجاحظ رأى أنّ أجمل هدية لابن الزيات هي كتاب ، ويكون هذا الكتاب بهذه الجودة أو الندرة التي تحدَّث عنها .

وفي ديوان ابن الزيّات : «... إنه استعار كتاباً جيداً[٣] ، كانت منه عنده نسخة جيّدة ، فكسره وردَّ نسخته مكانه» . ونقرأ الأبيات فتراه يشير بها الى احتجازه النسخة التي استعارها ، ويقول لصاحبه :

---

١ ـ ابن خلكان ؛ ٩٢/١ وضحى الاسلام ٦٦/٢ .
٢ ـ ابن خلكان ؛ ٤٦٣/٤ .
٣ ـ ق : ١٠ .

فإذا كتابُك قد تُخيَّر خطّه وإذا كتابي ليس بالمتخـيَّر

وإذا رسـومٌ في كتـابـك لـم تـدع
شكّـاً لـمـعتنـفَ ولا لمفكّـر

ثم يعدّد من هذه الرسوم ، ما يجعل القارىء يعذر الجاحظ على هديته التي تخيّرها ؛ يقول :

نُقَطٌ وأشكـال تبـين كـأنـهـا ندُب الخدوش تلوح بين الأسطر
تنبيك عن رفع الكلام وخفضه والنصب منه لحالـه والمصـدر
واذا كتابُ أخيك من ذا كلِّـه عـار فبئس لبـائـع ولمشتـري

المناظرات في مجلسه

وإذ بيّنا أن المأمون ، وقبله أبوه الرشيد ، كان لهما اهتمام بالمناظرة في مجالسهما ، نقول ؛ إنّ ابن الزيات أخذ في مثل هذا في مجالسه . يقول أبو عثمان المازني[1] : «اجتمعت بابن السكّيت عند محمد بن عبدالملك الزيّاتِ الوزير ، فقال محمد بن عبدالملك : سَلْ أبا يوسف ـ كنيته ابن السكيت لأن اسمه يعقوب ـ مسألة» ، فكرهتُ ذلك وجعلت أتباطأ وأدافع مخافة أن أوحشه ، لأنه كان صديقاً لي ، فألحّ عليَّ محمد بن عبدالملك ، وقال : لم لا تسأله !؟ فاجتهدت في اختيار مسألة سهلة لأقارب يعقوب ، فقلت له : ما وزْن «نكتَلْ» من الفعل في قوله تعالى[2] : «فأرسل معنا اخانا نكتَلْ» فقال : «نفعل» . فقلتُ : ينبغي أن يكون ماضيه : كَتَلَ ، فقال : لا ليس هذا وزنه ؛ إنّما هو نَفْتَعِلْ ، فقلتُ له : «نفتعل» كم حرف هو ؟ قال : خمسة أحرف . قلت : فنكتل ، كم حرف هو ؟ قال : أربعة أحرف ، فقلتُ : أيكون أربعة أحرف بوزن خمسة أحرف !؟ فانقطع وخجل وسكت .. فقال محمد بن عبدالملك ـ مشيراً الى ابن السكّيت : «فإنما تأخذ كل شهر ألفي درهم ، على أنك لا تحسن وزن «نكتل» !؟ ...»

ويرينا حديث المازنيّ هذا ، ان المازنيّ ، وهو أكبر النحاة في عصره ، كان يجتمع بابن السكّيت ، وابن السكّيت صاحب تآليف كثيرة ، منها كتابه : «اصلاح المنطق» الذي قالوا عنه : ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل «اصلاح المنطق» ؛ كانا يجتمعان في مجلس ابن الزيات ، وكان ابن الزيّات ، كما رأينا ، يلحُّ في المناظرة بينهما .. ثم نراه في ختام المناظرة يبيّن انه يعطى لابن السكيت الفي درهم كلّ شهر ، لعمله العلمي .

وفي اخبار المازني نفسه ، ما يبيّن لنا اهتمام الخليفة الواثق ، الذي يحكي اهتمام ابن الزيات ، بل قد يفوقه في هذا . قالوا : غنَّت[1] جارية بحضرة الواثق

١ ـ وفيات الأعيان : ٦/٣٩٥ .
٢ ـ سورة يوسف ، الآية : ٦٣ .

بقول العرجيّ الشاعر :

أظلومُ إنّ مصابكم رجلاً   أهدى السلام تحيةً ظلُم

فاختلف من كان بالحضرة في إعراب «رجلًا» ؛ فمنهم من نَصَبَه وجعله اسم «إنّ» ومنهم من رفعه على أنّه خبرها ، والجارية مُصرّة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقّنها اياه بالنصب . فأمر الواثق بإشخاصه .. وجاء أبو عثمان من البصرة .. وقال الواثق الخليفة ، بعد تحيته ، وسؤاله عن حاله ، وعن القبيلة المنتسب اليها : ما تقول في قول الشاعر :

«أظلومُ إنَّ مصابكم رجلًا»   أترفع «رجلًا» أم تنصبه ؟

قال أبو عثمان : فقلت بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين . فقال : ولِمَ ذلك ؟ فقلت : إن مصابكم مصدر ؛ بمعنى اصابتكم ، فأخذ اليزيديّ ـ واليزيديّ نحويّ مؤدِّب في معارضتي ، فقلت : هو بمنزلة قولك : إن ضربك زيداً ظلمٌ ؛ فالرجل مفعول مصابكم ، وهو منصوب به . والدليل عليه : أن الكلام معلّق الى أن يقول : «ظُلمُ» فيتمُّ ،.. فاستحسنه الواثق .. قال : ثم أمر لي بألف دينار وردّني مكرَّماً .

وترى من حديث المازنّي هذا ؛ أن الجواري كنَّ يؤدّبن على شيوخ في العلم ؛ مثل المازني ، وأن الجارية أصّرت على ما علَّمها شيخها المازنيّ ، وان المازنيّ استُدْعي من البصرة للسؤال عن مسألة نحويّة ، وأن الخليفة الواثق ـ والواثق عالم ، أديب ، راوية ، شاعر ـ هو الذي سأله وطلب اليه البيان بشأنها . وان اليزيديّ عارضه أو جادله فيما ذهب اليه . ثمَّ كان الخليفة الواثق هو الذي استحسن بيان المازنيّ ، وأثابه وردّه مكرَّماً .

---

١ ـ ابن خلكان ؛ ١/٢٨٣ ـ ٢٨٦ .

ابن الزيات والشعراء

في هذا الجوّ العلميّ كان يعيش ابن الزيات ، وابن الزيات لغوي نحو أديب شاعر[1] ، وكان الشعراء من أهل المديح وطُلّاب الجوائز ، يرون فيه الوسيلة لإيصال مديحهم الى الخليفة .

يقول أبو تمام :

أبا جعفر ! إن الخليفة إن يكن لورّادنا بحراً فإنك ساحلُ
تقطَّعت الأسباب إن لم تُغِزْ لها قوىً ويصلْها من يمينك واصل

ويمدحه الطائيان : أبو تمّام والبحتري ، وهما أشهر شعراء هذه الحقبة التي عاش فيها ؛ يمدحانه بالعلم خاصة وبفنّه الكتابّي . يقول أبو تمّام وكأنه يستنجد به لنُصرة أهل العلم الذين غلبهم الجهّال بكثرتهم :

أبا جعفر ! إن الجهالة أمّها
وَلودٌ ، وأُمّ العلم جدّاءُ حائلُ
أرىٰ الحشوَ والدهماءَ أضحوا كأنهم
شعوبٌ تلاقت دوننا وقبائل
غدوا وكأنَّ الجهل يجمعهم به
أبُ ، وذوو الآداب فيهم نوافل
فكن هضبةً نأوى اليها وحرّةً
يُعرّدُ فيها الأعوجيُّ المناقل

ويمدحه بأنّه عون الخليفة ، ونصير الخلافة برأيه الساهر على حمايتها :

ردَّ الخلافة في الجلّىٰ إذا نزلتْ وقيِّمُ الملك لا الواني ولا النَّصِبُ
طليعةٌ رأيُه من دون بيضتها كما انتحىٰ رابىءٌ في الغزو منتصب

---

١ - انظر حديثنا عنه في حياته اللاهية ؛ ص١٢ من هذا البحث وانظر علاقته بالحسن بن وهب ، وبهجاء الشعراء له بلقب الزيات ، وردّه عليهم .

ثم يعدّد صفاته التي ينصر بها الخليفة والخلافة :

وزيرُ حقٍّ ، ووالى شرطةٍ ، ورحا
ديوان ملكٍ ، وشيعيّ ومُحتسبُ

وصفاته هذه واضحة الأهمية لكل دولة ، وقد ختمها «بالمحتسب» وهو صاحب الحسبة الذي يبحث عن المنكرات ويُعزّر ويؤدّب على قدرها . ويحمل الناس على الاستقامة فيما يتعلّق بالمصالح العامة ؛ فينظر في أمور الغشّ أو التدليس في المعايش ، أو في المكاييل والموازين و .. وهكذا تراه يصفه بحياطته وحمايته للدولة في إدارتها وحربها وسلمها . ولا ينسى أبو تمّام بعد حديثه عن صفات ابن الزيّات هذه ان يقول :

إنَّ الخليفة قد عزَّتْ بدولته
دعائمُ الدين فليعززْ بكَ الأدبُ

ويمدحه أبو تمام بقلمه ، أو بفنّه الكتابي ، وأبيات أبي تمام التي منها :

لك القلم الأعلىٰ الذي بشباته
تصاب من الأمر الكُلىٰ والمفاصل

لا تكاد تجد كتاباً عربياً يتحدَّث عن الكتابة والقلم ، إلا وتجدها في طليعة ما يكتب ، ولشهرتها وذيوعها لا نرىٰ حاجة لكتابتها .

ويمدحه البحتريّ فيفيض بالحديث عن فنّه الكتابيّ ، يقول :

لتفننت في الكتابة حتىٰ عطَّل الناس فنَّ عبدالحميد
في نظامٍ من البلاغة(م) ما شكّ امرؤ انه نظام فريد
وبديع كأنه الزَّهر الضا(م) حك في رونق الربيع الجديد

ثم يشير الى جرس الفاظه ، ووقعها في السمع ، بقوله :
مستميل سمعَ الطّروب المعنّىٰ عن أغانّي زُرزُرٍ وعقيد

ثم يشير الى حججه ومعانيه التي تحملها ألفاظه :

حُجَجٌ تُخرسُ الألدَّ بألفا ظ فُرادىٰ كالجوهر المعدود
ومعانٍ لو فصّلتها القوافي هجَّنت شعر جرول ولبيد
حُزْنَ مستعملَ الكلام اختياراً وتجنّبن ظُلمةَ التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

وأبيات البحتري هذه تغنينا عن التعليق عليها في حسن تبيانها أو مديحها لابن الزيات في فنّه الكتابي ؛ في أسلوبه وعباراته ، وحججه ، ومعانيه وألفاظه .

ابن الزيات الشاعر

وابن الزيات كاتب ، تميَّز بفنّه الكتابي ، حتى رأينا الشعراء ، حين يمدحونه لا يكادون يفيضون في المديح وفي التفصيل فيه ، الا بالحديث عنه . ونكاد نعجب ألا نراهم يعرّجون بشيء على شعره ، مع أنه شاعر مديح مثلهم . أَتراهم لا يعرفون هذا ؟ نعم يعرفونه ، ولكن يبدو لنا أنهم وهم يمدحون ويطلبون الهديّة أو الجائزة على المديح ، لا يرون من المناسب تذكير ابن الزيات بأنه شاعر ، أو كان شاعراً ، يمدح ويطلب الجائزة أو العطيّة أيضاً . ولذا فنحن نراهم على إفاضتهم واطالتهم في مديح بيانه ، لا يشيرون الى فنّه الشعريّ ، حتى كأن الاشارة اليه تحمل في ثناياها التعريض به ، أو الاهانة له .

ولا نرىٰ ، ونحن نقدّم بهذا الحديث ديوان ابن الزيّات ، أن نغفل الاشارة الى ما رآه الأقدمون في شعره .

يقول صاحب الفخري في الآداب السلطانية :[١] «ونشأ محمد فتأدّب وقرأ وفهم ، وكان ذكيّاً ، فبرع في كلّ شيء حتى صار نادرة وقته عقلاً ، وفهماً وذكاءً وكتابةً ، وأدباً ، وشعراً» . ويقول ابراهيم بن المدبّر الوزير :[٢] «إن محمداً بن عبدالملك من ألطف الناس ذهناً ، وأرّقهم طبعاً ، وأصدقهم حسّاً ، وأرشقهم قلماً ، وأملحهم اشارة ، إذا قال أصاب ، واذا كتب أبلغ ، واذا شعر أحسن ..» ويقول الصوليّ[٣] ـ محمد بن يحيىٰ ـ في حديث ينقل عن الباهليّ : «كنا نقول : لم يل الوزارة اشعر من أحمد بن يوسف حتى ولى محمد بن عبدالملك الزيّات ، فكان اشعر منه» ويقول الصولّي في الحديث عن كتّاب بني العباس : «.. أشعر كتّاب دولتهم : ابراهيم بن العباس ومحمد بن عبدالملك الزيّات» ثم يفاضل بينهما ،

---

١ ـ ص : ٢٣٣ .
٢ ـ امراء البيان ـ ١/٢٤٨ .
٣ ـ أخبار الشعراء المحدثين ٢٠٧ .

فيقول : وابراهيم اجودهما شعراً ومحمد أكثرهما شعراً» ويقول أبو الفرج[1] ـ وأبو الفرج ناقد بصير بجودة الشعر ، عندنا : «وكان محمد بن عبدالملك شاعراً مجيداً ، لا يُقاس به أحدٌ من الكُتّاب» ثم يأخذ في المفاضلة بينه وبين ابراهيم بن العبّاس الصوليّ ، فيقول : «... وإن كان ابراهيم بن العبّاس مثله في ذلك ، فإن ابراهيم مقلّ وصاحب قصار ومقطّعات ، وكان محمد شاعراً يطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ، وكان بليغاً حسن اللفظ إذا تكلّم واذا كتب ..» ويقول الجاحظ :[2] «طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلّا غريبه ، فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما تعلَّق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما اردت إلا عند أدباء الكتّاب : كالحسن بن وهب ومحمد بن عبدالملك الزيات» وأراد ابن رشيق ـ وابن رشيق ناقد شاعر ـ ان يختار من أشعار الكتاب ، فأخذ برأي الجاحظ هذا ، وقال : «... لكنّني عوّلت على ابن الزيات وابن وهب ، لاحالة الجاحظ في الفضل عليهما ..»

هذه منزلة ابن الزيّات ، عند القدماء ، في العلم والأدب والشعر ، ونضيف اليها : أن ابن الزيّات ناقد له ذوقه وبصره في الشعر . يسمع ابا تمّام ينشده قصيدته التي يمدحه بها :

ديمــةٌ سمحــة القيــاد سَكــوبُ مستغيث بهــا الثـرىٰ المكـروب

فيقول له : «يا أبا تمام ! إنك لتحلّي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب . وما يُدَّخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازنة» .

---

١ ـ الأغاني ؛ ٢٢/٤٦١ .
٢ ـ العمدة ـ لابن رشيق القيرواني ؛ ٢/١٠٥ .
٣ ـ أخبار أبي تمام للصولي ١١٧ .

ويقول الحسن بن وهب[1] : «دخل أبو تمّام على محمد بن عبدالملك فأنشده قصيدته :

لَهانَ علينا أنْ نقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل عنك وتفضلا

فلما بلغ قوله :

ووالله ! ما آتيك الا فريضةً
وآتي جميع الناس إلّا تَنفُّلا
وليس امرؤ في الناس كنت سلاحه
عشيَّةَ يلقى الحادثات بأَعزلا

قال له محمد : أما والله ! ما أحبّ بمدحك مدح غيرك ؛ لتجويدك ، وابداعك ، ولكنّك تنغّص مدحك ببذله لغير مستحقّه ، فقال أبو تمّام : لسان العذر معقول ، وإن كان فصيحاً . ومرَّ في القصيدة .. فأمر له بخمسة آلاف درهم» .

ويبدو لنا أنّ ابن الزيات ، وقد طرب لمدح أبي تمّام هذا ، حتى لم يستطع أن يمنع نفسه من مقاطعته في انشاده ، تذكّر مديحه لاحمد بن أبي دؤاد خصمه ، ولعلَّه عناه بقوله : «ببذله لغير مستحقه» . وما أجمل ردّ أبي تمّام عليه في قوله : لسان العذر معقول وان كان فصيحاً .

ونختم الحديث عن ابن الزيات وشعره ، بأن نعيد رأي الصولي في المقارنة بينه وبين ابراهيم بن العباس ، في قوله : «وابراهيم أجودهما شعراً ومحمد أكثرهما شعراً» بأن نقول : إن لشعر ابراهيم ليطة في القلب لا نحسّها في شعر ابن الزيات ؛ فابراهيم شاعرٌ شاعرٌ . على اننا نقول أيضاً : إنَّ الذي وصلنا من شعر ابراهيم قليل ، بالقياس الى ما وصلنا من شعر ابن الزيات . ويبدو أن هذا القليل إنّما هو قطع قصار مختارة من عيون شعر ابراهيم . لقد جمع له ياقوت في

---

١ ـ أخبار أبي تمام للصولي ؛ ص١١٨

معجم الأدباء نحواً من مائة وعشرين من الأبيات ، موزّعة على قطع تتراوح بين البيتين والأربعة ، باستثناء قطعة واحدة في عشرة أبيات في مديح الفضل بن سهل .

وعندنا ان ابن الزيّات ، في ديوانه هذا الذي وصلنا ، ولا نراه يشمل حياته كلّها ، يمكن ان ينتخب منه أكثر مما وصلنا من شعر ابراهيم الجيد . وعلىٰ هذا فنحن أميل الى رأي الجاحظ ورأي أبي الفرج في شعر ابن الزيات .

ونأخذ ببعض البيان في هذا فنقول : إن بعض أشعار ابن الزيات في الخمر ، لو وضعت بجانب خمريّات ابي نواس ، أو بجانب خمريّات الحسين بن الضحّاك ، وهما أشهر شعراء الخمر ، لصعب التمييز بينها وبين أشعارهما . وإن له في العشق من القصائد ما يمكن أن يوضع بجانب قصائد عشّاق العرب المشهورين . وله قطع قليلة في الرثاء ولكنها بالغة التأثير أيضاً .

أما شعره في المديح فنراه ، وإن احتفل له وأعمل الفكر في اطالة قصائده ، واختيار الغريب في ألفاظه ، واحتذىٰ به حذو الشعراء الجاهليين في معانيه ، ليس شيئاً بجانب أشعار المديح لمشهوري الشعراء ، وكذلك شأنه في شعر الهجاء .



ديوان ابن الزيات

سبق لي أن نشرت ديوان ابن الزيات عن نسخة خطيّة واحدة محفوظة بدار الكتب القومية بالقاهرة ، برقم : ٢٩٧ شعر تيمور ، تشتمل على تسع وسبعين صحيفة ، في كل صحيفة تسعة عشر سطراً .

وهي مكتوبة بخط واضح ، حسن ، مقروء . ولكنها ـ كما سبق ان بيّنا ، كثيرة التحريف والخطأ . ويبدو أن ناسخها كان قليل الحظّ من اللغة العربية ، وربّما كان غير عربي أيضا ؛ لأن بعض أخطائه الكتابية ترينا أنه ينسخ ما قد لا يفهم له معنى ، على شدّة وضوحه . ومثال هذا : في مقدمة القصيدة السابعة : «وقال في أبي دهمان «المفتى» مع ان السطر الثاني من القطعة :

إذا غنّى وهَزْهَزَ منكبيه وأَعجب واطمأنَّ به الوساد

يوضّح ان الحديث عن الغناء والمغنّي . ويقول ابن الزيات في المغنّى هذا يهجوه بكبر أنفه ، في القصيدة التاسعة والعشرين : «قل لعيسىٰ أنف أنفه ..» يقول :

انت لو تستنشق الثو ر بقرنيه وظلفه

فيكتبها : «بقرينة وظلقه» مع اللفظتين قد سبقتا بلفظة «الثور» وهو يكتب هذا وأمثاله بغاية العناية وغاية الوضوح ، بحيث لا يترك مجالاً للقارىء في التصوّر أنه استعجل أو أهمل أو سها .

لقد تحدثت في مقدمة الطبعة الأولى عن صعوبة الاهتداء الى الخطأ في هذه النسخة الواضحة الخط الجيدة الكتابة ؛ لأن القارىء لا يرى لفظة مطموسة ، أو غير واضحة الكتابة ، فيتوجّه اليها ليحلَّ الغموض في النص الذي يواجهه . ومن عجب أن يكون وضوح الخطّ في هذه المخطوطة هو أوّل أسباب الغموض

فيها .

لقد اعتاد النسّاخون العرب والمسلمون ان يختموا الكتب التي ينسخونها بالشكر للّه ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وان يشيروا الى تأريخ فراغهم من الكتابة أو النسخ . ويشيرون ، في كثير من الأحيان ، الى المدينة التي كانت فيها الكتابة ، والى النسخة التي نسخوا عنها . وقد يشيرون الى المملي ، وإلى الفراغ من المقابلة أيضا . وقد يذكر الناسخ اسمه ، ويدعو لنفسه بالثواب والرحمة والغفران و .. أما ديوان ابن الزيات في نسخته هذه ، فكل ما جاء في ختامها ، هو : «نجز شعر محمد ابن عبدالملك الزيّات بأسره ، وصلّىٰ الله على سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم م» .

علىٰ أننا بعد القطعة السادسة والثمانين ، وهي بيتان فقط ، نجد : «مضىٰ ما أخذ من اختيار الجاحظ ومن كتاب ابي الحسين الخصيني» أترى الجاحظ له مجموع اختار فيه اشعار ابن الزيات[1] ؟ واذا كان هذا فأين هو هذا المجموع ؟ ومَن هذا الذي أخذ منه ؟ وأين ومتىٰ وجده ؟ ثم مَن هو أبو الحسين الخصيني هذا ؟ وأين كتابه ؟ ثم من أين جاء ناسخ الديوان ببقيّة أشعار ابن الزيات ؟ هذه كلها أمور لم يسعفنا الحظّ في الاهتداء اليها . لقد رجونا ، منذ أربعين عاماً ، ان يكشف الزمن عن نسخ أخرىٰ لديوان ابن الزيات تهدينا الى هذا ، ومع كثرة ما وجد من المخطوطات العربية من ذلك التأريخ ، فإننا لم نعثر على جديد بشأنه .

وعدت الآن الى النسخة القديمة ، ودفعني الى إعادة النظر فيها ان توالت عليَّ الأسئلة من أهل العلم يسألون عن ابن الزيات وشعره ، وعجبت أن ترد بعض هذه الأسئلة من غير بلاد العرب ؛ من البرازيل ، ومن ألمانيا ، ومن روسيا .. فرأيت من حق ابن الزيات عليَّ ان أعيد النظر في ديوانه هذا .

كان الأوائل من أسلافنا ، رحمهم الله ، يأخذون العلم سماعاً ورواية عن

---

١ ـ انظر حديث ابن رشيق ، في ص : ٤٥ من هذا البحث .

شيوخهم . ومما مدح به أبو نواس شيخه خلف الأحمر ، أو رثاه ، أرجوزته : «أودىٰ جِماعُ العلم مُذْ أوْدىٰ خَلَفْ» .

وفي الأرجوزة : ان علمه بالرواية لا بالأخذ من الصحف :

فكلَّما نشاء منه نَغْترف رواية لا تجتنىٰ من الصُّحُفْ

نقول : وما كانوا ليروا هذا إلا لعلمهم بمقدار ما يتعرّض له الدارس يأخذ علمه من صحيفة يقرؤها . ومما يدور في كتبهم أنّ الأصمعيّ قرأ على شيخه أبي عمرو بن العلاء بيت الحطيئة :

وغررتني وزعمتَ أنّك لابنٌ بالصيف تامر

أي انك كثير اللبن وكثير التمر في الصيف . وابتسم أبو عمرو ، إذ رأىٰ الأصمعيَّ صحف قول الحطيئة الى هذا الذي قرأه . وبيت الحطيئة هو :

وغررتني وزعمت انك لا تني للضيف تأمر

يريد : لا تتوانىٰ عن ضيفك تأمر بتعجيل القرىٰ اليه .

وقالوا : ان التصحيف كما وقع في اللغة وقع في الحديث الشريف ، مع شدّة العناية والاحتراس فيه ، حتى رووا عن الامام أحمد بن حنبل قوله : «وَمَن يعرىٰ من الخطأ والتصحيف !؟» .

أنا أقول هذا لأعتذر عما يرد في ديوان ابن الزيّات في نسخته هذه التي تحدثت عنها ، من تصحيف أو تحريف ، في الألفاظ أو في الأبيات . ولعلَّ بعضها مما يصعب الاهتداء الى التصحيف فيه ، بل لعلَّ القارىء يحار في أيّ وجه من التصحيف يأخذ . جاء في القصيدة السادسة والأربعين :

إنّ مولاىٰ عبد غيري ولولا شؤم جدّى لكان مولاى عبدي

جاء التصحيف في «.. «عند» غيري ... «عندي»

إن الحديث في الأبيات عن أحد الغلمان ، وقد اشترك في حبّه ـ كما قالوا ـ الحسن بن وهب وابن الزيّات ، والغلام عند الحسن بن وهب ، ونسبوا هذا القول الى ابن الزيات . أترانا نلوم التصحيف في هذا ، وهل من سبيل الى ترجيح أحد الرأيين فيه !؟

وفي هذه القصيدة نفسها ؛ في البيت الثاني :

فَلَعمري إن كان قولك فيما قلتَ حقاً لقد «تعتَّيت» بعدي

هذه هي رواية الديوان : «تعتَّيت» . وقد تفضّل أحد الزملاء الأفاضل فرأى في «تعتّيت» تصحيفاً أو خطأً كبيراً ، وبين إنما هي «تفتّيت» من الفتوَّة . إن الحديث عن الاشتراك في حبّ أحد الغلمان ـ كما بينا ـ والمتحدثان صديقان في سنٍّ متقارب من العمر ، «فالفتوة» واردة في هذا المقام ، ولكن لعلَّ «العتوّ» أنسب منها ، وهو الذي جاء في المخطوط . وفي القاموس المحيط : «عتا عتواً : استكبر وجاوز الحدّ ، فهو عات . قال : وعتوتَ لتعتَّيت» . ونحن على شكرنا للزميل الفاضل نقول : جاء هذا البيت في كتاب الأغاني ؛ ٢٧/٩٢٤٩ط : ابراهيم الابياري ؛ جاء مروياً هكذا :

.... لقد «تغيّرت» بعدي

وفي الحاشية في التعليق على : «تغيّرت» هذه :

في التجريد : «تعدّيت» وفي اخبار أبي تمّام : «تطرَّفت» وفي فوات الوفيات : «تطرَّقت» وفي هبة الأيام : «تفنّنت» وفي العقد الفريد : «تفتّيت» .

هكذا جاء كل هذا التصحيف في لفظة واحدة ، ثم انظر البيت كيف روىٰ في الأغاني :

فلئن كنت في المقال محقّاً يا ابن وهب لقد «تغيّرت» بعدي

فكأن الراوي احتفظ ببعض المعنىٰ وببعض اللفظ فحاك منهما البيت

بروايته هذه . ويجب ألاّ يغيب عنّا انّ مثل هذا الشعر ، هو مما قد يرد أو ينشد في الغناء ، وقد يكون المغنّى في نشوة تذهب به ذات اليمين وذات الشمال ، فلا يبالي في غير استقامة النغم فيما يقوله ، وقد يُحفظ هذا عنه ويُروىٰ ..

انا اقول هذا كلّه لأبيّن ان التصحيف وارد ، وفي أوسع الأبواب في نسخة الديوان هذه التي أشرنا الى أسباب غموضها أو اضطرابها . وأبين أيضاً أنني أرحّب بسماع ما يتفضّل به أهل العلم فيما يرون فيه التقويم والتصحيح ، وأرجو أن يظل على ذكرنا جميعاً ، وقوله تعالىٰ : «وفوق كلّ ذي علم عليم» .

يرحم اللّه ابن الزيّات ! فليس لدينا غير ان نترحّم عليه ونعتذر اليه ، ونقول : إننا لم نرد غير الاحسان اليه . لقد قالوا : من أسباب نكبة عبدالله بن الحسن الاصبهاني الكاتب أنه نقد «لفظة» لابن الزيات بقوله : «ذهب الى حرفته ؛ حرفة التجارة في الحديث عن الربح والخسارة» تُرىٰ ماذا عساه يقول لو رأىٰ ألفاظه تصحّف كل هذا التصحيف !؟ أتراه يعذرنا ؟ أم تراه يجمع أهل اللغة والأدب للمناظرة فيها على نحو ما جمع «ابن السكّيت» و«أبو عثمان المازني» ؟

وتفضل أحد الزملاء الكرام فنّبه مع ملاحظات له ، الى أبيات أو قطع شعرية وردت في بعض كتب الأدب ، وقد نسبت لابن الزيات ، أو نسبت له ولغيره ، وهي غير موجودة في نسخة ديوانه هذه . ونحن مع شكرنا لهذا التنبيه وما افدنا منه ، نبيّن : أن في نسخة الديوان نفسها ، أبيات أو مقطوعات نسبت لغير ابن الزيات أيضاً . وعلى سبيل المثال ، نقول : إن القطعة الحادية عشرة : «الآن قام على بغداد ناعيها ..» قد وردت في ديوان أبي تمام ، ص٤٢٠ط : دار الكتاب اللبناني ، والقصيدة السابعة والسبعون : «نزلت بالخائنين سنة ..» قد جاء في الأغاني : انها لأحمد بن أبي فنن وهذا الشعر الذي لم يرد في نسخة الديوان ، ونُسب اليه ، أو نسب اليه والى غيره بحاجة إلى إعادة تحقيق . فأبياته في رثاء أبي تمام ؛ في القطعة : «نبأ أتىٰ من أعظم الأنباء» .. قال ابن خلكان

(١٨/٢) في الحديث عن أبي تمام : «ورثاه محمد بن عبدالملك الزيات .. وقيل : إنها لأبي الزبرقان عبدالله بن الزبرقان الكاتب مولىٰ بني أمية» والقطعة : «قالوا جفاك فلا عهد ولا خبر» التي نسبها صاحب الأغاني [٢٧/ ٩١٨٩] لمحمد بن عبدالملك ، عاد فنسبها لأبي تمام ، والأبيات : «كتبت على فصّ لخاتمها ...» رواها صاحب أمراء البيان ؛ ١/ ٣٠٥ وأشار الى أن بعضها في الموشّىٰ ، وفي كتاب الزهرة هذه القطعة موجودة في ديوان أبي نواس ص٢٦٠ط : دار الكتاب العربي - بيروت .

ويبدو لنا أن بعض هذه القطع ، يقرؤها ابن الزيات أو غيره ، تمثلاً بها ، وتسمع منه فيظن ، وهو شاعر ، أنها له .

نقول : إن هذه الأبيات التي تنسب لابن الزيات ولغيره بحاجة الى تعمّق في التحقيق . وقد سبق ان تفضّل أستاذنا المرحوم أحمد أمين بك في احدى محاضراته لنا ، فبيّن أن أحد المستشرقين الألمان أنفق سنين يحقق في الشعر المنسوب الى أبي نواس في «ألف ليلة وليلة» ...

وعسانا نستطيع ، أو نرى من يستطيع أن يقوم بهذا ، وفي الأشعار المنسوبة لابن الزيات .

وأجمل ما عملته في هذه الطبعة :

١ - كان الديوان في طبعته السابقة ، مرتبا بحسب أواخر الأبيات وقد رتبته بهذا ليسهل على القارىء الاهتداء الى ما يريد من قصائده . أما في هذه الطبعة فقد أعدت ترتيبه على النحو الذي هو عليه في المخطوطة ، على أمل ان يكشف الزمن عن جامعها ، ويكون له رأي في ترتيبها على هذا النحو .

٢ - كنت اقتصرت في نشرة الديوان الأولىٰ على ما وجدته في المخطوطة الوحيدة ، التي بينت في مقدمتها : ان ما فيها من أشعار ، لا يمثل حياة ابن الزيات كاملة . وقد الحقت بهذه الطبعة ، بعض ما نسب لابن الزيات ، أو نسب

اليه والى غيره ، مما لم يرد في المخطوطة . ويسرّني ان ابدي شكري للزملاء الذين تفضّلوا بالتنبيه على هذا في ملاحظاتهم ، ومنها تلك التي أشرت اليها .

٣ ـ قرأت كل ما استطعت مما وصل الى يدي مما يتعلَّق بابن الزيات ، وكتبت عن حياته هذه الكتابة المفصّلة التي جعلتها في مقّدمة الديوان ، ورجوت بها ان تعين القارىء على زيادة في الاحاطة والفهم لشعر ابن الزيات .

٤ ـ أعدت قراءة الأبيات الشعرية ، وشرحت فيها ما رأيته يزيد في فهم القارىء للنصّ ؛ سواءً أكان ذلك يتعلَّق بلفظة لغويّة أو بحدثٍ أو حادثة ، أو عَلَم من الأعلام أو ما إلى ذلك ..

واختم كلمتي هذه بأن أسأله ـ سبحانه ـ أن يجعل علمنا هذا نافعاً ، وأن يهدينا الى ما فيه الخير ، وهو ـ وحدَه ـ الهادي والدليل .

جميل سعيد

أبوظبي في

٢٠ تموز ١٩٩٠م

ديوان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات

بعناية الدكتور جميل سعيد

مقدمة الديوان
في الطبعة السابقة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب
في الطبعة الأولى

جاء في عمدة ابن رشيق[1] ؛ قال الجاحظ : «طلبت علم الشعر عند الأصمعي ، فوجدته لا يُحسن إلا غريبه ؛ فرجعت إلى الأخفش ، فوجدته لا يتقن إلا إعرابه . فعطفت على أبي عبيدة ؛ فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتّاب ؛ كالحسن بن وهب ومحمد بن عبدالملك الزيات . «وعلق الصاحب على حكايته هذه بقوله : فلله أبو عثمان ! لقد غاص على سر الشِّعر ، واستخرج أرقّ من السحر» وقال ابن رشيق : «وسأذكر من أشعار الكُتاب قطعة يظهر فيها مرماهم ، ويُستدلّ بها على مغزاهم ، ويعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب اليه من تفضيلهم ، ويشهد لي بجودة الميز ، وفرط التثبت والإنصاف إن شاء الله تعالى ..» .

واختار ابن رشيق ، وأحسن الاختيار ، وعقّب على اختياره بقوله : ولو حاولتُ ان أذكر مَن علمتُ من شعراء الكتاب ، سوى من ذكرت لبُعدَ الأمد وطالت الشقة ، واحتجت إلى أن أقيم لهذا الفن ديواناً مفرداً ، لكنني عوّلت على ابن الزيات وابن وهب لإحالة الجاحظ في الفضل عليهما ..» .

كنتُ قد قرأت هذا حين وقع نظري على نسخة خطية أنيقة من ديوان ابن الزيات في مكتبة تيمور باشا بدار الكتب المصرية . وقد بادرت إلى نسخها . فإذا هي قد حُشيت بالأغلاط حشواً ، وزاد في عسر الاهتداء إلى الصواب منها . أنني كنت اقرأ فلا أدري أين موطن التصحيف والخطأ ، لأن الكاتب قد رسم الحروف واضحة حتى لم يدع مجالاً لشك القارىء في كلمة بذاتها ، وهكذا رأيت هذه

---

١ ـ العمدة ٢/١٠١ ـ ١٠٥ طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد .

الكتابة الجميلة الواضحة قد أشاكت طريق الصواب عليّ ، ولطالما تمثلت ببيت أبي الطيب ، وأنا أجيل النظر في ألفاظ البيت ، لأرى موطن التحريف والمسخ فيه ، وأعجب من شدة الوضوح تكون شدة في الغموض :

أخذ الجليد بها عليّ مسالكي فكأنها لبياضها سوداء

وعلمت بوجود نسخة أخرى بدار الكتب المصرية ، وطمعت أن أقارن النسخة التي كتبتها عليها . وحصلت ـ وأنا في بغداد ـ على نسخة مصورة منها ، فإذا هي صورة حرفية للنسخة التي عندي ، وكأن الناسخ قد كتب نسختين ؛ دفع إحداهما إلى دار الكتب ، ودفع الأخرى إلى مكتبة تيمور باشا .

على أنّي لم أيأس من معرفة النسخة القديمة التي أخذت عنها هاتان النسختان ، وقد بحثت فيما وقع بيدي من فهارس أمهات المتاحف والمكتبات في العالم . وآسف أن أقول إنني لم أهتد الى نسخة من ديوان ابن الزيات فيها . وترددتُ في نشرها ، ثم رأيت نشرها وتحقيقها بما في الطاقة والوسع ، أفضل من بقائها في زوايا النسيان .

وقد أصلحت منها ما استطعت ، وأشرت إلى النص كما هو موجود في الأصل ، وتركت ما لم أهتد إلى وجه في إصلاحه على حاله ، عسى أن يكشف الزمن عن نسخة أخرى من ديوان هذا الشاعر ، يُهتدى بها إلى مواطن الصواب في النسخة التي بين يدي القارىء .

وأمر آخر في النسخة أشير إليه ، هو أن هذا الشعر لا يمثل حياة ابن الزيات كاملة ، وربما كان له شعر غير هذا لم يجمعه جامعه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإني وجدت بعض القصائد لم تنسجم أبياتها ، ويخيّل إليّ أنها قد سقطت منها أبيات أحدثت هذا الخلل ، أو أنها قد أخل بترتيبها ، وهذا ما نرجو أن يكشف عنه أيضا ، حين نعثر على نسخة قديمة من ديوان هذا الشاعر

وبعدُ ، فمن هو ابن الزيات هذا ؟

هو أبو جعفر ، محمد بن عبدالملك بن أبان ، كان أبوه تاجراً كبيراً من تجار الكرخ ، ركن إليه ابراهيم بن المهدى ـ فيمن ركن إليه من التجار ـ لاقتراض المال ، حين ثار البغداديون على المأمون ، يوم كان بمرو ، وخلعوه ونصبوا إبراهيم بن المهدي خليفة ، وقد أعوز ابراهيم المال لسدّ نفقات الجند ، فاضطر إلى الاستدانة والاقتراض .

وكان هذا الأب ـ على ما يظهر ـ راضياً بحياته ، ولذا أراد أن يكون ابنه محمد تاجراً مثله . وطالما عنّفه على مزاولته حياة الأدب ، وقال له : «والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك ، وليضُرنّك ؛ لأنك تدع عاجل المنفعة ، وما أنت فيه مكفّى ، ولك ولأبيك فيه مال وجاه ، وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه» وكان محمد يقول له : «والله لتعلمنّ أينا ينتفع بما هو فيه ؛ أأنا أم أنت ، ثم شخص محمد إلى الحسن بن سهل ، بفم الصلح ، فامتدحه بقصيدته التي أولها :

كـأنها حـين تنثى خطوهـا اخنس موشىٌّ الشوى يرعى القلل

فأعطاه الحسن عشرة آلاف درهم ، فعاد إلى أبيه ، فقال له أبوه : «لا ألومك بعدها على ما أنت فيه» .

وسار ابن الزيات في طريق الأدب ، واتخذه سلاحاً ينتصر به . ذهب إلى إبراهيم بن المهدي ـ بعد فشل ثورته ، ومجيء المأمون إلى بغداد ـ يطالبه بردّ مال أبيه الذي اقترضه ، وكان عشرة آلاف درهم ، فقال له ابراهيم : «إنما أخذتها للمسلمين ، وأردت قضاءها من فيئهم ، والأمر الآن إلى غيري ، فعاد إليه ابن الزيات بقصيدته :

ألم تر أن الشيء للشيء علة تكون له كالنار تقدح في الزند

والقصيدة تغري المأمون بعقاب ابراهيم وقتله ، فكان أن أذعن إبراهيم ، ورجاه أن يكتم القصيدة ، وقال : «خذ مني بعض المال ونجِّم بعضه عليّ ، ففعل محمد بعد أن حلّفه ابراهيم بأوكد الأيمان ألا يظهر القصيدة في حياة المأمون .

واتصل ابن الزيات برجال الدولة ، وعلا نجمه حتى بلغ به أن وزر ثلاث دفعات ، وهو أول من تولى ذلك وتمّ له . ولما تولى الوزارة اشترط ألا يلبس القباء ، وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفاً بحمائل ، وقد أجيب إلى ذلك .

وكان في وزارته جباراً متكبراً ، غليظ القلب ، خشن الجانب مبغضاً إلى الخلق ، ـ ولكنه كان على هذا ـ رجلا لا نظير له في عصره ؛ مات المعتصم ، وهو وزيره ، وكان المعتصم قد أمر لابنه الواثق بمال ، وأحاله على ابن الزيات فمنعه ، وأشار على المعتصم أن لا يعطيه شيئاً ، فقبل المعتصم قوله ، ورجع فيما كان أمر به للواثق من ذلك . وعلم الواثق بما كان ، فكتب بخطه كتاباً حلف فيه بالحج ، والعتق والصدقة ، أنه إن ولى الخلافة ليقتلنّ ابن الزيات شرّ قتلة . ثم كان أن ولي الخلافة ، فلم يجد بداً من أن يستبقي ابن الزيات ، ويكفر عن يمينه ، مخافة أن لا يجد مثله رجلا يصلح للملك .

ولقي ابن الزيات يدبّر أمور الدولة في حياة الواثق ، وكان أن غضب الواثق على أخيه جعفر المتوكل ، فصار جعفر إلى ابن الزيات يسأله أن يكلم له أخاه الواثق ليرضى عنه ؛ فلما دخل عليه مكث واقفاً بين يديه ملياً لا يكلمه ، ثم أشار إليه أن يقعد فقعد ، فلما فرغ من نظره في الكتب ، التفت إليه كالمهدِّد له ، وقال : «ما جاء بك» قال : «جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضى عني» فقال لمن حوله : انظروا إلى هذا ؛ يُغضِب أخاه ، ويسألني أن أسترضيه له ! اذهبْ ؛ فإنك إذا صلحت رضي عنك» فقام جعفر حزيناً ، لما لقيه من قبح اللقاء ، والتقصير به .. وذكر الطبري[1] : أن محمد بن عبدالملك كان كتب إلى الواثق ـ حين خرج جعفر من عنده ـ «يا أمير المؤمنين أتاني جعفر بن المعتصم . يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضى عنه في زيّ المخنثين ، له شعر قفا» فكتب إليه الواثق : «ابعث إليه فأحضره ، ومر مَن يجزُّ شعر قفاه ، ثم مر من يأخذ من شعره ويضرب به وجهه ، واصرفه إلى منزله ..» .

---

١ ـ انظر ٢٨/١١ وما بعدها .

وفعل ذلك بالمتوكل ، وهي فعلة كبيرة تستوجب الحقد والنقمة . وطبيعي - بعد هذا - أن يحاول ابن الزيات صرف الواثق إلى عزل المتوكل وأخذ البيعة لابن الواثق ، لما كان يخشاه من سوء العاقبة .

هذه الفعلة الكبيرة ، جوزي عليها ابن الزيات شر الجزاء ؛ تولى المتوكل الخلافة فأمر بحبسه ، وبمصادرة أمواله ، ثم قيّده بحبسه ومنعه الطعام والشراب والنوم ، وأدخله تنّوراً من خشب ، فيه مسامير من حديد ، ولاقى في حبسه هذا أهوالاً يقشعرّ لها الجلد .

واختلفوا في الذي قتل به ، وقيل إنه بطح ، فضُرب على بطنه خمسين مقرعة ، ثم قلب فضرب على أسته مثلها ، فمات وهو يضرب ، وهم لا يعلمون .

وذكروا عن مبارك المغربي ، أنه قال : «ما أظنه أكل في طول حبسه إلا رغيفاً واحداً ، وكان يأكل العنبة والعنبتين» قال : وكنت أسمعه قبل موته بيومين أو ثلاثة ، يقول لنفسه : «يا محمد بن عبدالملك لم يقنعك النعمة والدواب الفرّه ، والدار النظيفة والكسوة الفاخرة ، وأنت في عافية ، حتى طلبت الوزارة ، ذقْ ما عملت بنفسك» وكان يكرر ذلك على نفسه ، فلما كان قبل موته بيوم ذهب عنه عتاب نفسه ، فكان لا يزيد على التشهد وذكر الله» .

والذي يبدو لنا من شعره ، أنه قام بأعباء الوزارة قياماً لم يدع فيه مطعناً لأعدائه ؛ نرى الشعراء حين يهجونه لا يجدون أكثر من أن يعيروه بأنه تاجر ، وأنه ابن زيات ، وما إلى هذا :

يقول عليّ بن جبلة معرضاً به :

يا بائع الزيت عرِّج غير مرموق لتشغلنّ عن الأرطال والسوق

ويقول آخر :

هذا، وأنت ابن زيّاتٍ تصغرنا فكيف لو كنت يا هذا ابن عطار

وكان ابن الزيات يردُّ على الشعراء بشعره ، وتجد هذا يدور في ديوانه

وكانت الخصومة عنيفة بين ابن الزيات، وأحمد بن أبي دؤاد. لجّ ابن الزيات في هجاء أحمد، وأحمد ـ على ما يبدو لنا ـ لم تكن له شاعرية ابن الزيات، ولذا كان يجمع الشعراء ويحرّضهم على هجائه، ويصلهم، ويروون لابن أبي دؤاد في ابن الزيات:

أحسن من خمسين بيتاً سدىً   جمعك إياهنّ في بيت
ما أحوج الملك إلى مطرة   تذهب عنا وضر الزيت

ويظهر أن ابن الزيات أشد ما يكون فزعا، حين يعرّض به هذا التعريض. يقولون إن عبدالله بن الحسن الأصبهاني، قرأ كتاب ابن الزيات إلى عبدالله بن طاهر: «وأنت تجري أمرك على الأربح فالأربح، والأرجح فالأرجح، لا تسعى بنقصان، ولا تميل برجحان ..» فقال الأصبهاني: «قد أظهر من سخافة اللفظ ما دلّ على رجوعه إلى صناعته من التجارة بذكر الربح والسلع؛ ورجحان الميزان، ونقصان الكيل، والخسران من رأس المال» وقد حقدها عليه ابن الزيات، ونكبه.

وبعدُ، أفكان ابن الزيات من المكانة الشعرية بالمحل الذي ذكره به الجاحظ والصاحب وابن رشيق؟

إن أشعاره التي في ديوانه هذا، لا نراها تضعه في مصاف الشعراء المطبوعين، وقد لجّ الهجاء بينه، وبين علي بن جبلة، والقارىء حين يقرؤه، يجد الفرق واضحاً بين ابن الزيات. وبين الشاعر المطبوع علي بن جبلة. على أننا نستطيع أن نقول كما قال أبو الفرج: «كان محمد بن عبدالملك شاعراً مجيداً، لا يقاس به أحد من الكتاب ..» نعم، نستطيع أن نقول إنه أشعر الكتاب، كما قيل إن ابن دُرَيْد أشعر العلماء، أما أن نميِّزه على الشعراء المطبوعين؛ أمثال جرير، وأبي نواس، والبحتري ومن إليهم، فذلك ما نستكثره عليه.

على أني أشهد أن الرجل شاعر لا يبارى، إذا هاجت عواطفه، وأن قصائده في رثاء أم ابنه عمر تعدُّ من أحر أشعار الرثاء وأصدقها، ومَن هذا الذي

لا يهتز لقوله :

يقول لي الخلان: لو زرت قبرها   فقلت: وهل غير الفؤاد لها قبر !؟
على حين لم أحدث فأجهل قدرها   ولم أبلغ السن التي معها الصبر

أو لقوله في نونيته المشهورة :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه   بعيد الكرى عيناه تنسكبان
رأى كل أم وابنها غير أمه   يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً في الفراش تجنه   بلابل قلب ، دائم الخفقان.
فلا تلحياني إن بكيت فإنما   أداوي بهذا الدمع ماتريان

واذا كان من المعروف أن كثيرا من شعراء العربية ، يجيدون اللعب على وتر واحد من أوتار العواطف ، فالأخطل مثلا يجيد مدح الملوك ، وأبو نواس يجيد إذا قال في الخمر ، وأبو العتاهية يجيد في الزهد .. إذا كان المعروف هذا ، فإننا نستطيع أن نقول : إن ابن الزيات شاعر لا يجارى حين يقول في الرثاء ، وما يتصل به من المعاني الحزينة . ونحن بهذا نقر ما جاء من الثناء على شاعريته .

كيف لا وهو القائل :

ألم تعجب لمكتئب حـزيـنٍ   خدين صبابة ، وحليف صبر
يقول إذا سألتً به : بخير   وكيف يكون مهجور بخير !؟

وأشعاره الوجدانية كلها من هذا الجيد ، الذي يظهر فيه الصدق الأدبي ، وتتضح عواطفه الحزينة على القارىء ، فيشارك ابن الزيات شعوره الحزين الذي نظم به شعره .

وناحية أخرى تظهر في ديوان ابن الزيات هذا ، وربما كانت نواة لما قيل من الشعر الهزلي ، الذي كثر في القرن الرابع الهجري . تراه ـ على جلالة قدره ـ

يرثى بغله ، الذي مدح للخليفة المعتصم فبعث في طلبه . وتراه في قوله : حين ذهب إلى أحد المقينين فوجد في بابه برذونا ، وعلم أنه باع القينة ، واشتراه بثمنها :

شرح ديوان
الوزير محمد بن عبدالملك الزيات

حققه وشرحه وقدّم له
الدكتور جميل سعيد



بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

قال محمد بن عبدالملك الزيات يمدح الحسن بن سهل :[١] (الرجز)

كـأنَّها حـينَ تناءى خطـوُهـا   أَخْنَسُ مَوشيٌّ الشوى يرْعى القُلَلْ[٢]
بـاتت له من شُـرَطِيّ ليلـةٌ   جادتْ عليه سَبَلا بعد سَبَل[٣]
أَلْجأه اللَّيلُ إلى حِقْفِ ثـرى   وَفيه صِرٌ ذاتُ حَتفٍ وَوَجَلْ[٤]

---

١ ـ قال ابوالفرج : «أخبرني الأخفش عليّ بن سليمان ، قال : حدثني عمر بن محمد بن عبدالملك ، قال : كان جدّي موسراً من تجار الكرخ ، وكان يريد من أبي أن يتعلق بالتجارة ويتشاغل بها ، فيمتنع من ذلك ويلزم الأدب وطلبه .. فقال له : والله ما أرىٰ ما أنت ملازمه ينفعك وليضرنّك ؛ لأنك تدع عاجل المنفعة ، وما أنت فيه مكفيّ .. وتطلب الآجل الذي لا تدري كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلَمنَّ أينا ينتفع بما هو فيه . أنا أم أنتَ . ثم شخص الى الحسن بن سهل «بفم الصّلح» فامتدحه بقصيدته التي أوّلها : «كأنَّها حين تناءىٰ خطوها ..» فأعطاه عشرة آلاف درهم ، فعاد بها الى أبَيه فقال له أبوه : لا ألومك بعد هذا على ما أنت فيه . الأغاني ؛ ٢٢/ ٤٦٤ . والحسنَ بن سهل ، هو أخو الفضل بن سهل ؛ وزير المأمون . يقول ابن الأثير في أحداث سنة ١٩٨هـ : «وفي هذه السنة استعمل المأمون الحسن بن سهل على كل ما كان افتتحه طاهر من كور الجبال ، والعراق ، وفارس ، والأحواز والحجاز ، واليمن بعد أن قتل الأمين» الكامل ٥/ ٢٩٨ .

٢ ـ أخنس ، في الأصل : «احنس» والأخنس : هو الثور الوحشيُّ ، ومؤنثه : الخنساء . والخَنَسُ : هو انخفاض قصبة الأنف . وموشيٌّ : من قولهم : «ثوب موشّى» : منقش الألوان . والشوىٰ : اليدان والرجلان والأطراف . والقُلَلُ : جمع القُلَّة : وهي أعلى الجبل .

٣ ـ الشُرَطيّ ؛ من الشرط : وهو مسيلٌ صغيرٌ يجيء من قدر عشرة أذرع ، والشرطان : نجمان من الحمل . والعرب تقول : مُطرنا بنَوءِ كذا . والسَبَل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل الى الأرض ، أو ما سال من مطر . وأسبلتْ السماءُ : أمطرت .

٤ ـ الحِقْف : ما اعوجَّ من الرمل . الصِرُّ : الريح الشديدة في بردها وصوتها .

يـدعو بظلفيـه تُرابـا هـايـلاً ... يخلط ريثـاً وفتوراً بَعَجـل[٥]
يسوفُ أعلاه ، وطَوْرا ينتَحى ... للعِرْق بالسِّنِّ فما شاء فَعَل[٦]
حتى إذا الليل تَفَرَّى ثـوبه ... عنه غدا ينفض عطفيه البَلَلْ[٧]
كـأنّـه مـدَّرِع قُبْطِيَّـةً ... مُعْتَجِرٌ بفَضْلِهَا أَو مشتَمِلْ[٨]
فجـالَ يَقْرو أخطبـاً أطـاعـه ... نوءُ السِّماكين بثَجَّاج زَجِل[٩]
إن يَسْتَرِبْ بنبأة يَبْعَثْ لهـا ... طليعةً تَنفُض أطراف السُّبُلِ[١٠]
من أذُنَـين يطبّي سمـعهمـا ... من السكون حركات تعتمل[١١]

---

٥ ـ يدعو : من تداعىٰ الرمل ؛ إذا مال علىٰ بعضه وانهار .
٦ ـ في الأصل : «فما شاء فضل» .
٧ ـ في الأصل : «تعدَّىٰ» . وفراه : شقَّه ، كفرَّاه . وتفرّىٰ : انشقّ .
٨ ـ القبطيَّة : بضم القاف وكسرها ؛ ثيابٌ منسوبةٌ الى القبط ؛ وهي من جيّد النسيج ، تُصنع في مدينة في مصر . ومعتجز ؛ من الاعتجاز : وهو لفّ الشيء كالعمامة على الرأس . وفي الأصل : «بفصلها» والمشتمل : من «اشتمل بثوبه» : تلفَّف به .
٩ ـ في الأصل : «فجال نفرو إخصباً» . ويقرو : يقصد . والقَرو : القصد والتتبّع . وقَرىٰ البعيرُ ، وكلُّ ما اجترَّ : جمع جرَّته في شدقه ، ولعلَّ هذا هو الأنسب هنا . والأخطب من النبات : الأخضر المغبُّر ، يقال : أخطب الحنظل : إذا اصفرَّ وظهرت به خطوط صُفرٌ . والسماكان : كوكبان نيّران ؛ يقال لأحدهما : السّماك الرامح ؛ لأن أمامه كوكباً صغيراً ؛ يقال له : راية السماك ، ويقال للآخر : السماك الأَعزل ؛ لأن ليس أمامه شيء . والنوْءُ : المطر . والأنواءُ ـ عندهم ـ ثمانية وعشرون ؛ وكان العرب في الجاهلية ينسبون كلّ غيث الى نجم ؛ فيقولون : أمطرنا بنوء الثريّا أو الدَّبران أو .. فكأن ابن الزيات يرىٰ الثور الوحشيَّ هذا يقرو أخطباً مُطِرَ بنوء السماكين . والثّجّاج ؛ من ثجَّ الماءُ سالَ . والزَّجِلُ ؛ وفي الأصل : «زحل» . والزجل : من قولهم : سحابَ ذو زَجَل : أي ذو رعد .
١٠ـ النبأة : الصوت الخفيُّ .
١١ـ يطَّبي : يدعو أو يستميل .

فارتاعَ من غُضْفٍ يراعينَ به شوازِبٍ مثل قِداح المنتصِل[١٢]
يسعى بها أطلَسُ عارٍ مُبتَذِل ليس براعي غَنَم ولا إبل[١٣]
يرمى بها الغيطانَ كالسِّيد المول يُشبه ما شبَّهته غير الرجل[١٤]
فاكتَنَفتْه فَنَحا يَقدُمُها فاحتَفَلَتْ في شَدِّها ثم احتَفَلَ[١٥]
حتى إذا كادتْ ، ثنت صَوْلَتَه عزيمةٌ منه ، وجدٌّ لم يَزَلْ
فجالَ فيها جَوْلةً مُعترضاً فاختَل بالرَّوقَين أقراب الأوَل[١٦]
كأنَّه ابن فارسّي يَنْتَحى لِلْقِرْنِ طَعْناً بمهزّ مُعْتَدل[١٧]
غادَرَها تكبو على أُنوفها روادِياً وانَقضَّ كالنجم المول
هاتيكَ بعْدَ الأينِ والأين وقد طال بها الإرقال لا البول المدل[١٨]

١٢ـ الغُضْف ؛ جمع أغْضَف : وهو المسرّخي الأذن من الكلاب ، وشوازب ؛ في الأصل : «سوارب مثل قدام المنتضل» ، والشوازب ؛ جمعُ الشارب ؛ وهو الضامر ؛ وهذه صفة كلاب الصيد عندهم .
والقِداح : جمع القِدح : وهو السَّهم قبل أن يُنصَل أو يُراش . وراش السِهمَ : ألصق عليه الريش . والمنتصل ؛ من قولهم : «أنصل السهمَ أو نَصَله : جعل فيه نَصْلاً ؛ والنصْل : حديدة السهم والرمح والسيف .
١٣ـ يسعىٰ بها : أي بالكلاب . ومبتذل ؛ في الأصل : «متبذّل» ولا يستقيم بها الوزن الشعري . والأَطْلسِ ؛ من الطّلسِ : الوَسَخُ ... والأَطلس : الثوب الخلق في لونه غُبرةٌ الى السواد ، ويريد به الصائد .
١٤ـ السِّيد : الذئب .
١٥ـ في الأصل : «فتحا» . والشدُّ : العَدْو والركض .
١٦ـ في الأصل : «فاحتلَّ بالرزقين» . الروُق : القَرْنُ . والأقراب : جمع قرب بالضمّ ، وبضمتين : الخاصرة ، أو من الشاكلة الى مراق البطن . واختلَّه بالرمح : نفذه وانتظمه . وتخلَّله به : طعنه طعنةً إثر طعنة .
١٧ـ الأبناء : قوم من العجم سكنوا اليمن ، وواضح انه يمدح بهذا الفُرْس ؛ لأنهم قوم الحسن بن سهل ؛ ممدوحه بهذه القصيدة . والقِرْن : الخَصْم .
١٨ـ الأيْن : التعب والاعياء . والارقال : الاسراع . وفي حديث الجاحظ عن الكلب : انه يلحق الذكور من الظباء ؛ لأنها حين تتعب من المطاردة تقف لتبول ، أمّا الاناث فتبول وهي تجري .

إلى الوزير الحَسَن استَنجدْتُها إلى مَناخ ومزار ومَحل[١٩]

أيّ مَزارٍ ومناخٍ ومَحَلّ لخايفٍ أو مُستَريشٍ ذي أمل[٢٠]

دعامة المُلك وحيث اعتمدتْ أركانه والحرز من رتب الدُّوَل

سيفُ أمير المؤمنين المنتضى وحصن ذي الرياستين المعتَقَل[٢١]

من عصبةٍ أنْقَذَنا الله بها وثبت الإسلام من بعد الزَّلَل

طَيِّبة الأصل مع الفرع لها غُصْنان يهتزّان في ركن جبل[٢٢]

حفافي الملك يذودان معاً عن حرمَةِ الدِّين وميراث الرُّسُل[٢٣]

أقسمُ بالله يميناً بَرَّة والعيسُ تجتابُ اليَبابَ المتَّصِل[٢٤]

لَقولُكَ القول الذي يَشفى العمى ورايُكَ الرأي به قامَ المَيَل

أنتم يدُ الملكِ التي صال بها خليفةُ اللهِ على حين وَهِل[٢٥]

وهضْبةُ الدِّين وأنصارُ الهُدى وعصْمةُ الحقِّ وفرسانُ الفُلَلَ[٢٦]

وباذلو الخير لما لم يُسْألوا وباذلو الخير، إذا الخَيْرُ سَئل

١٩ـ في الأغاني : ٢٢/٤٩٩ :

الى الأمير ..... ايّ مراد ومناخ ....

وفي الأصل : «...... الى مناخ ومرار ....

٢٠ـ في الأصل : «أي نرار» والمستريش : من راش يريش : جمع المال والأثاث واغتنىٰ ؛ ومنه قولهم : «أعطاه مائة بريشها» أي بلباسها وأحلاسها ، أو لأن الملوك كانوا إذا حبوا حباءً جعلوا في أسنمة الابل ريش النعام ؛ ليعرف أنه حباء الملك .

٢١ـ امير المؤمنين : هو الخليفة المأمون بن الرشيد . وذو الرياستين : هو الفضل بن سهل ؛ وزير المأمون ، وأخو الحسن بن سهل هذا . وفي الأغاني : «المقتبل» بدل «المعتقل» ومنه «المعْقِل» كمنزل : الملْجأ . واعتقل رمحَه : جعله بين ركابه . والعقيل من القوم : سيّدهم . ومن كلّ شيء : أكرمه .

٢٢ـ في الأصل : «مع الفرغ» .

٢٣ـ في الأصل : «ندودان» . ويذودان ؛ يريد بهما الأَخَويْن : الفضل والحسن .

٢٤ـ في الأصل : «بحتاب» واليباب : الأرض الخراب الواسعة .

٢٥ـ وَهِلَ كفرح : ضَعُفَ وفزع فهو وَهِلٌ .

٢٦ـ الفُلل من فلَّ السيفَ : ثلمه . وثلَّ القومَ : هَزَمَهم .

وموقدو الحَرْب لدى إطفائها ومُطْفِؤها وهي تَرمى بالشُعَل[٢٧]

آبـاؤك الـغُـرُّ الأُلى جـدُّهُم كسرى أنو شروانُ يروون الأسَل[٢٨]

من كلِّ ذي تاجٍ إذا هم مضىٰ قُدْماً ، لما همَّ ، وإنْ قال فَعَلْ[٢٩]

فـأين لا أيْنَ ، وأين مثلكم وأنتُم الأملاكُ ، والنَّاسُ خَوَل[٣٠]

٢٧ـ الشُعْلَة ، والجمع شعَل : لَهَبُ النار أو ما أشعَلت النار به .

٢٨ـ في الأغاني ، ٢٢/٤٩٩ : «كِسرىٰ انوشروان والناسُ هَمَل»
وما هو مثبت أنسب . والأسَلُ محرَّكةً : الرماح والنبلُ .

٢٩ ـ في الأغـانـي : «.... إذا قـال مضىٰ
كـلُّ الـذي قـال وان قـال فَـعَـلْ»

٣٠ـ في الأغاني ، «... وأنّى مثلكم» والأملاك : أصحاب الملك . والملك ككتف : ذو الملك ، وجمعه ؛ ملوك وأملاك . والخَوَل : جمع خَوْلي : وهم العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية .

- ٢ -

وقال يهجو ابراهيم بن المهدي :[١] (الطويل)

أَلَم تَـرَ أَنْ الشيء للشيء علَّـةٌ ... يكونُ لها كالنار تُقدَح بالزَّنْد[٢]

كـذلـك جَـرَّبنـا الأمـور وإنمـا ... يُدُلك ما قد كانَ قبلُ على البَعدِ[٣]

وظَنِّـي بـابـراهيم أنَّ مَكـانَـه ... سيبعَثُ يوماً مثلَ أيَّامه النُّكْدِ[٤]

رأيتُ حسيناً حين صار محمدٌ ... بغير أمان في يديه ولا عَقْد[٥]

فلو كان أمضىٰ السيف فيه بضَربَةٍ ... تُصيِّرُهُ بالقـاع منعفِرَ الخَـدِّ[٦]

---

١ ـ وثب ابراهيم بن المهدي على الخلافة ، في عهد المأمون ، وأعوزه المال للجند ؛ فاقترض مالاً من مياسير التّجار . وأخذ من عبدالملك الزيّات عشرة آلاف درهم ، وقال له : أنا أردّها إذا جاءني مال . وخُذِلَ فطالبه الناس بأموالهم ، فقال : إنما اخذتها للمسلمين ، وأردت قضاءها من فيئهم ، والأمر الآن الى غيري . فعمل محمد بن عبدالملك الزيّات هذه القصيدة ومضىٰ بها الى ابراهيم ، وأقرأه اياها ، وقال : والله لئن لم تعْطني ما اقترضته من أبي لأوصلنَّ هذه القصيدة الى المأمون ؛ فقال له : خذ مني بعض المال . ونجِّمْ بعضه .. ففعل . انظر الخبر في الأغاني ٢٠/٤٧ طبعة الساسي .
ويقول ابن طيفور ؛ في كتاب «بغداد» ص : ١٠٧ : «لما ظفر المأمون بابراهيم بن المهدي ، قال محمد بن عبدالملك يحرضّه على قتله ، وأنشد المأمون ...» ويذكر القصيدة ..
والقصيدة ، على هيأتها التي وصلتنا لا نرىٰ فيها ذكراً للمال المقترض أيضاً .

٢ ـ في الأصل : «يقدح ..» وفي ابن طيفور : «تكون له ..» .

٣ ـ في الأغاني ؛ ٢٢/٤٦٦ : «جرَّبت» .

٤ ـ الأيام النُّكد : القليلة الخير .

٥ ـ يعني : محمد الأمين الخليفة ، وأمره مع طاهر بن الحسين ؛ وهو أحد قواد المأمون الذين حاصروا بَغداد ؛ وهو الذي قتل الأمين ، وأرسل رأسه الى المأمون في خراسان (انظر كتابنا : محمد بن عبدالملك الزيات ص٨ والجهشيارى ـ الوزراء والكتاب ؛ ص٢٠٤ .

٦ ـ في ابن طيفور : «أمضىٰ الحكم» وفي الأغاني : «فصيَّره» .

إذا لم تكنْ للجنـد فيه بقيَّـةٌ فقد كان ما بُلِّغتَ من خبر الجند[٧]
هم قتلـوه بعد أنْ قتلـوا لـه ثلاثين ألفاً من كهولٍ ومن مُرْد
وما نَصروه عن يد سلَفَتْ لـه ولا قتلـوه يومَ ذلـك عن حِقد
ولكنَّه الغَدْر الصُراح وخفَّة الـ ـحلوم وبُعْدُ الرأى عن سُنَنِ القَصْد
فـذَلك يـومٌ كان للنَّـاس عبـرة سيبقَى بقاء الوَحْى في الحَجَر الصلْد[٩]
وما يوم إبراهيم إنْ طال عُمُره بأبعَدَ في المكروه من يومه عندي
تَـذكَّـر أمـيرَ المؤمنـينَ قيـامٍـه وإيمانَه في الهزْل منه وفي الجدِّ[١٠]
أما والذي أصبحتُ عَبْدَ خليفةٍ له خيرُ إيمان الخليفةِ والعبد[١١]
إذا هـزَّ أعوادَ المنـابر بـاستِه تَغَنَّى بليلى ، أو بمَيَّة أو هِنْدِ[١٢]
وَوَالله ما من تَوْبةٍ نَـزَعَتْ به إليك ولا ميلٍ إليك ولا وُدِّ[١٣]
ولكنَّ إخـلاص الضمـير مُقَـرب الى الله زُلفى لا تخيب ولا تكدى[١٤]

---

٧ ـ في الأغاني : «فقد كان ما خبّرتُ» .
٨ ـ في الأصل : «العذر الصُراح» والصُراح : هو الخالص من كل شيء .
٩ ـ الوحي : هنا الكتابة أو النقش .
١٠ـ في ابن طيفور : «مقامه» بدلاً من «قيامه» .
١١ـ في الأغاني :
..... أمسيتَ عبداً خليفةً له شرّ أيمان .....» وفي ابن طيفور : «... له بئس ...» .
وما هو في النسخة ـ عندنا ـ أقوم .
١٢ـ في الأصل : «عود المنابر» ولا يستقيم بها الوزن . وفي الشطر الثاني يعرّض بابراهيم بن المهدي وأخذه في الغناء . ومعلومٌ أنَّ ابراهيم كان شاعراً مغنّياً ؛ ابتدع طرائق وأصواتاً كثيرة في الغناء ، انظر الأغاني لأبي الفرج عنه .
١٣ـ في الأغاني : «فواللّه !» وفي ابن طيفور : «ولا قُربىٰ لديكَ ...» .
١٤ـ في ابن طيفور : «.... زُلفىٰ لا تبيدُ ...» . وأكدىٰ : أخفق ، ولم يظفر بحاجته .

أتـاكَ به طَـوْعاً إليـك بـأنفـهِ ... على رُغْمه ، واستأثَرَ الله بالحمد[١٥]
فلا تترُكَنْ للناس موضعَ شُبهةٍ ... فانك مَجزْيٌّ بحسْب الذي تُسدى
فقد غَلَطوا للناس في نَصْب مثله ... ومن ليس للمنصور بابن ولا المهدي
فكيف بمن قد بايع الناسُ والتقتْ ... ببيعتِه ركبانُ غَوْر الى نَجْدِ[١٦]
ومن صكَّ تسليمُ الخلافة سمعَه ... يُنادىٰ بها بين السماطين من بُعْدِ[١٧]
وأيُّ امرىءٍ سامى بها قطُّ نَفْسَه ... ففارَقها ، حتى تغيَّب في اللَّحد[١٨]
وتـرجمُ هـذي النـابتيَّـةَ أنَّـه ... إمامٌ لها فيما تُجِنُّ وما تُبدي[١٩]

١٥ـ في الأغاني : «اتاك بها» وفي ابن طيفور : «كُرْهاً اليك تقوده ..» . والرُّغم بالتثليث : الكُرْه ؛ تقول : فعلتُ ذلك على رغمه ، أي على كره منه . قالوا عن ابراهيم بن المهدي : «إنه أخذ ليلاً وهو منتقب بين امرأتين .. أخذه حارسٌ .. فرفعه الى صاحب الجسر ، وحُمِلَ الى دار المأمون ..» انظر ابن خلّكان ؛ «وفيات الأعيان ١/٢٨٦ ط : احسان عباس ، وكتابنا : «ابن الزيات ص : ٣٦ .

١٦ـ في الأغاني : «ببيعته الركبان غَوْراً ..» .

١٧ـ في الأغاني : «سكّ .. ينادىٰ به» وَصَكُّه : ضربه شديداً . وسماط القوم : صفُّهم ؛ يقال : قام القومُ حوله سماطَيْن ، أيْ صفّين ، ومنه : «مشىٰ بين السماطين» وقيل : هم صف الجنود الذين يتقدمون بين يدي الملك ، ولعلَّ هذا هو الأنسب في هذا المقام .

١٨ـ في الأغاني : «سمّىٰ .. حتى يُغيَّب» .

١٩ـ في الأغاني : «وتزعم» بدلاً من : «وترجم» . والرجمْ هنا أنسب ؛ لأن المقام مقام هجاء . وفي ابن طيفور : «إمام هُدىً فيما تُسرُّ ...» . والنابتيَّة : من النوابت ؛ وفي الأساس : «وهذا قول النوابت» وهم طائفة من الحشويّة ، لأنهم أحدثوا بدعاً في الإسلام . وللجاحظ رسالة بعنوان : «رسالة في النابتة» أهداها الى أبي الوليد محمد ابن أحمد بن أبي دؤاد ، وسيأتينا في أشعار ابن الزيات الحديث عن أحمد وعن ابنه هذا .

يقـــولــونَ : «سُنيٌّ» وأيَّــة سُنَّـــةٍ تقوم بجون اللون صَعْل القَفاجَيْد[20] .
وقد جعلوا رُخْصَ الطعام بعهده زعيماً لهم باليُمن والكوكب السَّعْد[21] .
إذا ما رأوا يوماً غلاء رأيتهم يَحِنُّون تحناناً إلى ذلك العَهْد[22] .
وأقبلَ يوم العيد يوجفُ حَــوْله وجيف الجياد واصطكاك القنا الجُرْدِ[23]
ورجَّالَهُ يمشون في البيض دونَه وقد تبعوه بالقَضيب وبالبُرْدِ[24]
فإنْ قُلتَ قد رامَ الخلافة غيرُه فلم يؤتَ فيما كانَ حاولَ من جَدِّ[25] .
فلم أجْزِهِ ـ إذْ خيَّبَ الله سَعْيَه ـ على خَطَأٍ إذ كان منه على عَمْدِ[26] .
ولم أرضَ بعد العَفو حتى رفَدتُه ولَلَعمُّ أولى بـالتَغمُّد والـرِّفد[27]

٢٠ـ في ابن طيفور : «... تتمُّ بصعْل الرأس جَوْن القفا ..» وفي ابن الأثير ـ الكامل ٥ / ١٩١ ـ في الحديث عن ابراهيم بن المهدي : «... وإنَّ أهل بغداد قد سمّوه الخليفة السُنّي ، وأنهم يتهمون المأمون بالرفض ؛ لمكان عليّ بن موسىٰ منه ..» والجون : الأسود ، وابراهيم بن المهدي كان اسود اللون ، وأمّه جارية سوداء اسمها : شَكْلَة . وصَعْلُ القفا : لئيم الحَسب . وفي الأغاني : «صلّ القفا» وما هو مثبت عندنا في هذا المقام أنسب . والجعْد : البخيل . والجعْدُ : الكريم . وواضحٌ أن الأول أنسب لأن المقام مقام هجاء .

٢١ـ في الأصل : «زعيماً لهم بالثمن» ولا نراه يستقيم . وانظرْ عن تعلّق الناس بالتنجيم ، وعن أثر هذا في الأدب ، كتابنا : «الوصف في شعر العراق ؛ في القرنين الثالث والرابع الهجريين» .

٢٢ـ في الأصل : «... يوماً علاءً رأيتهم» .

٢٣ـ في الأغاني : «واقباله في العيد» . ووَجَفَ الشيءُ : اضطربَ . ووَجَفَ الفرسُ والبعير : عدا وسار العَنَق . وفي الأغاني : «... واصطفاق الفتىٰ» والتحريف ظاهر .

٢٤ـ في الأغاني : «يمشون بالبيض قبله» .

٢٥ـ في ابن طيفور : «قبله» بدلا من «غيره» وفي الأصل : «حاول من حدّ» .

٢٦ـ في الأغاني ، وفي ابن طيفور : «ولا عمد» .

٢٧ـ في ابن طيفور : «ولم ترض» وفي الأغاني : «حتى رفعته» وفي الأصل : «أوْلىٰ بالتعمُّد» وفي ابن طيفور : «بالتعهُّد» وعندنا ان ما هو مثبت أنسب ، ومنه الدعاء : «تغمَّده اللّه برحمته» .

فليس سـواءً خارجيٌّ رمى بـه إليكَ سَفاهُ الرأي ، والرأيُ قد يُردي
تعاوتْ له من كلِّ أَوْبٍ عصابةٌ متى يُوردوا لا يُصدروه عن الورد[٢٨]
وآخـر في بيتِ الخليفـة يَلتَقي به وبك الآباء في ذُروة المجد[٢٩]
فمـولاكَ مولاه ، وجنـدُك جنـده وهل يجمعُ القَينُ الحسامين في غمْد[٣٠]
وقد رابني مِن أهل بيتك أنَّني رأيتُ لهم وَجْداً به أيَّما وَجْدِ[٣١]
يقولون لا تَبْعَدْ مِن ابنِ مُلَّمةٍ صَبورٍ عليها النفس ذى مرَّة جَلْدِ[٣٢]
فَدانا فهانَتْ نفسُه دون ملكنـا عليه ، على الحين الذي قَلَّ مَنْ يفدى[٣٣]
على حين أعطى الناس صفوَ أكفِّهم عليٌّ بن موسى بالولاية للعَهْد[٣٤]

٢٨ـ في الأغاني : «تعادت» وفي الأصل : «تفاوت ، من كلّ كلّ أدب عصابة» والسهو واضح فيها . ولعلَّ الصواب ما اثبتناه ؛ يقال : تعاووا على فلان تعاوياً : اجتمعوا عليه .

٢٩ـ في الأغاني : «ومَن هو في بيت الخلافة تلتقى ..» ويبدو أن بعض الأبيات ساقط من القصيدة ، كما أنّ القصيدة فيها اضطراب ؛ في ترتيب أبياتها عنها في رواية ابن طيفور .

٣٠ـ القين : الحدّاد ؛ وهذا مَثَلٌ يُضرب لكلّ اثنين يصعب جمعهما في مكان واحد أو عمل واحد .

٣١ـ في الأصل : «رايني منه» ولا يستقيم بها الوزن . والبيت ـ كما هو واضح ـ شديد التحريض على الايقاع به .

٣٢ـ في الأصل : «من أين» والسهو واضح . وفي ابن طيفور : «صبور على اللأواء» . وذومرَّة : ذو عقل وأصالة وإحكام .

٣٣ـ في الأغاني : «عليه لدى الحال التي قلَّ مَن يغدى» والتحريف ظاهر في اللفظة الأخيرة . وفي ابن طيفور : لذي الحال التي ...» .

٣٤ـ في الأصل : «صفو اكفّهم» . والصفق : الضرب يُسمعُ له صوت . وصفق له بالبيعة صفقاً وصفقةً : ضرب يده على يده ، وذلك عند وجوب البيع . والاسم ؛ الصفْق . وفي الأغاني : «بالولاية والعهد» . وعليّ بن موسىٰ : هو عليّ بن موسىٰ الرضا ؛ ولاّه المأمون العهد من بعده . ومات ، والمأمون قادم الى بغداد ، بمدينة طرس ، ودفن عند قبر الرشيد . وفي ابن الأثير : «وقيل إن المأمون سمَّه في عنب ، وكان عليّ يحب العنب ، وهذا عندي بعيد» ١٩٣/٥ ط : منير الدمشقي بالقاهرة .

فما كان منَّا مَن أبى الضيمَ غيرهُ ولكن كفانا في القَبولِ وَفي الرَدِّ[٣٥]
وجـرَّدَ إبـراهيمُ للمـوت نفَسـه وأبدى سلاحاً فوقَ ذى ميْعَةٍ نَهدْ[٣٦]
فأبلى ، ومن يبلُغْ مِن الأمر جَهدَه فليَس بمذمومٍ ، وإن كان لم يُجدِ
فهذي أمورٌ قد يخافُ ذوو النُّهى مَغَبتَّها ، والله يهديك للرُّشدِ[٣٧]

٣٥ـ في الأغاني : «فما كان فينا .. كريماً كفىٰ ما في القبول» .
٣٦ـ ميعة كل شيء : أوّله : وَميْعةُ الفرَس : اوّل جريه وأنشطه . والنهْد من الخيل : الحسن الجسم المشرف .
٣٧ـ مغبَّة الشيء : عاقبته .

- ٣ -

وقال في المعتصم بالله : (الكامل)

ما للغواني مَنْ رأينَ برأسِهِ يَقَقاً مللْنَ وصالَهُ وشنَينَهُ[١]
وإذا عِذارُ المرء قلَّ قَتيرُهُ لاحظْنَه ببشاشةٍ وهوينَهُ[٢]
صَدَفَتْ خُناسُك عنك بعد مودَّة ورأتْ شبابَك بالياً وغُضونَهُ[٣]
إنَّ الخليفةَ خيرُ مَنْ وَطِئ الحصا لله يَمْحَصُ دينَه ويقينَهُ[٤]
سارتْ حُكُومَتُه بأعدَل سيرةٍ قُصوى البلاد وفي الذين يلونَهُ
فالحقُّ أوضح مُبصر آياته والجور يطمس شخصه وعيونه[٥]
ورأى البريَّةُ عفوَهُ وعَفافَهُ فالناسُ حَذوَ طريقه يحذونَهُ
طلبوا رضاه بنيَّةٍ وتيقَّنوا أَنْ ليس يرضى الله أو يُرضونه
يَخْشَوْنَ صَوْلَتَه ، فهم في طاعةٍ وكمثلِ ما يخشونه يرجونه
إنَّ الخليفةَ رحمةٌ من ربِّنا وبه أنار لنا وأوضحَ دينَهُ[٦]
وعلى أبي إسحاق طاعةُ ربِّهِ حقاً لينصرَهُ بها ويُعينَهُ
ملكٌ بأرض الروم أنزلَ نقمةً وأبادَ مالاً أهلُها يُحصُونَهُ
وأبادَ مالِكها ، وفلَّ جنودَهُ طَعْناً ، وَزَلْزَلَ مُلْكَهُ وحصُونَهُ[٧]

---

١ ـ اليِقق : البياض ، أو شدَّة البياض . وشناه : أبغضه .
٢ ـ في الأصل : «قدَّ قتيره» والعِذار من الآدميّ : جانب اللحية أي الشعر الذي يحاذي الاذن . والقتير : الشيب ؛ وقيل : هو أوّل ما يظهر منه .
٣ ـ في الأصل : «خماسك» . وخناسك ؛ من الخنساء ؛ وهي الظبية ، أو البقرة الوحشيَّة ، وهم يشبهّون النسوة الجميلات بها ، ويريد هنا : حبيبتك . والغضون : جمع غضن ؛ وهو التجعّد في الجلد .
٤ ـ محص الشيء : خلَّصه من كل عيب ، ومنه محصَ الذهبَ بالنار : خلَّصه مما يشوبه من الغش .
٥ ـ في الأصل : «والجود» والتحريف ظاهر .
٦ ـ في الأصل : «وواضح دنيه» والتحريف ظاهر أيضاً .
٧ ـ فلَّ القوم : كسرهم وهزمهم .

والـزُّطُّ أيُّ خليفة دانـوا لـه | أو كان قبلك طاعةً يُعطونَهُ[8]
حتى ملكتَ ، وظلَّ سَيْفُك منُهُم | تكســو الدمـاءُ شِفارَه ومُتـونَهُ
فأتوا لحكمكَ ، والذي كانوا به | يَعصون ، جدَّعَتِ الظُبى عِرنينَهُ[9]
فعفوتَ ، إنَّكَ لم تزلْ ذا رأفة | حَسَنَ الفَعـال مباركـاً مَيمونَـهُ
وَسَقَيْتَ بابَكَ كأسَ حتْف مُرَّةً | بفوارس سحبوا القنا يتلونَهُ[10]
فتجالَدَ الـزَّحفان يـوماً كـاملاً | والقوس يُخْضَبُ بالذي يبرونه[11]
حتى رأيتَ الخُـرَّميَّـةَ رَيْضَـةً | والبذَّ أنكَرَتِ الفِجاجُ رنينَهُ[12]

---

٨ ـ الزطّ : طائفة من أهل الهند ؛ معرَّب : «جت» . ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٢١٩ «وفيها وجّه المعتصم عُجيف بن عنبسة لحرب الزطّ ؛ الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة ، وعاثوا وأخذوا الغلّات من البيادر ، وأخافوا السبيل ، فأسر منهم في معركةٍ واحدةٍ خمسمائة رجل ، وقتل في المعركة ثلاثمائة رجل . وفي السنة التي تليها أمَّنهم عجيف ، وكانت عدَّتهم سبعة وعشرين ألفاً .. وعبَّأهم في سفنهم على هيئتهم في الحرب .. حتىٰ دخل بهم بغداد .

٩ ـ في الأصل : «بحكمك» والعرنين : الأنف . ورئيسهم الذي كانوا به يعصون ، هو محمد بن عثمان .

١٠ـ بابَك الخرَّمي : ثائر على الخلافة ؛ ظهر سنة ٢٠١هـ ، وكانت «البذّ» مدينته ، وبقي عشرين سنة ثائراً .. قالوا : قتل فيها من المسلمين أكثر من مائتين وخمسين ألفا . غلب جملةً من قواد المأمون . وجّه اليه المعتصم جملة من قواده . كان على رأسهم الأفشين ، وقد جاء به الى سامراء أسيراً .

١١ـ في الأصل : «والقوس يخصب» .

١٢ـ في الأصل : «ربضة» وريضة ، من راض الشيء : جعله مسخّراً مطيعاً . و«الخرَّمية» : هم أصحاب بابك ، يقول البلخي (٦/ ١١٥ في كتاب البدء والتأريخ) عنهم : «هم فرق وأصناف يجمعهم القول بالرجعة ، ولهم أئمة يرجعون اليهم في أحكامهم ، ولا يتبرّكون بشيء مثل تبرّكهم بالخمور والأشربة ، ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء ، واباحة كلّ ما تستلذّه النفس . و«البذ» : مدينة بابك . وفي ابن الاثير في أحداث سنة ٢٢٢هـ : «وفي هذه السنة فتحت «البذّ» مدينة بابك ، ودخلها المسلمون» .

يبكى الذين تُخرِّموا من أهله ... ونساءُ بابكَ حُسَّراً يبكينَـهُ[١٣]

وإلى عموريةٍ سَمَـا في جَحْفَلٍ ... ملأ الفجاج سـهولَه وحزونَهُ[١٤]

فأباد سـاكنَها وحجَّـل باطسـاً ... حلقاً ، أذلَّ اللهُ من يحوينه[١٥]

قتـلى يُنضِّـدهم بكـلِّ طـريقـةٍ ... نضداً تخال مَراقباً موضونه[١٦]

فَهُمُ بوادى الجون قتلى فرقة ... وقبـائلٌ فِـرَقٌ مـلأن سجـونـه

وأبان بالصفصافِ خالصـة له ... كيد العدوّ وسوء ما يطوونه[١٧]

فهوى اللَّعينُ ، ونجمُه ، واللهُ لا ... يرضَى الضَّلالَ ، ولا يُعِزُّ قرينَهُ[١٨]

١٣ـ تخرّموا : من قولهم : تخرَّمت المنيَّة القومَ : استأصلتهم .

١٤ـ عمّوريَّة : مدينة الروم . قالوا : سأل المعتصم ـ بعد أن جاءه أنّ صاحب الروم أوقع بأهل «زِبَطْرَة» المسلمين ، وأسرهم وخرَّب بلدهم ـ أيّ بلاد الروم أحصن وأمنع ؟ فقيل : عموريّة ، لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام ، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية ، فسار اليها من سامراء .. وانتصر .. وكان معه ابن الزيّات في هذه الحرب . وفي هذه الحرب قال أبو تمام قصيدته المشهورة .

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

١٥ـ في الطبري : «ياطس» وفي ابن الأثير : «ناطس» : وهو بطريق عمورية ، الذي كتب الى ملك الروم ، والمسلمون محاصرون للمدينة ، يُعلمه أنه عازم على أن يركب في خاصته ليلاً ، فيحمل على العسكر حتى يخلص ويصير الى الملك .. ثم دخل المعتصم عموريّة ، فأنزله من بُرْجه ، وأمر أن يحمل معه أسيراً الى سامراء فحمل اليها . وحجّل : من الحجل أي القيد ؛ يقال : حلَّ حجله : أي فكّ قيده . والحَلِق : ما كان ولا شعر فيه ، كأنه حُلِق .

١٦ـ النَضَد ؛ من قولهم : نضّد المتاع ، أي جعل بعضه فوق بعض . والموضون : هو المنضود أيضا .

١٧ـ «وادي الجرز» و«الصفصاف» أماكن في حربهم هناك .

١٨ـ في الأصل : «فهر كل للعين ونحمه ..» ولعلَّ الصواب ما اثبتناه .

والمنفسون قَصَدْتَ [خَيْلَكَ] قصدَهُ فوطئنه ، وفَتَكْتَ حين لقينه[19]
وقطعت دابرَه فجاءك خاضعاً حذَر الردى ، وَجِلَ الفؤاد مَهينه
والمازِيارُ ، وقد تقلَّد غَدْرَةً قطعتْ نياطَ فؤادِه ووتينَه[20]
من بعد ما جعل الشواهقَ عِصْمَةً وصَياصياً بضلاله يُغرينَه[21]
ظناً بأنَّ الغَدْر يمنع أهلَه كذباً ، فكذّبت الحتوفُ ظنونه[22]
فأفضته للنكث يشرح صدره ليذلَّه ربي به ويهينه
وشحنتَ بالأسْد الخوادر بالقنا والمرهفات شِعابَه ورعونه[23]
أَنِسَتْ جيادُكَ صَعْبَ مَرقىً حصنه وجبالها فرقَيْنَها ، ورقينه
كَلَباً عليه ، فما برحنِ عراصَه وقِلالُه بكُمانه يُشجينَه[24]
حتى إذا رزى النِساءُ نساءه لمّا أُستبيح حريمُهُ ، ورزينه

١٩- في الأصل : «والمنفسون» . ولم نجد له ذكراً في أخبار ابن الزيات والمعتصم فيما وقع بأيدينا من المراجع ، ولعلَّه «المنكجور» والمنكجور : من أقارب الأفشين ، وُلّي اذربيجان فعصى وخَلَع الطاعة سنة ٢٢٥هـ ، وتحصَّن في حصن من حصون بابك ، ووجّه اليه المعتصم بغا الكبير فغلبه .. وجيء به أسيراً الى سامراء (ابن الأثيرة ٥/٢٥٧) «وخيلك قصده» : هكذا في الأصل . ولعلَّ المراد بها : «قصدت بخيلك قصده» .

٢٠- المازيار : رئيس فرقة من الخرَّمية . كان المأمون قد ولّاه جبال شروين في أطراف بلاد طبرستان ، وسمّاه محمداً ، واحتفظ له بلقب «الاجْتهبَذ» : وهو لقب الحاكم في تلك الجهات .. اختلف مع آل طاهر وكانت الحرب بينهم ، وأسِر مازيار وجيء به أسيراً الى سامراء . وجُمع مع الأفشين الذي كان قد زُيِّن له العصيان .. ومات في سامراء . والنياط ككتاب مُعلَّق كلّ شيء . ونياط القلب : عرق غليظ نيط به القلب الى الوتين . والوتين : عرق القلب ؛ إذا انقطع مات صاحبه .

٢١- الصياصي : الحصون .

٢٢- في الأصل : «الحقوق» ولعلَّ ما اثبتناه أنسب للمقام .

٢٣- في الأصل : «الحوادر» . والخدر : أجمة الأسد ، ومنه قولهم : «أسد خادر» ، وخدرَ الأسدُ في عرينه : لزمه . والرعون : جمع رَعن : وهو أنف يتقدَّم الجبل .

٢٤- كَلَبَ عليه : الحَّ واشتدَّ في طلبه .

ثم استكانَ وأَسلمته حُماتُه	ورأى شَتاتاً بالصَّغار عرينه
وغدت جيادُكَ حين أَسلم عنوةً	تحتازُ ظاهرَ مالِه ودفينه
ضُمَّتْ يداه إلى التليل مكبَّلاً	تدمى ، وساورت الدموعُ جُفونه(٢٥)
حتى إذا اختلجتْ سياطُكَ نفسَه	وتخرَّمتْ حركاته وسكونه(٢٦)
نيطَتْ عَوامِلُه برأس عُذافِر	جعل الشريط عِرانه وبُرينه(٢٧)
من بعدما بالكفر بكَّت حيدراً	وأبان يوضح مُفصحاً مكنونه(٢٨)
وجمعتَ كل معدَّلٍ وسألته	نصاً ، ليوضح كفره ويُبْينه(٢٩)
فأقرَّ بالكفر المبين ولم تُرِدْ	إلَّا الإله ، ولم تُرِدْ تَهجينَه

٢٥ـ التليل : العُنُق . والبيت في الأصل :

ضُمَّتْ يداه الى التليل مكيَّلا ترمى وساوسه الدموع جفونه .

٢٦ـ اختلجَ الشيء : انتزعه .

٢٧ـ العوامل : الأرجل ، ومنه قولهم : «خانت المطهَّم عوامله» . العُذافر : العظيم الشديد من الابل . والعران : عودٌ يجعل في وترة أنف البعير . والبُرين : جمع بُرَةٍ ؛ وهي حلقة توضع بأنف البعير .

٢٨ـ حيدر : هو الأفشين ؛ قائد المعتصم الأكبر . اتّهم بالزندقة وحوكم وصُلب ، وقال الشعراء في حدثه هذا ما وسعهم في هجائه ، بعد أن كانوا قالوا ما قالوا في مديحه أيام كان في رفعته ، ومن هؤلاء أبو تمام الذي قال من قصيدة :

قد كان بوّأه الخليفة جانباً	من قلبه حَرَماً على الأقدار
فاذا ابن كافرة يسرُّ لكفره	وجداً كوجْد فرزدقٍ لنوار
مازال سرُّ الكفر بين ضلوعه	حتى اصطلىٰ نار الزناد الواري

٢٩ـ في الأصل : «ليوضح كفوه» والتحريف ظاهر فيها . ويشير بقوله : «كلّ معدّلٍ » الى المحكمة التي حاكمت الأفشين ، وكان رئيسها ابن الزيات نفسه ، ومعه القاضي أحمد ابن أبي دؤاد ، واسحق بن ابراهيم بن مصعب . والمحاكمة طريفة . انظر تفاصيلها في الطبري ١٢/١٣٠٣ وما بعدها ، وملخّصها في كتابنا : محمد بن عبدالملك الزيات ، ص١١٤ وما بعدها .

أنّى وقد انطقتَ كُلَّ مُفوَّه في مدحةٍ طلبا بها تزيينه[٣٠]
لتشيع مدحته وتشهر ذكره بحبال شاعرك الرصين رصينه[٣١]
وجزيتَ مادِحَه فأبصر شعره وأحبَّ كلُّ مُدوِّن تدوينه
ورفعته فوق النجوم ولم تدعْ في الملك مُصطفياً له تمكينه[٣٢]
وعصبته بالتاج عصبَ جلالةٍ وجعلتَ خلقَ الله يسترعونه[٣٣]

٣٠ـ كان مما فعله المعتصم للأفشين ، بعد أن كرّمه بما شاء ، أن دخل الشعراء عليه يمدحونه ، وفيهم عمّ المعتصم ابراهيم بن المهدي ، الذي كان قد انتقض على المأمون وبقي خليفة نحو سنتين . وانظر ديوان أبي تمّام وقصائده في مديح الأفشين .

٣١ـ الرصين : من رَصُن العقل : استحكم واشْتدَّ ثباته . ورَصَنَه بلسانه : شتمه .

٣٢ـ كان المعتصم قد عقد له على السند .

٣٣ـ وبعد عودة الأفشين منتصراً على بابك الخرَّمي ، توَّجه المعتصم بتاج من الذهب مرصّع بالجوهر ، وألبسه إكليلاً ليس فيه إلا الياقوت الأحمر والزُمرَّد الأخضر ، قد شُبّك بالذهب . وألبسه وشاحين . انظر المسعودي في مروج الذهب ٤/ ٥٩ . وكتابنا : «محمد بن عبدالملك الزيات ؛ ص١١٢ وما بعدها» .

ويبدو لنا ان القصيدة غير كاملة ، أو إنَّ ترتيبها قد أخلَّ به ؛ لاننا لا نحسّ أن هذا البيت يصلح ان يكون الخاتمة لها .

- ٤ -

وقال في برذَوْن أشْهب ، كان المعتصم أخذه منه ، وكان أحمد بن خالد حيلوَيْه[١] ذكره له ، ووشى به إليه فيه : (الكامل)

قالوا : جَزعْتَ ، فقلتُ : إنَّ مُصيبةً جَلَّتْ رَزِيَّتُها ، وضاق المذهب[٢]
كيفَ العَزاءُ ، وقد مضى لسبيله عنَّا فودَّعنا الأَحَمُّ الأشهَبُ[٣]
دَب الوُشاةُ ، فباعدوه ، وربْما بَعُدَ الفتى ، وهو الحبيبُ الأقْرَبُ[٤]
لله يومَ غدوْتَ عنِّي ظاعناً وسُلِبتُ قربك ، أيَّ علقِ أسلّب[٥]
نفسي مُقَسَّمَةٌ ، أقام فريقُها وغدا لِطِيتَّهِ فريق يُجنِب[٦]
الآن إذ كَملتْ أداتُك كلُّها ودعا العيونَ إليك لون مُعجب[٧]
واختير من سرّ الحدايد خيرها لك خالِصاً ، ومن الحليِّ الأغْرب[٨]

---

١ ـ كان ابن الزيات ، قبل أن يلي الوزارة ، ثرياً متأنقاً في حياته الخاصة ، وستأتيك أخباره مع صديقه الحسن بن وهب في هذا الديوان .
وفي الأغاني : كان لمحمد بن عبدالملك برذون أشهب ، لم يُرَ مثله فراهةً وحسناً ، فسعىٰ به محمد بن خالد حيلويه الى المعتصم ، ووصف له فراهته ، فبعث المعتصم اليه فأخذه منه ، فقال محمد بن عبدالملك يرثيه . الأغاني ؛ ٢٢/٤٨١ .
٢ ـ قالوا : جزعتَ !؟ فقلتُ : إنَّ ... وإنّ هنا بمعنىٰ نَعَمْ .
٣ ـ الأحمّ : الأسود . والأشهب : في لونه شهبة .
٤ ـ في الأغاني : «دبّ الوشاة فأبعدوك» وفي مختارات البارودي ٤/٤٢ : «فأبعدوه» .
٥ ـ في الأغاني : «يوم نأيت ...» وفي الأصل : «ايّ علوّ» ولعلَّ الصحيح أو الأنسب ما اثبتناه . والعِلْق بالكسر : النفيس من كلّ شيءٍ .
٦ ـ في الأغاني : «نفسٌ مفرّقةٌ .. ومضىٰ ..» وغدا لطيَّته : مضىٰ لنيَّته التي نواها . ويُجنَبُ : من أجنبَ الرجلُ : إذا تباعد .
٧ ـ في الأصل : «ربّي معجب» وما اثبتناه عن مختارات البارودي .
٨ ـ في الأصل : «الأقرب» .

وغَـدوْتَ طَنَّـان اللجـام كـأنَّمـا   في كل عضو منك صنجٌ يُضَربُ[٩]
وكأن سَرْجَكَ إذ علاكَ غَمـامةٌ   وكأنَّما تحتً الغَمامةِ كـوكبُ[١٠]
ورأى عليَّ بكَ الصـديقُ مَهابـةً   وغدا العدُّو ، وصدرُه يَتَلهَّب[١١]
أَنساكَ !؟ لا برحَتْ إذن مَنْسيَّة   نفسي ولا زالتْ بمثلكَ تُنكَبُ[١٢]
أضمرتُ منك اليأسَ حين رأيتني   وقُوى حبالِكَ من قوايَ تَقَضَّبُ[١٣]
ورَجَعْتُ ـ حين رَجَعت ـ منك بحسرةٍ   لله ما صنعَ الأصَمُّ الأشيبُ[١٤]
فلتـعْلَمَـنْ ، ألّا تـزال عـداوةٌ   عندي مريَّضةٌ ، وثأر يُطلَبُ[١٥]
يا صاحبيَّ ! لمثل ذا من أمره   صَحِبَ الفتى في دَهْره مَنْ يَصْحَب
إن تُسْعـدَا فَصنيعـةٌ مشكـورةٌ   أو تخذلا فصنيعةٌ لا تذهب[١٦]
عـوجـا نُقَضِّ حـاجـةً وتجنَّبـا   بَثَّ الحديث ، فإنَّ ذلك أعجب
لا تُشعِـرا بكمـا الأحمَّ فـإنَّـه   وأَبيكما الصَدْعُ الذي لا يُرأَبُ[١٧]
أو تَطـويا عنـه الحديثَ فـإنَّه   أدنى لأسبـاب الرَّشـاد وأقـربُ
لا تُشعِراه بنا فليس لذي هوى   نشكـو إليه عنـده مُسْتَعْتَبُ[١٨]

---

٩ ـ في الأصل : «وغدون ظنّان اللجام ..» .

في كل عصر منك جبيح يضرب»

وطنّانِ : شديد الطنين ، يقال : لفلان ذكر طنّانٌ : أي مشهور حَسَن . وقصيدة طنّانة : ذات شهرة .

١٠ـ في الأصل : «تحت العمامة» .

١١ـ في الأغاني : «جلالة» بدلاً من «مهابة» .

١٢ـ في الأغاني : «لا زالت ... يميني تُنكَبُ» .

١٣ـ في الأغاني : «وقوىٰ حبالي من قواك ..» .

١٤ـ في الأغاني : «لله ما فعل ...» .

١٥ـ في الأصل : «مربّضة» ومريَّضة : من قولهم : راض المهرَ رياضاً ورياضةً : ذلَّله .

١٦ـ في الأصل : «... أَو تخذلوا ..» .

١٧ـ في الأصل : «بكم» وما اثبتناه أنسب ؛ لأنه يخاطب صاحبيه . والصدع : الشق . ورأَبَ الصدعَ : أصلحه .

١٨ـ في الأصل «لدى هوىً ... تشكو اليه ..» واستعتبه : أعطاه العُتبىٰ .

وقفا فقولا مَرحَباً وتزوَّدا نَظَراً ، وقَلَّ لمن يُحَبُّ المرْحَبُ
مَنَع الرَّقادَ جوى تَضَمَّنه الحشا وهوى أكابِده ، وهَمٌ مُنصِبُ[19]
وصبا إلى الحانِ الفؤادُ ، وشاقَه شخصٌ هناك إلى الفؤاد مُحَبَّبُ
فكما بقيت - لتبقَيَنَّ لذكره - كَبِدٌ مفرَّثة وعين تَسكُبُ[20]

١٩- في الأصل : «وجوى يضمَّنه الحشا» .

٢٠- في الأصل : «لتبقان لذكره» ومُفَرَّثة ؛ من قولهم : فَرَثَ كبدَه : ضربها ، وهو حيّ كفرَّثها . وانفرثت كبدُهُ : انتثرت . وأفرث الكبدَ : شقَّها .

وقال في رجل كان معه وكان مشوماً : (المنسرح)

تَستنكرُ النّاس فِتْنَةً شَمَلَتْ قَوْماً فأدَّتْهم إلى تَلَفِ
لَا يعجب النّاس من تَصَرُّفها وَلْيَعْجَب الناس من أبي خَلَفِ(1)
لَوَ هَمَّ أنْ يقتلَ العبادَ لما أصبحَ مِن قَتْلِهم على الأسَفِ
يقتلُ من شاءَ كيف شاء فإنْ خُوِّفَ سوءَ العقاب لم يَخَفِ
لا يَجحَدُ الله بالتأوُّل والشَّـ ـكِ ، ولكن جحودَ مُعْتَرِفِ
يا قاتِلَ الأنْفُس الحرام ويا آكلَ مال اليتيم بالسَّرَفِ
والحالفَ ، الحانِثَ المُصِرَّ على الحنْـ ـث عُتُوّا ، وشاتم السُّلَفِ(2)
مَنْ يقتلُ الناسَ إنْ هلكتَ ومن للخيل والبيض ، والقنا القُطُفِ(3)
إني أرى الموتَ من تخاوُص عينيـ ـكَ مُطِلّاً علىَّ من شَرَفِ(4)
ناشدْتُكَ الله أنْ تُطِلَّ دَمي ما الحظُّ في قتل غير مُنتَصِفِ(5)
لو تمَّ فيك الجَمالُ ، والحِلْمُ ، والعقـ ـلُ ، ولو كنتَ من ذوي الشَّرَفِ
كنت فتى عِجْل المقدم لا مُرَّة فيها ، ولا أبا دُلَفِ(6)

---

١ - ابو خلف هذا صاحب ابن الزيات وستأتيك قصيدته فيه : «ابو خلف ابو تَلَف ...» وفي الأصل : «لا تعجب» .

٢ - الحِنْث ؛ بالكسر : الإثم ، والخلف في اليمين . وعتا عتوّاً وعتياً : استكبر ، وجاوز الحدَّ . وفي الأصل : «وشاء ثم» والتحريف ظاهر .

٣ - القَطَف : شجر جبليّ متين الخشب .

٤ - يقال : هو يخاوص : إذا غضّ من بصره شيئاً ، وهو في ذلك يحدّق النظر ؛ كأنه يقوِّم سهماً .. والشرَف : المكان العالي .

٥ - اطلَّ دمه : أهدَرَه . وانتصف منه : انتقم منه لطلب العدل .

٦ - عِجْل : قبيلة ابي دُلَف العجليّ . وأبو دُلَف : قائد المعتصم في حرب بابك ، وهو شاعر فارس مشهور ، همَّ الأفشين بقتله فخلَّصه أحمد بن أبي دؤاد . وكان ابن الزيات ، قبل أن يلي الوزارة ، توسَّل اليه أن يوصل مديحه الى الحسن بن سهل . انظر كتابنا ص٢٨ ، وتأريخ بغداد ٧/ ٣١٩ .

طُوبىٰ لمن كان من أبى خَلفَ   في عَطَـنٍ واســعٍ وفي كَنَف[7]
ينقــق كــعبيــه في مــلاعبــة   بالرفق لا ضير فيه بــالعنف[8]

---

٧ ـ المناخ : حول الورد . والكَنَف : الظلّ ، أو الناحية ؛ يقالُ : «أنت في كَنَف اللّه» أي في حرزه وستره ورحمته .

٨ ـ في الأصل : «ينقّق» ولعلَّ صوابها : «ينفّق» ؛ من قولهم : «فرس نفق الجري» : أي قصير الغاية ؛ يجري قليلاً ثم ينقطع عن جريه . أو لعلَّها : «ينقّلُ» .

وقال في أبي خلف : (مجزوء الرمل)

أبــو خَلَــف ، أبــو تَلَــف إذا فــاتكتَــه فَتَكـا[٢]
ومَــنْ يحْلُــلْ بســاحَتــه ليــؤذِيَــه فقــد هَلَكــا
هــو الرجُــل المحبَّب والمُكَرْ رَم حيثمــا سَلَكـا[٣]
يُــرَجِّــل جُمــةً عجليَّــةً شــابـت ، ومــا احتنكـا[٤]
لــه سيــفٌ إذا لاقــى مَنــاط قــلايــد بتكـا[٥]
وإنْ هـــو كــرَّ في الــرّوْ ع جــذّ الـدرع أَوهَتَكـا[٦]
ويطــعَــنُ طــعنَــةً نَجْــلا تُــغلِّس أينمــا حَشَكـا[٧]

١ ـ كتبت هذه القطعة في الأصل كلّ بيت بشطر .
٢ ـ الفتك : ركوب ما همَّ من الأمور . وفاتكه مفاتكةً : قاتله مُجاهرةً .
٣ ـ في الأصل : «الحبيب» ولا يستقيم بها الوزن .
٤ ـ رجَّل الشعر : سرَّحه . والجمَّة : مجتمع شعر الرأس ، وهي أكثر من الوفرة . وعجليَّة : منسوبة الى قبيلة عجل العربية ، وهي قبيلة ابي دُلَف العجليّ . واحتنك الرجل : أحكم بالتجارب والأمور وأصبح حكيماً .
٥ ـ في الأصل : «نبكا» ولعلَّها : «بتكا» أي قطع .
٦ ـ في الأصل : «كرَّ في الدرع جدّ ..» وجذّ : قطع . والجذُّ : القطع المستأصل . وهتك ؛ من قولهم : هتك الستر وغيره : جذبه فقطعه من موضعه .
٧ ـ الطعنة النجلاء : الواسعة العميقة . وفي الأصل : «تفلَّس» ولعلَّها : «تغلّس» من التغليس : وهو الوقوع في الهلاك ، أو في داهية منكرة . وحشك : لم أجد لها معنى مناسباً في المعجم ؛ وهي مستعملة الآن في العراق : بمعنى ادخل الشيء بصعوبة شديدة في مكان ضيِّق ؛ يقولون : حشكَ نفسه بمكان كذا أو مع كذا من الناس ..

- ٧ -

وقال في أبي دهمان المغني : (الوافر)

أَبـو دهمـانَ داهيـةٌ نـادُ ... لـه في كلِّ مُنْتَجَـع مَصَادُ[٢]

إذا غَنَّـى وهَـزْهَـزَ منكبيـه ... وأَعجبَ واطمـأنَّ به الـوساد

وساقَ حديث مصرَ وسـاكنيها ... وما صنعَ الخَصيبُ ، وما افادوا[٣]

وقال انا ابن حِمْـيَرَ وَرَّثتني ... مكـارمَهـا وأخـوالي مُـرادُ[٤]

دعاكَ بفضل ثوبك مُستعيـراً ... له ، فإذا انطوى فالثوبُ راد[٥]

وأَنكَـرَ بَعْـدُ مُعتـذراً بُسكـر ... وبعضُ القول ليس له انقياد

فما لكَ إذ سكرتَ أخذت ثوبيً ... وثـوبُـكَ دونـه الحتف المُقـاد

---

١ ـ في الأصل : «أبي دهمان المفتى» والمفتى هذه من سهو الناسخ وهي : «المغنّي» كما هو واضح من القصيدة .

٢ ـ في الأصل : «داهية فساد» والنآد : الداهية العظيمة ، وقد تكون أنسب من «فساد» . والمنتجع : الموضع يقصده الناس للماء والكلأ .

٣ ـ في الأصل : «الحصيب» والخصيب : هو الخصيب بن عبدالحميد ؛ والي مصر المشهور الذي قال فيه أبو نواس رائيَّته المشهورة ، التي فيها :

ذريني اكثِّرْ حاسديك برحلة ... الى بلد فيه الخصيب أمير

فما جازه جود ولا حلَّ دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير

وأبو دهمان هذا المغنّي يسوق حديث الخصيب ليحثّ سامعيه على العطاء بسخاء ؛ على نحو ما يفعل الخصيب .

٤ ـ حِمْيَر ومُراد : من القبائل اليمنيَّة المشهورة . ومن «حِميَر» الدولة الحِمْيريَّة القديمة في اليمن .

٥ ـ «دعاك» لعلَّها : «دهاك» والراد : الرائد ؛ وهو الرسول يتقدَّم في طلب شيء ، فكأنه يريد أن استعارته للثوب تكون مقدّمة لاستعارة غيره من الأشياء ، وقد بيَّن أنه أخذ المنديل أيضاً .

فأقسم لو سرقت عصيَّ بنتي   تشكّى الكبر ، فهي له عماد[٦]
وجاءتْكَ الملائكُ شافعات   مع الأرَضينَ ، والسَّبْعُ الشِّداد
لما استعطَفْت ردَّهم بغيظ   ولو سَلَقَتْكَ ألسِنَةٌ حِدادُ[٧]

---

٦ ـ هكذا في الأصل : «عصي بنتي .. تشكّىٰ الكبر ..» ولم نجد لها ما تستقيم به معنى .

٧ ـ «استعطفت» لعلّها : «استعظمت» وهي أنسب هنا . وسَلَقه بالكلام : آذاه . وفي القرآن الكريم : «سلقوكم بألسنة حداد» .

- ٨ -

وقال أيضا في أبي دهمان :[١] . (الرمل)

ونـديـم ســارق نــادَمَنــي وهو عندي غير مذموم الخُلُق[٢]
ضَــاعَفَ الكَوْر عــلى هــامَتِـه وطوى منديلَنـا طيَّ الخِرَق[٣]
يــا أبا دهمــان لو جَـامَلْتَنـا لكفينــاكَ مئــونــاتِ السَّرَق[٤]

١ ـ في الأغاني : «وذكر أبو مروان الخرائطي : أن أبا دهمان المغنّي سرق من محمد بن عبدالملك منديلاً دَبَقياً ، فجعله تحت عمامته . وبلغ محمداً ذلك فقال فيه : وذكر الأبيات ... ٢٠/٥ ، والدبيقيُّ : منسوب الى دبيق : بلدة بمصر ، مشهورة بثيابها الدقيقة النسيج ، ذات الرقمات المنسوجة بالذهب (انظر ياقوت في معجم البلدان» .

٢ ـ في الأغاني : «خاتلني» بدلاً من «نادمني» .

٣ ـ في الأصل : «صاعق .. طيَّ الحرق» والتصحيح من الأغاني . والكوْر : الدور من العمامة .

٤ ـ السرق : السرقة .

وقال لي أحمد بن عبدالوهاب والجاحظ ، وقد ذكر أن الحسن بن وهب[١] كتب إلى محمد [بن عبدالملك الزيات] وعنده ابن عبدالوهاب يعتذر من تأخّره بتتابع المطر ، شعراً أوَّله : (الوافر)

أيا ثقةَ الخلائف من نِزارِ ... ومَن هو للمُلِمَّات الكبار[٢]

فقال ابن عبدالوهاب ، أنا أجيبه ، فأجاب بما لم يَرضَهُ محمد ، وقال :

رَجونا في التَّجاورِ أنْ تَصيرا ... إلى بعضِ التَّعابث والغفار[٣]
فلم أر فيكم إلا سَريعاً ... إلى التَّسليم طَبا بالفرار[٤]
يُزكّى ذاكَ عند الوصفِ هذا ... وذا من نحو صاحبه يدارى
فما يدري أَضاع الحزْم عندي ... فقلَّ تحفُّظي وفشا سِراري
أم الأخرى التي لا ذنب فيها ... فقد يقع الجدارُ على الجدار
وإنَّكَ في اجتهادَك حين ترجو ... سقاطاً من خليلك ذو اغترار[٥]
عَداكَ بما يقول الناسُ فيه ... شطاط القول عن فَتْل القِصار[٦]
فلم تحوِ التي خاتلتَ عنها ... وأُبتَ وأنتَ مَطلوبٌ بثار[٧]
وقالا ، ثم قلتُ وذاكَ أيضا ... إذا ذُكِر الذِّمارُ مِن الذِّمار[٨]

---

١ ـ أحمد بن عبدالوهّاب : هو الذي كتب له الجاحظ رسالة «التربيع والتدوير» وهي رسالة عَجَبٌ في بابها في الهجاء النثريّ ، مزج الجاحظ فيها الجدّ بالهزل .
٢ ـ في الأصل : «نذار» بدلاً من «نزار» .
٣ ـ «التعابث» لعلَّها : «التعاتب» وهي أنسب «للغفار» .
٤ ـ الطبُّ : الماهر الحاذق في عمله ؛ يقال : هو طبأ بهذا الأمر : أيْ عالم فيه .
٥ ـ السقاط : العثرة والزلَّة .
٦ ـ شطاط القول : بُعْدُه .
٧ ـ خاتله مخاتلةً : خدعه عن غفلة .
٨ ـ الذمار : كلُّ ما يلزمك حفظه ، وحياطته ، والدفع عنه .

خَلَتْ لهما بسبقهما القوافي مُوَقرةً ففازا بالخِيار[٩]
ولم تحصلْ من الألفاظ إلّا إلى مُستَرذَل أو مُستَعار
جَرَتْ بكما العتاقُ ففتماني فها أنا ذا أدبُّ على حمار[١٠]

---

٩ ـ الخيار : الاسم من الاختيار ، ومنه : «خيار البيع وغيره عند الفقهاء» وخيار المال : أفضله وأحسنه .

١٠ ـ العتاق من الخيل : النجائب ، والمفرد : عتيق . «وفتماني» ؛ في الأصل «فقسّماني» ولا نراها تستقيم مع السياق .

وقال أيضاً :(١) . (الكامل)

حدثني بعض أصحابنا ، أنه استعار كتاباً جيداً ، كانت منه عنده نسخة جيدة ، فكسره ورد نسخته مكانه :(١)

إنِّي نظرتُ ، ولا صوابَ لعاقلٍ ... فيما يَهُمُّ به إذا لم ينظرِ
فإذا كتابُكَ قد تُخيِّرَ خَطُّهُ ... وإذا كتابي ليس بالمُتَخَيَّرِ
وإذا رسومٌ في كتابك لم تَدَعْ ... شكاً لمُعتَنف ، ولا لمفكِّرِ(٢)
نُقَطٌ وأشكالٌ تبين كأنَّها ... نَدْبَ الخُدوش تلوح بين الأسْطُرِ(٣)
تُنْبيك عن رَفْعِ الكلام وخَفْضِه ... والنَّصْب منه لحالهِ أو مَصدَرِ
وتُريكَ ما يُعياَ بِهِ ، فبعيدُه ... كقريبه ، ومُقَدَّم كمؤخَّرِ
وإذا كتابُ أخيك من ذا كُلِّه ... عارٍ فبئس لبايعٍ ولمشتَري
فاقبضْ كتابَ أخيك غير منافسٍ ... فيه ، وخلِّ له كتابَك واعذُرِ
واْعلمْ بأنَّك لا تَزال مؤخَّرا ... مُستأخرا في العلم ما لم تكسرِ
إني أرى حبَس السَّماعِ على الذي ... شاركته فيه ، وكسر الدَّفْتَرِ

١ ـ في الأصل : «فسخة جيدة» أتراه يريد قطعاً متفرِّقة منه !؟ أم هو تصحيف : «نسخة» !؟ . وكسر الكتاب : جعله على عدّة أبواب ؛ ولا نرىٰ هذا يستقيم مع ما جاء في القطعة الشعرية التالية .

٢ ـ المعتنف : من اعتنف الشيء : جهله ، أو أتاه ولم يكن له به علم . في الأصل : «ولَا لمعكَّر» .

٣ ـ في الأصل : «فبين» بدلاً من : «تبين» . والندبة : أثر الجرح الباقي على الجلد . والجمع نُدَب . والخدوش : جمع خدش ؛ وهو الجرح لا يسيل دمه .

- ١١ -

وقال أيضا :[١] . (البسيط)

الآنَ قام على بغداد ناعيها ... فليبكِها لخراب الدَّهر باكيها[٢]

كانت على مابها والحربُ باركةٌ ... والهدْمُ يغدو عليها في نواحيها

تُرجىٰ لها عَوْدَةٌ في الدهر صالحةٌ ... فالآن أضمر منها اليأس راجيها

مثل العجوز التي وَلَّتْ شبيبتُها ... وبانَ منها جمالٌ كان يُحظيها[٣]

ازَّتْ بها حرَّة زهراء واضحة ... كالشمس مكسوَّة دراً تراقيها[٤]

---

١ ـ رويت هذه القطعة في ديوان أبي تمام ، وبُيِّنَ فيه أن أبا تمام يهجو بغداد مقارناً لها بسامراء . أترىٰ ابن الزيات تمثَّل بها في بعض مناسباته فظنَّ أنها له !؟ أم أنها له والرواة أضافوها الى أبي تمّام . ابن الزيات هو الذي عهد اليه المعتصم ببناء سامراء ، وهو الذي بناها . والقطعة غير بعيدة عن أسلوبه الشعريّ .

٢ ـ في الأصل : «فلييكها الخراب ..»

٣ ـ بانَ : فارق ، ومنها : «البين» أي الفراق .

٤ ـ الزهراء : المرأة المشرقة الوجه . وفي بعض الروايات لأبي تمام : «وهزاء» والوهازة : مشية بتبختُر وتمايل . وفي الأصل : «مكسورة» والتراقي : جمع ترقوة ؛ وهي أعلى الصدر .

وقال أيضا : (الطويل)

سَلامٌ على الدار التي لا أزورُها ... وإنْ حَلَّها شخصٌ إليَّ حبيبُ
وإن حَجَبَتْ عن ناظريَّ سُتورُها ... هوىً تَحْسُن الدنيا به وتَطيبُ
هوىً تَحْسُنُ اللذاتُ عند حُضوره ... وتَسخُن عينُ اللهو حين يغيب[١]
تَثَنى به الأعطافُ حتى كأنَّه ... إذا اهتزَّ من تحتِ الثيَاب قضيبُ
رضيتُ بسعى الوَهْم بيني وبينها ... وإنْ لم يكُن للعين فيه نَصيبُ[٢]
مَخَافةَ أنْ تُغْرَى بنا أَلْسُنُ العدا ... ويطمع فينا عـائب فَيعيبُ[٣]
كأنَّ مَجالَ الطَّرْف من كلِّ ناظرٍ ... على حركات العاشقين رقيب[٤]

١ ـ سخُنت عينُه : نقيض قرَّتْ . وقرَّت العين : بردتْ وانقطع بكاؤها . أو رأت ما كانت متشوّقة اليه . وأسخن الله عينه : أَبكاها .

٢ ـ في الأصل : «ويطمع فينا غايب ...» .

- ١٣ -

وقال أيضا : (الوافر)

سَقــامِـي في تَقَلُّــب مُقْلَتيكــا وبُــرئى في رُضابِ ثَنيَّتيكَـا[1]
وحُسْنُ محاسن الدُّنيا جميعاً يلـوح لنـاظـري في وَجْنتيكـا
إذا عـذَّبتنــي فجعلـتَ حظي بأ [ني قد أموت] فما عليكا
ودَعْني ، لا يهمُّك ما بجسمي ولا أشكو الهوى أبداً إليكا

١ ـ في الأصل : «تعليكا» . والرضاب : الريق المرشروف . والثنيَّة : واحدة الثنايا : وهي أربع أسنان في مقدمّ الفم ؛ ثنتان من فوق . وثنتان من أسفل .

- ١٤ -

وقال أيضا :[١] . (مجزوء الوافر)

صَـغـيرُ هَـواكَ عَـذَّبنـي فكيـف بـه إذا احتَنَكـا[٢]
وأنـت جمـعـتَ مـن قلبـي هـوىً قـد كـان مُشتـركـا
وحبسُ رضـاك يقتلنـي وقتـلي لا يحـلُّ لكـا[٣]
أَمـا تَـرْثـى لمكتَئِـب إذا ضَحِـك الحـزينُ بكى[٤]

---

١ ـ كتبت الأبيات التالية في الأصل . كلّ بيت منها بشطر . وعلّق عليها صاحب الأغاني بقوله : الشعر لمحمد بن عبدالملك الزيات ، والغناء لأبي حشيشة ؛ رمل بالوسطىٰ عن الهشاميّ ٢٢/٤٦٢ .

٢ ـ احتنك الشيءَ ؛ بنصْب الشيء : فهمه وأحكمه . ورجلٌ محنَّك ، ومحتنك : أحكمته التجارب .

٣ ـ في الأغاني : «وحبس هواك» ولعلَّ ما هو مثبت هنا أنسب .

٤ ـ في الأغاني : «إذا ضحك الخليُّ ..» .

- ١٥ -

وقال أيضا :[١] (المقتضب)

ظالمٌ ما عَلمتُه مُعْتَدٍ لا عَدِمتُه[٢]
زاهدٌ إنْ وَصَلْتُه غافِلٌ إنْ صَرَمْتُه[٣]
مُرصدٌ بالخلوف والمنـ ع من حيث رُمْته[٤]
لامَني حين لمتُه ظنَّ أني ظلمتُه
قلتُ لا عدت هاك هذا فمن قد ختمته
كم وكم قد طويتُ ما بي ، وكم قد كتمته
قال : ما شاءَ فليقُلْ كلُّ ذا [قد] فهمتُه[٥]
لو بكى عُمْرَهُ من الوجـ ـدِ ما إنْ رَحمته[٦]
قلتُ شيء حُرِمتُه ليس لي ما حُرمتُه
ربَّ همٍ طويت فيـ ك وغيظٍ كظمتُه
وعَناءٍ من العَنَا ءِ طويلٍ جَشَمتهُ
وأمور خضعتُ فيـ ـها وضيم رَمَمتُهُ
ومقامٍ على الهَوا ن طويلٍ أقمتُه
وحياتي سئمتها والهوى ما سئمتُه

---

١ - كتبت في الأصل كلّ بيتين بسطر واحد .

٢ - في الأغاني : «ظالمي» بدل «ظالم» .

٣ - في الأغاني : «هاجرٌ إن وصلتُه صابرٌ ...»

٤ - في الأغاني : «مرصد بالخلاف .. حيث سمتُه» .

٥ - رويت القطعة هذه في الأغاني باختلاف في ترتيب الأبيات . وفي زيادة في بعضها ونقص في البعض الآخر . والقطعة هذه مما يغنّى به ، وقديماً قيل : «ما على المطرب أن يعرب» .

٦ - في الأغاني : «لو بكى طول دهره بدمٍ ما رحمته» .

- ١٦ -

قال في حصر نسب يحيى بن معاذ ، وأرادَ جمعه ببيتين ، وكان ينساه كثيرا :[١] (الخفيف)

من يكنْ رامَ حاجةً بَعُدتْ عنه وأعْيَت عليه كُل العياءِ

فلها أحمد المُرَجَّى بنُ يحـــيى بن معَاذ بن مُسلم بن رَجاءِ

---

١ - يبدو أن هذه أبيات في المديح لأحمد بن يحيىٰ بن معاذ ، غالىٰ فيها ابن الزيات . وماذا وراء قوله : إن أحمد هذا هو المرجّىٰ لكلّ حاجة بعُدَتْ علىٰ طالبها .. ومعلوم أن الشعراء قد يذكرون نسب الممدوح تعظيماً له . ولعلَّ ابن الزيات ذكر آباء أحمد هذا لهذا السبب ، وأوّلهم يحيىٰ بن معاذ ؛ وهو أحد قوّاد المأمون البارزين ؛ أرسله المأمون لحرب بابك الخرَّمي .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرىٰ لم يُعرف عن ابن الزيات أنّه نسّابَة أو أنه يهتم بحفظ الأنساب .

وقال أيضا : (المتقارب)

وكـانَ أخَاك يـرى مـا رأيـــــتَ ومهما دعوت إليه أجابا[١]
فَلَّمـا أســأتَ وكنـتَ امــرءاً إذا ما اقترضْتَ نسيتَ الحِسابا
ثنىٰ قَـدَمَا صـاعداً واطمـأنْ .. نَ بأخرىٰ ، وقال لعَلَّ العِتابا
فلمـا أبيـتَ إبـاءَ الحـرون ثنى أختها فتبوا السَّحـابا[٢]
فكيـف رأيـتَ أخـاك الـذي أسأتَ به ، ووجـدتَ الثَّوابـا

---

١ ـ في الأصل :
وكنت أخـاك تـرىٰ مـا رأيـ ـت ومهما دعوت إليـه أجابـا
ولعلَّ ما أثبتناه أنسب لسياق القصيدة .
٢ ـ الحرون : الدابة التي اذا استدرّ جريُها وقفتْ : ولا توصف بهذا كرام الخيل ، وفي شعر المتنبي في شعب بوّان قوله :
طبتْ فـرسـاننـا والخيـل حتىٰ خشيتُ ، وان كرمْنَ ، من الحِرانِ

- ١٨ -

وقال في أحمد بن أبي دؤاد :[١] (المجتث)

ما باله وابنه لم يُزَّوجا عَرَبيهْ[٢]
ولا أبوه على ما بهم من العصبيه[٣]
لكنهم حين صاروا إلى الأمور السَّنيَّه
قد أبعدوا في التمنِّي وأرغبوا في العَطيه[٤]

---

١ - أحمد بن أبي دؤاد ؛ قاضي القضاة المعتزليّ ، عربيٌّ من قبيلة إياد ، متعصّب للعرب نصيرٌ لهم في دولة بني العبّاس ، ذات النفوذ الفارسي والتركيّ . كان منافساً لابن الزيّات في سلطانه ؛ منذ أن جاء إلى أن قُتل . وكان المحرّض على سجنه وقتله . كان المعتصم لا يردّ له طلباً ولا شفاعة وكان الواثق كذلك . وفلج أحمد في أوائل أيام الخليفة المتوكّل .

٢ - وابنه : هو محمد بن أحمد بن أبي دؤاد ؛ ولاّه الخليفة المتوكّل القضاء بعد أن فُلج أبوه . وللجاحظ رسالة في النابتة ؛ يهديها الى : «أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد» .
وابن الزيّات يعرّض به بأنه غير عربيّ ، وأن العرب لا يزوّجونه ولا يزوّجون ابنه نساءهم العربيات أنفةً منهم . وكان الشعراء ، ومعهم ابن الزيات ، يهجونه بأنّه دَعيّ في العرب . وستأتينا أبيات ابن الزيّات في التعريض به في هذا .

٣ - شُهر أحمد بن أبي دؤاد بمناصرته للعرب ، وفي تعصّبه لهم ، على حدّ قول ابن الزيات هذا . قالوا : غضب المعتصم على خالد بن يزيد بن مَزْيد الشيبانّي ، وتشفّع له أحمد ابن أبي دؤاد . وخرج خالد والناس ينتظرون عقوبته ، فإذا هو يخرج وعليه الخلع ، والمال بين يديه ، وصاح به رجلٌ : «الحمد للّه على خلاصك يا سيّد العرب !» فقال له خالد : اسكتْ ؛ سيِّدُ العرب - والله ! - أحمدُ بن أبي دؤاد !

٤ - يقال : «أرغبه في الشيء : جعله يرغب فيه . ومنه قولهم : «أرغب اللّه قدرك» : أيّ وسَّعه وأعظم شأنه .

فلا جزى الله عجلاً والعُصْبَةَ الدُّلفيَّه[5]
خيراً ، ولا ترك اللَّه فيهُم من بَقيَّه
قولوا لنا يا بني الحسن قولةً مستويّه[6]
ماذا إليه انصرفتم عن خزي هذي البَليَّه
فما رأينا لواءً لكم أمامَ السَريَّه
ولا رأينا أميراً منكم على العشريه
ولا رأينا جياداً تقاد كلَّ عشيَّه
ولا طمعنا لكم في ولايةٍ خلديه
ولا سمعنا في القُضاة يومَ القضيَّه
أما إلى مِجَن وكلّ هذا قِسيّه[7]

٥ ـ العصبة الدلفيَّة : عصبة أبي دُلَف العجليّ : وهو صاحب أحمد بن أبي دؤاد . همَّ الأفشين ؛ قائد المعتصم الأكبر بقتله وخلَّصه أحمد بن أبي دؤاد منه ، وقد مرَّ بنا حديثه ؛ وانظر أخباره في الأغاني ؛ ٧/١٥٠ وسيأتينا حديثه في مديح عليّ بن جبلة الشاعر له .

٦ ـ سوّى الشيءَ : جعله سوياً ؛ يقال : «سويت المعوّج : أي أقمته وجعلته مستوياً» .

٧ ـ في الأصل :
أما الا محسن متعدٌ وكلّ هذا قسيه» والقطعة كتبتْ كلّ بيت بشطر .

وقال في أحمد بن أبي دؤاد : (المديد)

فَرَجٌ . قالوا: اسم والدِ مَن يتعـاطى الفِقْهَ والحجـا[١]
إنْ يكن هذا اسمُ ذى حَسَب فَمُنِـعْتُ الـرّوحَ والفَـرَجـا

١ ـ ذهب المؤرخون الى انّ اسم والد أحمد بن أبي دؤاد ، فرج ، وقيل : اسمه دعمّي . وقيل : كُنيتُه هي اسمه . انظر تأريخ بغداد للخطيب البغدادي .

(الوافر)

وقالوا : «هل رأيتَ أبا دؤاد؟ فقلتُ: نَعَمْ ، رأيتُ أبا الحُبابِ[١]

فقالوا : لا عليكَ ، رأيتَ منه كأَشْبَهِ بالغُراب من الغُرابِ[٢]

---

١ ـ الحُباب : كغراب : الحيَّة . واسم شيطان . وامّ حُباب : هي الدنيا ، وهي صفة ذمّ لها . (انظر لسان العرب) .

٢ ـ الغُراب : نذير الشؤم والفراق عند العرب ، ومشهور قول النابغة الذبياني .

زعم البوارح أنَّ رحلتنا غـدا وبـذاك تنعاب الغُـراب الأسود

لا مـرحباً بغـدٍ ولا أهلاً بـه إن كان تفريق الأَحبّة في غد .

حدثني بعض أصحابنا ، أن محمداً دخل دار السلطان ، وابن أبي دؤاد فيها ، فلما رآه قام يصلي ، فقال :[١] (الكامل)

صلَّى الضُّحى ، لما استفاد عداوَتي وأراه يَنْسُكُ بعدها ويصومُ[٢]

لا تَعدمَنَّ عداوةً مأجومةً تركتْكَ تقعُدُ مرَّةً وتقوم[٣]

---

١ ـ كبر ابن الزيّات عند الخليفة الواثق ، فأراد زيادة في إكرامه ، قالوا : «فأمر الواثق أصحابه أن ينهضوا قياماً لأبي جعفر ـ كنية ابن الزيات ـ اذا دخل ، ولم يرخّص في ذلك لأحد» فاشتدَّ الأمر على ابن أبي دؤاد . ولم يجد لخلاف ، الخليفة الواثق سبيلاً ، فوكّل بعض غلمانه بمراقبته موافاة ابن الزيات ، فإذا أقبل أخبره ، فينهض فيركع» انظر كتابنا : محمد بن عبدالملك الزيات ص١٤٢ وما بعدها .

٢ ـ مأجومة : من قولهم : «أجمت النار : تأجّجت . وأجم النهار : اشتدَّ حرّه .

وقال في محمد بن ثابت مولى نصير : (المتقارب)

أقــول إذا مــابــدا طــالِعــاً وقد كان إذ همّ أو قد وَلَجْ
من النّاس مَن ليس حتى المما تِ منه ، ولا من أذاه فَرَج
يَبيتُ فلــو كنتَ ســاهَــرْتَــه إلى الصُّبح لم يَرضَ أو يَدَّلجْ[١]
ولو كان ذا من أَحَبِّ العِبا د إليك ، لكان بغيضاً سَمِج
فكيــف إذا كــان ممن يكــا دُ صدرُك من بُغضه يَنفَرِجْ

١ ـ الدلج : السير من أول الليل ، وقد أدلجوا .. فإن ساروا في آخره ، قيل : ادّلجوا ؛ بالتشديد .

وقال أيضاً : (الكامل)

يـا قلْـب ويحـكَ لِـمْ تُـرِدْ بمـوَدَّة مَـن لا يُـريـدُك
يـزهـو ويـغـرِق في القـلى وإذا مَـرضتَ فـلا يعـودك
حتـى متـى وإلى متـى غَـيُّ الفـؤاد لـه يقـودُك
أمسى لـغـيرك جـودُه ولـه [وما] يهـواك - جودُك
دَعْـه يـعـومُ بظنِّـه إذ مَسَّ أسفَلَـه عمـودُك
إنْ كـان خـاف فقـد أقـا م قضـاءه في البيت عـودك
أوقـدْ عليـه وخلِّـه فَلَسـوفَ يُحـرقه وَقـودُك
لـولا اليمـينُ هَجـوتـه وأشـاع فَضحتَـه قَصيـدُك

وقال أيضا : (المديد)

نَمْ فقد وكَّلْتَ بي الأرقا ... لا هياً بُعْداً لمن عَشِقا
إنَّما أبقيتَ من بَدَني ... شَبَحاً ، غيرَ الذي خُلِقا
وفتىً ناداكَ من كُرَب ... أسْعَرْتْ احشاءَه حُرقا
غَرِقَتْ في الدَّمع مُقْلَتُهُ ... فدعا إنسانها الغَرقا[1]
ما لمن تَمَّتْ محاسِنُهُ ... أنْ يُعاطي طَرْفَ من عَشِقا[2]
لك أنْ تبدى لنا حسناً ... ولنا أَنْ نُعمِلَ الحَدَقا

---

١ ـ انسان العين : سوادها .

٢ ـ التعاطي : التناول ، والتنازع في الأخذ ، ومنه في شعر امرىء القيس : «فتعاطىٰ فعقرْ» .

- ٢٥ -

وقال أيضا : (الخفيف)

لي حبيبٌ تفرَّع الحسنُ فيه ليسَ فيه ، لا ولا فيه ليتُ
أنا أفديه من حبيب له الفضْـــــــلُ على مَنْ أرى وَمَنْ قد رأيتُ
طال ما كنتُ سالكاً سُبُلَ الحُـــــــبِّ بجهدي ، وطال ما قد سَعيتُ
في ارتيادي لمن يليق به العِـــــشقُ فلما انتهى إليه انتهيتُ

وقال :[١] (المنسرح)

يـاأيُّها العـائبي ، ولم ير لي عيباً ، أما تنتهي فتَـزدْجِرُ[٢]
هَـلْ لـك وتـرٌ لـديَّ تطلبُـه أم أنت فيمنْ يبيتُ يَعتذِرُ[٣]
إنْ كـان قَسْمُ الإله فَضَّلَني وأنتَ صَلْدٌ ما فيك مُعْتَصَرُ[٤]

---

١ ـ في الأغاني : إن عليَّ بن جَبَلَة وابن الزيات كانا يتهاجيان : «٢٢/ ٤٨٤ وما بعدها ، وأبيات ابن الزيات هذه يجيب بها عليَّ بن جَبَله على قطعة هجاه بها ، منها :

نُّبـهـت مـن سنـةٍ عَينيـك فـاصطبـر
واسحـب بـذيلـك هـل تقفـو عـلى أَثَـري
إنْ يـرحض اللّـه عنّـي عـار مطلبتـي
اليـك رفـداً ألا فـانجـدْ بـه وغُـرِ
اني ودعواك أن تأتي بمكرمةٍ كمنبض القوس عن سهمٍ بلا وَتَرِ
فـأردْ جفـونـك حسـرىٰ عـن أبـي دلُـفٍ
ولا مـلامـة أن تـعشىٰ عـن القمـر
لا يسخَطـنَّ امـرؤ إنْ ذلَّ في حسـب
فـاللّـه أنـزلـه في محكـم السـور
لـم آت سـوءً ولـم أسخطْ عـلى أحـدٍ
إلّا عـلى طلبـي في مجتـدىً عسرِ
أقصِرْ أبـا جـعفـرِ عـن سطـوةٍ جمحـتْ
إنٍ لـم تقصِّرْ بـهـا مـالـتْ الى القصر

٢ ـ في معجم الأدباء لياقوت الحموي ١/ ٣٠ : «ولم تر بى» بدلاً من : «ولم ير لى» وفي الأغاني ؛ ٢٢/٤٨٦ : «الا» بدلاً من «أما» .

٣ ـ في معجم الأدباء : أم لستَ مما أتيت مما تعتذر» . وفي الأغاني : «أم أنت صَلْد ما فيك معتصر» . وفي الأصل :

«أم أنت فيمن أبيت يعتذر» .

٤ ـ في الأصل : «وإنك صلدٌ» وقد يستقيمُ الوزن بتسكين النون وتخفيفها من : «إنك» .

فالحمدُ ، والمَجْدُ ، والثَّناء لـه وللحسـود الترابُ والحَجَـرُ[٥]
اقـرأ لنـا سـورةً تُخَـوِّفُنـا فـإنَّ خـيرَ المـواعِظِ السُّـوَرُ
أو ارو فقْهاً تحيا القلوب له جـاء له عن نبِّينـا خَبَـرُ[٦]
أوهاتِ ما الحكمُ في فرائضنا مـا تستحِقُّ الإناثُ والـذّكرُ ؟
أو ارو عن فارس لنا مَثلاً فـإن أمثـالَ فـارس عبَـرُ
أو من أحـاديث جـاهليتنـا فـانـهـا عبـرة ومـعتبـر[٧]
أو هاتِ كيف الإعرابُ في الرفـــع والخفض وكيف التصريف والصدر[٨]
أو ارو شعْراً أو صفْ عَروضاً به يُبْلىٰ صحيح منه ومُنكسِر[٩]
فـإن جَهلْتَ الآدابَ مُـرْتَغبـاً عنها ، وخلْت العَمى ، هو البَصَرُ[١٠]
ومَن تعوّض من ذاك ميسرة عليـك منهـا لبهجـةٍ أثَـر[١١]
فغنِّ صوتاً تلْهـو الغُواةُ لـه وكلُّ ما قد جَهلْتَ يُغْتَفرُ[١٢]
تَـعيشُ فينـا ولا تُـلايمُنـا فاذهبْ ودَعنا ، حتى مَ تَنتظرُ[١٣]
تغلى علينا الأسعارَ أنتَ وما عندك نفعٌ يُرجَىٰ ولا ضَررُ[١٤]

---

٥ ـ في معجم الأدباء : «فالحمد والشكر» وفي الأغاني : «والثناء له» .
٦ ـ في معجم الأدباء : «... القلوب به جاء به ... أثر» .
٧ ـ زيادة عن معجم الأدباء .
٨ ـ في معجم الأدباء : «كيف الصواب ... ... والصَدَرُ»
٩ ـ في معجم الأدباء : «أوصفْ لنا غَرَضاً يُتلىٰ ...»
١٠ـ في معجم الأدباء : «إذا جهلت ...» .
١١ـ في معجم الأدباء : «ولم تعوض» .
١٢ـ في معجم الأدباء : «تلهى الفؤاد به» .
١٣ـ في الأغاني : «تعيش فينا .. كما تعيش الحمير والبقر» .
١٤ـ في الأصل ، وفي معجم الأدباء : «الأسعار أنّى ...» وفي الأغاني «الأشعار منك» وهو عندنا أنسب ، لأن المقام مقام حديث عن الأشعار التي بيّن ابن جَبَلةَ أنه طلب العطيَّة بها من ابن الزيّات وحُرقها . وبيّن في أبياته هذه أنه ندم على الطلب ، حتى قال :

همُّــك في مَــرتَـــعٍ ومُــغْتَبــقٍ كما تعيشُ الحميرُ والبَقَــرُ(١٥)

١٥ـ «إن يرخص الله عني عار مطلبتي»
روىٰ صاحب الأغاني خمسة أبيات من هذه القطعة ، وكان هذا البيت آخرها .
وكذلك كان هذا البيت خاتمة ما في معجم الأدباء في رواية هذه القطعة .

وقال : (الوافر)

ألـم يُسْلـكَ عـن نُـعْـم	ولا عـن جـارتي نُـعْمِ
طِـرادُ الخيـل يَحميـهـا	غَـداةَ الروْع مَنْ يحمَي
إذا دارتْ رحـى الحَـرْ	ب، وعَضَّ الحرب بالسِلْم[٢]
فـهـا هنَّـاك إمـا	تَشهـديني تَعلمي علمـي
فقـد أَختلِسُ الطَّـعْـ	ـنةَ بين الـرأي والوَهْم
نَحيـبَ الثـاكِـلِ الـوا	لِـهِ أو غاشيـة الهَدْم[٣]
وأغشى القـومَ بـالقـوم	وألقـى الـهـمَّ بـالـهـمِّ
وأحميـهـم ، فـإن غِبـتُ	حمـوا أَنفسَهم بـاسمي
تقـول الكـاعبُ الحسنـا	ءُ لـمَّـا أزمعَتْ صَرمْي[٤]
أمـا يخـرجُ مِـن لحْـ	ظك أعطافي على رُغمي[٥]
فما إن برِحَتْ حتى اشْـ	تَـركنـا ، وهـي في الإثمِ
وحتـى انصرفـتْ تجـري	بـوجـهٍ مُشـرقٍ فخـمِ
كمـا تنصرف الخيـلُ	إلى قَـعْقَـعَـةِ اللُّجْـمِ[٦]

١ ـ كتبت هذه القطعة في المخطوط بسطر واحد لكلّ بيتين .

٢ ـ في الأصل : «رحا الحرب وعص ..» .

٣ ـ الجيب من القميص : طوْقه ، وكأنه ينظر في بيته هذا الى قول طرفة بن العبد» :

فإنْ متّ فانعيني بما أنا أهله وشقّى عليَّ الجيب يا ابنة معبدِ

٤ ـ الكاعب : الجارية نهد ثديُها وأشرف ؛ فهي كعاب وكاعب .

٥ ـ في الأصل يخرج ، ولعلَّها : «تحرج» من الحَرَج ، وهو الإثم ؛ يُقال : حَرِج الرجلُ : أذنب . ولا حرجَ عليك : أي ولا ذنب ولا اعتراض .

٦ ـ في الأصل : «الى قعقعة اللحم» والسهو واضح .

وقال في عيسى بن زينب : (الطويل)

يا أنفَ عيسى جَزاكَ الله صالحةً ... وزادكَ اللـهُ إشراقـاً ومتّسعـا
نعم ، ولا زلْتَ تجري فيك أوْديةٌ ... من المُخاط رواء يطرِدْنَ مَعا
حِصنٌ حَصينٌ ، وعِزٌّ لو تناوَلَه ... كسرى الملوك ؛ أنو شروان لامتنعا
تركتُ عيسى ، فما عندي مخاطبةٌ ... له ، وخاطبتُ أنفاً طال وارتفعا
عيسى غلامٌ ، ولكنْ أنفُهُ رَجلٌ ... والقرن يَحْسُن منه كلّ ما صَنَعا[١]
رأيتُ أنفاً ولم أعلمْ بصاحبه ... فقلتُ «مَنْ صاحبُ الأنفِ الذي طَلَعا؟»
قالوا : «فتى غاب فيه» قلتُ : واعجبي ... ما إنْ رأى مثلَ ذا راء ولاسمِعا[٢]
يا ويلكم! أخرجوه! قال ناطقُهم: ... هيهات ! ما إنْ نرى في نَيله طمعا
الجبُّ أَبْعَدُ غورا حين تطلُبُهُ ... من أنْ تنال حبا [ل] القوم مَن ضرعا[٣]
فلو تراني على أنفٍ أنوحُ به ... على فتىً زلَّ في خَيْشومِه قِطَعا
بينا كذلك ، إذ جالتْ غوارِبُهُ ... بمَخْطِه ، فإذا عَيْسونُ قد رجعا[٤]
فقلتُ : خيرٌ فقد عاينتَ ما رجعتْ ... عنه العيُونُ ، وقد أبعدتَ مُنْتَجعا
فقال : مازلتُ في ليلٍ وفي لَثَقٍ ... وفي أمورٍ أَذاقَتْني الرَّدى جُرَعا[٥]
فقلتُ : يا أهلَ عيسى إنني رَجُلٌ ... أبدى النَّصيحةَ ، إني مُشْبَعٌ وَرَعا

---

١ ـ القِرن : نظيرك في الشجاعة أو العلم أو غيرهما .
٢ ـ في الأصل : «وأعجبني» والسهو واضح .
٣ ـ في الأصل : «الحبّ» . وضرع : غاب ، ومنه قولهم : ضرعت الشمس : غابتْ أَو دنت للمغيب .
٤ ـ الغرْب : أوّل الشيء ، والحدَّة ، والنشاط ، والدلو العظيمة ؛ وغوارب الماء : أعالي موجه . وعيسون : تصغير عيسىٰ . وأهل العراق الآن يصغّرون بالواو والنون ، فيقولون في حسن : «حسّون» .
٥ ـ اللَثَق : الماء والطين المختلطان ؛ يقال : مشينا في لَثقٍ : أي في وَحْل . وفي الأصل : «جزعا» وبها يستقيم المعنىٰ أيضاً ، ولعلَّ ما اثبتناه أنسب .

لا يَبْـرَحَنَّ لكم حَبْلٌ يُشَـدُّ به وَسْط الغلام ؛ قريباً كان أو شَسعًا[٦]
لِتَجذبوه بـه من جَوفِ مَنْخِـرِه فتُخرجوه بـه ، يومـاً إذا وَقَعا

٦ ـ شسع كمنع : بَعُدَ ؛ يقال : شسع المنزل شسوعاً : بَعُدَ .

- ٢٩ -

وقال أيضاً في عيسى بن زينب : (الرمل) .

قل لعيسى أنفِ أنفِهْ أنفُهُ ضعفٌ لضعفِهْ[١]
لم يَنَمْ مُذْ كان إلّا ألصقَ الأنفَ بسقفه
فترى السقفَ وقد أخـرَبَهُ منه بحرفِهْ[٢]
إن مَنْ عاداك يا عيسى لَمقرونٌ بحَتْفِهْ
أنت لو تستنشق الثَّوْ رَ بقرنَيْهِ وظِلْفِهْ[٣]
لَهَوَى في مَنخر يَسْتغرق الخَلْقَ بنِصْفِهْ[٤]
لو تراه راكباً والتيْـهُ قد مال بعِطْفِه
لرأيتَ الأنفَ في السَّرْج ، وعيسى ردفُ أَنْفِهْ[٥]

---

١ ـ في الأصل : «أنفه ضعفا» .

٢ ـ الحرْفُ من كل شيء : طرفه وحدُّه وجانبه .

٣ ـ في الأصل : «بقرينه وظلقه» والسهو في التحريف واضح .

٤ ـ في الأصل : «لهو في ... الحلق بتصفه» .

٥ ـ في الأصل : «الأنف في السرح» والسهو واضح .

- ٣٠ -

وقال أيضاً في عيسى بن زينب : (المجتث) .

قولا لأنفٍ وقُزْعَةْ أخطاكما وزن سَبعه[١]
ما شاب رأسي ولالي والحمدُ للهِ ، صَلْعَه
لكنْ جَبينَي رَحْبٌ ومقْدمي فيه نَزْعه[٢]
والشعرُ مني جَعْدُ لكنَّ لي فيه صَنْعَه
وحَبَّذا القولُ ، والطولُ فاعلموا فيه شُنْعه[٣]
ولستُ أيضاً قصيراً لكنْ من القوم رَبْعَةْ[٤]
ولا جفاني حبيب أرادَ عنّي نُجْعَه[٥]
يا قدْرَ إسْحق واللهِ لا نَسِيتُك جمعةْ
فأنت مسكٌ ولكن أحبابنا منك قطعه
شاركتُ فيك رجالاً قد جاوزوا البرقَ سرعه
لم يتركوا منك عَظْماً ولا من المرق جُرْعَه
إسحٰق منهم ، وإسحٰق ، ما علمناه ، سِلعه

١ ـ القزعة : القليل من الشعر في وسط الرأس خاصة . وفي الأصل : «سبقه» والسهو واضح .

٢ ـ النزْعة : من النَزَع : وهو انحسار الشعر عن جانبي الجبهة .

٣ ـ الشنعة : القُبح .

٤ ـ الرْبعة : الوسيط للقامة ، والرّجُلُ بيّن الطول والقِصَر .

٥ ـ النُّجعة : في الأصل طلب الكلأ في مواضعه ، وهو هنا الانصراف الى غيره ، أو الى ما هو أفضل منه .

أمّــا النبيــذُ فشــيءٌ لم نَعْتَــرِفْ عنــك منعــه[6]
وليس بــذْلُــكَ إيّــا ه باباً [من] الخمر بِدْعَــه
فــزادَكَ اللــهُ فضــلاً عــلى الملــوكِ ورفــعــهْ
وصَــيَّرَ الأنــفَ حتــى أراه قــد صــار قُطْعَــه[7]

٦ ـ ترِد «اعترفَ» بمعنى عرف ، وورد العكس أيضاً . واستعمالها بالمعنى الأول دارج في لغة العراق الآن ؛ يقولون : ما اعترف يريدون : ما أعرف .
٧ ـ القطعة : بقيَّة يد الأَقْطع .

وقال أيضا : (الخفيف)

تَـركَ اللَّـهـو والصبـى وتَخـلَّى مـن الـغـزَلْ[١]
إذْ بـدا الشَيْبُ في مجـا [لي] عِـذاريـهِ واشتَعَـلْ[٢]
ورأى البيضَ قـد قطَـعْـــنَ من الحبْـل مـا وَصَـلْ
فـابتغى وصـلَ كـلِّ ذي هَيَـفٍ مُشرف الكَفَـلْ[٣]
لا يبـالي أشـاب مـن عـاشقيـه أو اكتـهَـلْ[٤]
لا يـرى يكـره الخضـا ب وإن كان قد نَصَـلْ[٥]
يـأمـن الطَّمْـث منـه في عـاجـل الأمـر والحَبَـلْ[٦]
مُستَـعِـدٌ لمـا يطـا لَـبُ وَقْـفٌ عـلى الـعلـلْ
كُلَّمـا قلـتُ سيـدي جَدِّ [دِ] الوصَلَ لي وَصَلْ
وإذا شئـتَ أن يـزو رَك في خلـوةٍ فَـعَـلْ
وإذا قـام جـارُ بَيْـــتِكَ مَن ذا الذي دخَـلْ ؟
وعـلا صَـوْتُـه وشَنْـــنَعَ في لفظـةِ فَقُـل :
رَجُـلٌ جـاء طـالبـاً بعضَ مـا يطلُبُ الـرّجُـلْ
فَـدَفـعْنـاه ، وفتلنـاه فـانثنـى فـانفتَـل
ورفَـعنـا بـه فخـرْ ر عـلى الـوجـه وانخـزل

---

١ ـ في الأصل : «وتجلَّى» .
٢ ـ العِذار من الرجل : جانب اللحية ، أي الشعر الذي يحاذي الأذن ، وعندهم أنه أوّل ما يشيب من الشعر . وقد نظر الى الآية الكريمة : «واشتعل الرأس شيباً» .
٣ ـ هيفَ الغلامُ : ضمر بطنه ورقَّت خاصرته . ومشرف : مرتفع . والكفل : العجُز .
٤ ـ في الأصل : «لا يبالي من شابَ» ولا يستقيم الوزن بها .
٥ ـ نَصَلَ ؛ من قولهم : نصَلتْ اللحية نصولاً : خرجت من الخضاب .
٦ ـ الطمث : الحيض . وفي الأصل : «والحيل» وما اثبتناه أنسب .

فـــإذا خلفَـــه جَبَـــل فتـــوقلـــتُ في الجَبَـــل[٧]
وتطـــأطـــأتُ فـــاستـــوى وتـــرفَّـــعـــتُ فـــاحْتَمـــل
فـــإذا ريقُـــه أَلَـــذْ ذُ ، وأحـــلَى مـــن الـــعَسَـــل
فتـــروَّيـــتُ واعَتَـــزلْـــــــتُ كمـــا كنـــتُ واعتَـــزَل
ســـاعـــة ثـــمَّ أنَّـــه وَجَـــد الحـــرَّ فـــاغتســـل
ومضى لـــم يكـــن ورا ذاك شيءٌ فمـــا الـــعَـــذَل !؟

---

٧ ـ وَقَلَ في الجبل : صعد . .

وقال أيضا : [١] (المجتث)

يــا مــتُّ قبلــك حتى ... متــى يكــون ركــوبُــك
إذا طلبتُــكَ مــالي ... يا سيِّدي لا أصيبُـك
قــد قَلَّ منــكَ نصيبي ... وقــلَّ منّــى نصيبُـك
قد نابني اليومَ خَطب ... فــاذكر خطــوبا تنــوبك
وأُنــزل الخطــب مِنِّــي ... مكــان كانت خطــوبك
فــإنَّ عيبَــك عيبــي ... وإنَّ عيبــي يــعيبُــك
وعنــدي اليــوم ضيفٌ ... يطــول منــه نحيبُــك
من الأشــاعِث مــا إن ... يشفيــك منه طبيبــك[٢]
وليس عنــدي نَبيــذٌ ... فكيف يُــروى حبيبُــك
إن لم تَجُــدْ لي بقرّا ... بــة فَــرَبِّى حسيبُــك[٣]
من النبيــذ فخــير الــ ... نبيــذ عنــدي زَبيبُــك
قالتْ لي النفسُ إذ طا ... ل عن هــواها ركــوبك
دَ عْ ما يُريبُك واقصدْ ... إلى الذي [لا] يُريبُـك
لــو صالــح كان مِمَّنْ ... يهــواك أو يستطيبُــك
أجــابَ صــوتَــك لكنْ ... أظنُّــه [لا] يُجيبُـك
فقلتُ يا قلبُ لا يكْــ ... ذِبَنْــكَ عنــه كــذوبُـكْ
إن الــغُــلامَ نجيــبٌ ... وليس يخفى نجيبك[٤]

---

١ ـ كتبتْ القطعة كلّ بيت بشطر ، ولعلَّها في الحسن بن وهب أَو في ابراهيم الصولي ، وكلاهما كان صديقاً لابن الزيّات .

٢ ـ الأشعث : المغبرّ الرأس ، والتشعّث : أَكْلُ القليل من الطعام .

٣ ـ القِرَّابة : وعاء زجاجي كبير يوضع فيه النبيذ ، وهو مستعمل الآن في العراق ، ولم أجدها في القاموس . وهي مناسبة للسياق .

٤ ـ المعنىٰ في الشطر الأخير غير واضح .

فقال ما تم شيء ينام عنه رقيبُك
فقلت أخطأت حتّى ردَّت بنُصْح جيوبُك[٥]
فقال صفْ ليَ شيئاً منه فإني أُجيبك[٦]
فما ظفرت بشيء تزول فيه عيوبك
أستغفر الله إلّا أنفٌ عليه ركوبُك[٧]

٥ ـ يقال : رجل ناصح الجيب : لا غشّ فيه .
٦ ـ في الأصل : «صف لي شيء ..» .
٧ ـ القصيدة في جملتها غير منسجمة المعاني ، وكأنها أكثر من قطعة مزجت لتشابه القافية فيها .

وقال أيضا : (الوافر)

فَــدَيْتُــكَ إنَّ شُربـى في كَنيف ونِدماني البعيـد من الطَّريف[١]
دعـاني كي تَقَـرَّ العـينُ منّي فـأسْخَنـهـا بـأقـوامٍ لفيف[٢]
تقـوِّمُـهُم إذا بيـعـوا جميعـاً بكسْوَتِهم ، قريبـا من رَغيفٍ[٣]
فلـم أر فتيـةً إمّـا تـغَنَّـوا كـأنَّ غِنـاءَهم ضـربُ السُّيـوف
سوى النَّفَرِ الذين فَرَرْتُ منهم أُبـالِطُـهـم إلى ربٍّ رؤوف[٤]

---

١ ـ الطريف : ضدّ القُعْدُد . والقُعْدُدُ : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

٢ ـ قرَّتْ عينه : بردتْ وانقطع بكاؤها ، أَو رأت ما كانت متشوّقة اليه . وسخُنّتْ : ضدّ قرَّت .

٣ ـ في الأصل : «بكسرتهم» .

٤ ـ بالَطَه : تَركه وفرَّ منه .

وقال أيضاً : (الرمل)

لي إليكم كَبِدٌ مَقْروحَةٌ وفؤادٌ طائرُ القَلْبِ خَفِق
كُلَّما دَلْدَلْتُ خِصْيَيَّ إلى داركم قَلَّص خِصيَيَّ الفَرَق
حدَّثتني النَّفسُ عن خُرْقكم بي في السَّعى ، وفي السَّعى خُرُق
إنَّما تطلبُ أنْ آتيَكُمْ فإذا صرتُ إليكم فلتطق
دَأَباً تضربُني أو أشرب الـ ـكأس ، أو تسكب في حجْري بُق[1]
فتقاعَسْتُ ، كذا كُلُّ فتى سامَه إخوانُه ما لم يُطق[2]
فأجدّوا لي أماناً واذنوا ليَ في النَّردِ ، وفي وضع السَّبَق[3]
وإذا ما قلتُ شيئاً فانصِتوا باطِلاً إنْ كان ، أو إن كان حَق
وإذا قُمتُ فقوموا وإذا شئتُ أن أجلسَ فالتَفُّوا حِزَق[4]
ليَرُدَّ المرءُ منكم ريقَه في مجاري الحلق حتى يختنِق
ثم ويْلٌ لكم إنْ أنتُمُ قلتُ شيئاً ، لم تقولوا لي صَدَقْ

---

١ - الحِجْر : حضن الانسان . والبقّ : من بقَّ الماء مِن فيه : قَذَفَه بعنف .

٢ - في الأصل : «فتقاسفت» .

٣ - في الأصل : «اجذّوا اذنوا ..» .

٤ - الحِزَق : الجماعات .

وقال يمدح المعتصم :ع٢[١] (الكامل)

قَسَمَ الزَّمانَ على البلاد ولم يقم للـوقت يَرصُـدُه ويحسُبُ باليـدِ
لما حوى الرومَ الشتاءُ رمى بها عرض الفِجاج إلى المغار الأبْعد
يأوى إلى قُطْب الجَنُوب إذا شتا ويصيفُ حين يصيف تحت الفَرْقَد[١]
نِعْمَ الخليفـة للـرَّعيـةِ مَنْ إذا رَقَدَتْ ، وطابَ لها الكَرىٰ لم يَرقُدِ

---

١ ـ الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي ، يهتدىٰ به ، وهما فرقدان . ووردت هذه اللفظة في الشعر في حالة الإفراد ، وفي حالة التثنية ؛ لشدّة اتصالهما .

- ٣٦ -

وقال : (الخفيف)

لَيتَ هــذا الصيــام دام لنــا عاماً وعاماً بل ليتَه ألفَ عامِ

إنَّ شهراً ، كنا نرى كُلَّ يومِ فيــه وَجْهَ الإمـام وابن الإمامِ

لحقيــقٌ أنْ لا نــزال عليــهِ كاسِفي البال ، ظاهري التَّهمامِ

لَعَن اللــه من يرى أحَـدا أوْ لى بها منك من جميــع الأنام

لَعَن اللــه من يَعُدُّ سـوى رأ يــكَ عَـوْنــا لــه عــلى الأيــام

- ٣٧ -

وقال في الخليفة المعتصم : (الخفيف)

يا جَمَالَ الدنيا ، ويا زينة الدِّيــــــن ويا عِصْمَةَ التُّقى والرَّشادِ
ما رأينا سواك منذ عَرَفنا النا   س بَـدْرا أوْ في على الأعـوادِ
أُشهِدُ الله أنَّ وجهَك يوم الـ   ـعيـد ، عيدٌ [لنـا] من الأعيادِ

وقال أيضا . قال أبو الفضل ميمون : قالها في أمّ عمر ابنه : (الطويل)

ألا مَن رأى الطِّفلَ المفارِقَ أمه بُعيْدَ الكرى ، عَيْنَاهُ تنسكبان
رأى كلَّ أمٍ وابنها غيرَ أمِّه يبيتان تحت الليل ينتجيان[١]
وبات وحيداً في الفراش تُجنُّه بلابلُ قلبٍ دائمِ الخَفَقان
ألا إنَّ سَجْلاً واحداً إنْ هَرَقْتُهُ من الدَّمع أو سَجْلين قد شفياني[٢]
فلا تلحياني إنْ بكيتُ فإنَّما أداوي ، بهذا الدمع ما تريَان
وإنَّ مكاناً في الثرى خُطَّ لَحْدُهُ لمن كان من قلبي بكلّ مَكان
أحَقُّ مكانٍ بالزِّيارة والهوى فهل أنتما إنْ عُجْتُ مُنتَظِران[٣]
فَهَبني عَزَمْتُ الصبرَ عنها لأنَّني جليدٌ فَمَنْ بالصَّبرِ لابنِ ثمانِ[٤]
ضعيف القوى لا يطلب الأجْرَ حِسبةً ولا يأتسى بالناس في الحَدَثان[٥]
ألا مَنْ أمَنِّيه المنىٰ وأعدُّهُ لِعثْرةِ أيامي ، وصرف زماني
ألا مَنْ إذا ما جئتُ أكرمَ مجلسي وإن غبتُ عنه حاطني وكفاني
فلم أرَ كالأقدار كيف نَصبنني ولا مثل هَذا الدهر كيف رماني[٦]
ولا مثلَ أيامٍ فُجِعْتُ بعهدها ولا مثلَ يومٍ بعد ذاك دهاني
أعَيْني إن لم تُسعِدا اليومَ عبرتي فَبئسَ إذنْ ماً في غدٍ تَعِداني[٧]

---

١ ـ في الأصل : «ينتحبان» .

٢ ـ السَجْلُ : الدلْو العظيمة مملوءة . أو ملء الدلْو . وفي الأصل : «قد سفياني» والسهو فيها واضح .

٣ ـ في الأصل : «إن عجبت» ولا تستقيم معنىً ولا وزناً .

٤ ـ في الأصل : «فهذي» ولعلَّ ما أثبتناه أنسب .

٥ ـ حِدْثان الدهر ، وحَدَثانه : نوائبه .

٦ ـ النصب : العلم المنصوب والغاية . والأناصيب : الأعلام والصُّوىٰ .

٧ ـ في الأصل : «تسعد» بغير الف .

أعيني إن أنْـعَ السرورَ وأهلَـهُ وعهدَ الرضى عندي ، فقد نعياني[8]
أعيني إن أبك البشاشةَ والصِبا فقـد آذَنا مِنِّي ، وقـد بكيـاني
ألا إنَّ مَيْتـاً لم أَزْرهُ لشدَّمـا تلَّبس من قلبي بـه وعنـانـي
ألا إنَّ مَيْتاً لم أزره لعزَّ مـا تضمَّن منه في الثرى الكَفَنـان

8 ـ في الأصل : «أبع السرور» والسهو واضح فيها .

وقال أيضا : (الطويل)

يَظَلُّ لـه سيف النبيِّ كـأنمـا ... له دمعةٌ من لَوْعَةِ الشَّوْق تَذْرِفُ[١]
حمـائِلُـه والبـردُ تـعلـم أنَّـه ... هو الطِّينَةُ الأولى التي كان يعرف
حلَفْتُ ، ومن حقِّ الذي قلتُ إنَّني ... أقولُ ، وأثني بعد ذاك وَأَحْلِفُ
فما هابَ أَهلُ الظُّلْمِ مِثلَكَ سايساً ... ولا أَنْصَفَ المظلومَ مثْلُك مُنْصِفُ

---

١ - في الأصل : «تدرف» وذرف الدمع : سال . والقصيدة - على ما يبدو - في رثاء المعتصم أو في رثاء الواثق .

- ٤٠ -

وقال في الواثق : (الكامل)

إنَّ الخـلافـةَ أصبحتْ سَرَّاؤُهَـا	مجلـوبـةً ، وشرورُهـا مصروفـهْ
عَفْـوٌ تعمُّ به الـذنوب وحُـرمةٌ	تُعطِي الثـوابَ ، ورأفةٌ معطـوفهْ
لو كان يُنقِذُنا ، ويؤمن سِـرْبَنَا	ويجـيرُنا من شر كـلِّ مخـوفـهْ
إلا مَقـام خليفـةٍ لخليفـةٍ	لخليفـةٍ لخليفـةٍ لخليفـهْ

- ٤١ -

وقال : (الخفيف)

خيرُ ما نالتْ الرَّعيَّةُ هذا الأمـــــنُ أمــنُ النُّفــوس والأمــوالِ
ولنـــا حــاكــمٌ يُجــاوزُ هــاذا ك وهــذا بنــا إلى الإفضــال

وقال[1] أيضاً في إيوانات بناها المعتصم بالله في البريَّة لنزهة في أيام الربيع ، والتعريف أيام عَرَفات : (الطويل)

وشيَّدَها حُدْباً تخال ظهورها من [الجانب] الأقصى سواماً مبرَّكا[2]
أعدَّ لها نَوْر الربيع وظِلَّه ويوماً يُرجّى خيرَه مَنْ تبرَّكا
فما أدرك النَّوْر الرَّبيعي يومه ولا عَرَفات بعد ذلك أدركا

---

١ ـ الايوان : المكان المتسع في البيت ، يحيط به ثلاثة حيطان ، ومنه : إيوان كسرىٰ ، والجمع إيوانات .

٢ ـ في الأصل : «حذباً» والسوام والسائمة : الإبل الراعية .

- ٤٣ -

وقال يرثى المعتصم بالله : (المنسرح)

أقــول إذ غيَّبــوكَ واصطَفَقــتْ عليــك أيــدٍ بــاللَّبْــنِ والطِّــين
اذهَبْ فنِعمَ الحفيظ كنتَ على الـــــدنيــا ونِعْمَ الظَّهــير للــدِّين[1]
لن يجبــر اللــه أمــةً فقــدتْ مثلــكَ إلا بمثــلِ هــارون

1 - الظهير : المعين .

- ٤٤ -

وقال في الواثق أيام النجف ولم يكن دخل إليه أربعين ليلة : (البسيط)

خَليفَةَ الله طـالتْ عنكَ غَيبَتُنــا   عَشْرا وعشرا وعشراً بعدها أُخَرا

فالعَبْدُ يشكو إلى مولاه وَحْشَتَه   لو كان بالعبد صَبْر بعد ذا صَبَرا

جَددْ لعبدك نــورا يستضيء به   من نور وجهك يجلو السمع والبصرا[٢]

لا يَهتدي لطريق القَصْد يسلكُه   من لا ترى عينُه شمساً ولا قمرا[٣]

---

١ ـ في الأصل : «... عشراً وعشراً بعدها اخرا» والسهو واضح .

٢ ـ في الأصل : «يحلو» .

٣ ـ في الأصل : «مَن لا يرىٰ عينه» .

- ٤٥ -

وقال في المعتصم بالله : (الخفيف)

جَمَــع اللــه للخليفــة مــا كــا ... ن حَــواه لســائــر الخلفــاءِ
فَهْوَ مَنصُورُهُم ، إذا ذُكِرَ الحَزْ ... مُ ومَهــديُّهم لفضــلِ السخــاء
والــرَّشيــدُ الــذي يُنَكَّــر حتى ... كشفَ اللــه عنه كــلَّ غِطــاء[1]
ولــهُ من أبيــه سؤدَدهُ العــالي ... عــلى كــلِّ ســؤدَدٍ وسَنــاء
ومُســامــاتُــه الأمــورَ ولــو كــا ... نتْ جبــالاً فُروعُهــا في السماء
ولهُ بعد ذاك مــا خَصَّه اللــــــهُ ... بــه مِن مَهــابــةٍ وَبهــاء[2]
أســألُ اللــهَ للخليفــة صُنْعــاً ... دائمــاً نــاميــاً ، وطــولَ بَقــاء
جمــعَ الــودَّ والمهــابــةَ في النَّــا ... س ببعْــدِ المدى وقــرب اللِّقــاء

---

١ ـ هكذا في الأصل : ولا ندري ما المقصود «بالرشيد الذي يُنكّر» ولا سيّما بعد قوله في البيت الذي يليه : «وله من أبيه ...» وابوه هو الرشيد .

٢ ـ شهر المعتصم ببأسه وشجاعته ؛ غلب بابك الخرَّمي بعد ان بقي ثائراً على الخلافة عشرين سنة ، وقهر الروم في حرب عموريّة ، وأطال المؤرخون الحديث في شجاعته وقوّته ومهابته انظر حديثنا عنه في «محمد بن عبدالملك الزيات ؛ ص٧٢ وما بعدها» .

(الخفيف)

وكتب إلى الحسن بن وَهْب رحمه الله ، جواب شعره الذي أوله :[١]

لبتَ شعري يا أملحَ النَّاس عندي هل تَعالْجتَ بالحجامـة بعدي[٢]

ليتَ شعري عن ليتَ شعْرك هذا أبــهــزْلٍ تقــولــه أمْ بجــدِّ
فَلَعَمَـري إنْ كان قــولُك فيمــا قلْتَ حقاً ، لقد تعتَّيت بَعْدي[٣]
وتشبَّـهت بــي وكنتُ أرى أنْـــــنـيِ العــاشــقُ المتيَّمُ وحــدي

١ ـ الحسن بن وهب : كاتب ، شاعر . كان صديقاً مصافياً لابن الزيات ، قبل ان يلي ابن الزيات الوزارة ، وبقي مصافياً له وهو كاتب وابن الزيات وزير . وقُتل ابنُ الزيات مسجوناً في سجن الخليفة المتوكل . قال أبو الفرج في الحديث عن مقتل ابن الزيات : «وقال الحسن بن وهب يرثي محمد بن عبدالملك : وأورد قصيدة الرثاء . قال : «وكان في حياته ينتفي منها ويجحدها ، ثم شاعت بعد ذلك ووجدتْ بخطّه بعد موته» . وواضح أنه كان ينتفي منها مخافةً من القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، ومن الخليفة المتوكل . انظر الحديث عنهما في كتابنا : ص٤٠ وما بعدها .

٢ ـ في الأصل : «يا ليت شعري» والتصليح من العقد الفريد ٦/ ٤٠٠ وابيات الحسن بن وهب بعد هذا البيت :

دفع اللّه عنـك لي كل سـوءٍ بـاكرٍ رائـح وإنْ خنتَ عهدي
وخلعتُ الـعِـداء فليعلـم النــا س بـأنى إياك أصفى بـودّي
مَن عذيري من مقلتيك ومن أشــ ـراق وجه من حول حمرة خدِّ

٣ ـ في العقد الفريد : «تفتّيت» من الفتاء كسماء : الشباب . والفتى : الشاب السخيّ الكريم . وتفتّىٰ الرجلُ : تكلّف الفتوّة وتشبَّة بالفتيان ، وهذا هو المناسب هنا . والعتو : وهو رواية الديوان : تجاوز القدر والحدّ . وانظر الحديث عن هذه اللفظة في مقدّمتنا للديوان في الحديث عن التصحيف والتحريف . ورواية العقد الفريد للبيت :

فلئن كـان مــا تقــول بجــدٍ يا ابن وهب لقد تفتيت بعدي

أَتـركُ القصدَ في الأمـور ولولا غمراتُ الهوى لأبصرتُ قصدي[٤]
لا أُحُب الـذي يلومُ وإنْ كـا ن حَريصاً على صَلاحي ورُشدي
وأحبُّ الأخَ المشـارِكَ في الحـ ـبِّ وإنْ لم يكنْ به مثلُ وَجدي
كصـديقي أبي عـليّ ، وحـاشـا لصديقي ، من مثل شِقوة جَدّي
إنَّ مـولايَ عبـدُ غـيري ولـوْلا شُؤمُ جَدي ، لكان مولاي عبدي
سيدي ، سيدي ومولاي من ألبَـ ـسَنـي ذِلَّـةً وأضرَع خَـدِّي[٥]

---

٤ ـ في العقد الفريد : «غمرات الصبا ..»

٥ ـ ورد هذا البيت في العقد الفريد بعد : «ترك القصد» وضرع اليه : خضع وذلّ واستكان .

وقال في جواب شعر الحسن بن وهب ، رحمه الله ، الذي أوّله : (الخفيف)

الهـا ذا الوزيـر اكـرمـك اللـــــه وأبقـاك لي بقاءً طـويـلا[١]

دفـع الله عنـك نايبـة الـدهـــر وحـاشاك ان تكـون عليـلا
اشهـد الله مـا علمت وما ذا ك من الغـدر جـائـزا مقبـولا
ولعمـري .إن لو علمت فـلازمـ تك حولاً لكان عندي قليـلا[٢]

---

١ ـ جاء في الأغاني : (٤٩٨/٢٢) :

اعتَّل الحسن بن وهب ، فتأخر عنه محمد بن عبدالملك أياماً كثيرة ، فلم يأته رسوله ولا تعرَّف خبره . فكتب اليه الحسن قوله :

أبّـهـذا الـوزيـر ! أيَّـدك اللّـ ـهُ وأبقـاك لي بقـاءً طـويـلاً
أجميـلاً تـراه يـا أكـرم النـا س لكيمـا أراه أيضاً جميلاً
إنـنـي قـد أقمتُ عشـراً عليـلاً مـا تُرىٰ مـرسـلاً اليَّ رسـولاً
إن يكن موجب التعّمد في الصحـ ـة مَنّـاً علـيَّ منـك طـويـلا
فهـو أوْلىٰ بـاسيّـد النـاس بـرّاً وافتقـاداً لمـن يكـون عليـلا
فلمـاذا تـركتني عـرضـة الظنْ ن من الحاسدين جيلاً فجيلاً
ألذنب !؟ فما علمتُ سوى الشكـ ـر قـريـنـاً لنيتَّـي ودخيـلاً
أَم مـلالاً !؟ فمـا علمتـك للصـا حب مثلي على الـزمان حلـولا
قد اتىٰ اللّه بـالشفاء فمـا أعْـ ـرف ممّـا أنكـرت إلّا قليـلا
وأكلـتُ الـدُّرّاجَ وهـو غـذاءٌ أَفَلَـتْ علّتـي عليـه افـولا
بعد ما كنت قد حملت من العِلـ ـةِ عبئـاً عـلى الطبـاع ثقيـلا
ولـعـلّ ـ قـدمت قبلـك ـ آتِـ ـك غداً إن وجدت فيه سبيلا

٢ ـ زيادة من الأغاني .

إنني ارتجي وإن لم يكن مـا   كان مما نعمت منّي جميـلا[٣]
أن أكون الذي اذا ضمن الا   خلاص لم يلتمس عليه كفيلا[٤]
ثـم لا يبـذل المـودّة حتـى   يجعـل الجهد قبلهـا مبـذولا[٥]
فاذا قال كان ما قـال أو كا   ن بعيداً من خلقه أن يقولا[٦]
فـاجعلن لي الى التعلّق بـالقـد   ر سبيلا إن لم أجد لي سبيلا
فقديماً ما جاد بالعفو والفضـــ   ـل وما سامح الخليل الخليلا[٧]

---

٣ ـ في الأغاني : «... مني جليلا» .

٤ ـ في الأغاني : «إذا أضمر الاخلاص» .

٥ ـ في الأغاني : «يجعل الجهد دونها ...» .

٦ ـ في الأصل : «من خلفه» والسهو واضح فيها، وفي الأغاني : «... كان ما قال إذ ... من طبعه» .

٧ ـ في الأغاني : «... بالصفح والعفو ...» .

- ٤٨ -

وقال :[١] حدثني البُحتري عن الحسن بن وهب ، قال : كتبتُ إليه أستهديه ـ ونحن في بلاد الروم ـ مطبوخ العراق ، فبعث اليَّ خُماسيَّتين ، وكتبَ إلي ببعض هذا الشعر ، وهو «اسقى الصديق ...» وبيتان آخران (الكامل)

لم تَلقَ مثلي صاحباً ... أنْدى يداً وأعزَ جودا[٢]

أسقي الصديقَ بمنزل ... لم يروِ فيه الماءُ عودا[٣]

صهباءَ صافيةً كأنْـ ... ـنَ على جوانبها العقودا[٤]

فاذا استَقلَّ بشُكرِها ... أوْجَبْتُ بالشكر المزيدا

وأمُنُّ حين أمُنُّ لا ... حصِرا بذاك ولا بليدا[٥]

وإذا خَشيتُ على الصَّنيعَـ ... ـةِ بالتقادُم أن تَبيدا[٦]

أنشأتُ ذكرَ صَنيعَتي ... فردَدْتها غضاً جديدا

ومدحتُ نفسي مُبدياً ... بالقول فيها أو مُعيدا

خذْها إليكَ كأنَّما ... كَسِيَتْ زجاجتُها عُقودا

واجعَل عليكَ بأن تقو ... مَ بشُكرها أبَداً عهودا

---

١ ـ الخماسيَّة : بنت خمس سنوات ، وواضح أنه يريد النبيذ في أَوان خماسيَّة .

٢ ـ في الأغاني : «واعمّ جودا» .

٣ ـ في الأغاني : «اسقي النديم .. لم يسق فيها الماء ..»

٤ ـ في الأغاني : «صفراء» بدلاً من : «صهباء» و«كأن بكأسها دُراً نضيدا» .

٥ ـ في الأغاني : «وأجود حين أجود لا ...» وفي أبيات القصيدة تقديم وتأخير .

وقال أيضا : (الهزج)

شَفينا المَطْلَ بالنُّجْح وجئناكَ بها رَكْضا
كُميتاً تَنفح المِسكَ إذا خاتَمُها فُضّا[١]
ولا تبغي بها عرضاً ولا تجعل بها قَرْضا[٢]
آللّهمَّ ، إلّا أَنْ يكونَ القرضُ ما ترضى
فإنَّ الناسَ مَن صادَ فَ شيئاً طيباً غَضّا
ولا سيما إذا ما كا ن شيئاً أبيضاً بَضا[٣]
وإن شئتَ فإن الشُّكْـ ـرَ منك الحاضر الغضا
رضىً ما لم يكن سيلاً علينا منك مُنْقَضّا
فلا نسْطيعُ بالأمر إذا استوجَبْتَه نهضا[٤]
وَمَن يَسْطيعُ أن يجْزِ يَ شكراً يملأ الأرضا[٥]
ولكنّا نسخناك لما نقضي به الفَرْضا
بعين البذل والإفضا ل بالمدح الذي يُرضى
فَيَجْزيكَ بذا بعضاً ويَجْزيك بذا بعضا
وإلا خفتُ أن يفسـ ـدنا الدَيْنُ فلا يُقْضى[٦]

---

١ ـ نفح المسك . كمنع : فاحتْ رائحته .

٢ ـ العَرَض : مصدر عَرِضَ ؛ يقال : اشتريتُ المتاع بعَرَضٍ» أي بمتاع مثله ، وفي الأصل : «ولا تجعل بها فرضا» .

٣ ـ في الأصل : «نضا» .

٤ ـ في الأصل : «فلا تستطيع» ولا يستقيم الوزن بها .

٥ ـ في الأصل : «ومن يستطيع» .

٦ ـ في الأصل : «أن تفرخنا» .

قال محمد بن عبدالملك[1] [يجيب راشدا الكاتب] (المنسرح)

إنَّكَ مني بحيث يطّرد النا ظِرُ من تحت ماءِ دمعتيه
ولا ومَن زادني وفضلني على صحابي بفضيل صحبتيه[2]
ما احسن الترك والخلاف لما تريد مني وما وتقول ليه
وصير الأشقر الخبيث إذا عقدت وسط الندِيّ حَبْوتيه
يُقِرُّ بالذلّ والصَّغار وبالإذ عان في كلّ ما أقول، ليه
يا بابي أنتَ ما نسيتك في يو م دُعائي، ولا هديتيه
ناجيتُ بالذّكر والدعاء لك اللّـ ـهَ لدى البيت رافعاً يديه
حتى إذا ما ظننت بالملِكِ القا در أن قد أجاب دَعْوتيه
قمتُ إلى موضع النِّعال وقد أقمتُ عشرين صاحباً مَعيَه
وقلت لي صاحب أريد له نعلاً ولو من جلود راحتيه[4]

---

١ - في الأغاني «... حدَّثني محمد بن يحيى بن عباد، قال: حجَّ محمد بن عبدالملك في آخر أيام المأمون، فلما قدم كتب إليه راشد الكاتب:

لا تنس عهدي ولا مودتيه وأشتق الى طلعتي ورؤيتيه
إن غبت عنكم فلا تغب كثـ ـرة الذّكر، ولا تغفلَنْ هدَّيتَّيه
التمر، والمقل، والمساويك والور س، وخير النعال حسن شِيه
فإن تجاوزْتَ ما وصفتُ الى العَصْـ ـب فذاك المأمول منك ليه.

وقد ذكرت هذه الأبيات - بتحريف كثير - في طبقات الشعراء لابن المعتز ١٨٤

٢ - في الأغاني، ٢٠/٤٨١:

«... زادني تودّده بفضل غيبتيه».

٣ - زيادة من الأغاني

٤ - زيادة من الأغاني.

فـانقطـع القــول عنــد واحــدةٍ قال الذي اختــارها لشــارتيه[٥]
قلتُ له عندي البشارة والشكـــــــر وقَــلاّ في جَنْــب حــاجتيــه
ثمَّ تخيَّرتُ بعد ذاك من العَصْــــــب فــوافى ببعض خبــرتيــه[٦]
مــوشيــةً لـم أزل ببــايـعــهــا أرغــبُ حتــى زهــا عــليَّ بيــه
يــرفــع في ســومــه وارغبــه حتى التقى زهــدُه ورغبتيــه[٧]
وقــد أتــاك الــذي أمـرتَ بــه فاعذر - بكثر الإنعام - قلَّتيه
وذاك مــن سيــدي بنــعمتــه ليس بحــولي ، ولا بقــوَّتيــه

---

٥ - في الأغاني : «... قال الذي اختار يا بشارتيه !» .
٦ - في الأغاني : «... ب اليماني بفضل خبرتيه» .
٧ - زيادة من الأغاني .

وقال محمد بن عبدالملك يجيب عليَّ بن جَبَلة :[١] (البسيط)

---

١ - في متن المخطوطة ص : ٣١ وردت قصيدة علي بن جَبَلة هذه وهي :

يا بايع الزيت عرّجْ غير مرموق
لتشغلنَّ عن الأرْطال والسوق[أ]

مَن رام شتمك لم ينزع الى كذب
في منتهاك وناداه بتحقيق[ب]

أبوك عيبك والأمّ التي فلقت
عن أمّ رأسك أوباً غير محلوق[ج]

إن أنت عَدَّدتَ أصلاً لا تسبُّ به
يوماً فأمّك مني ذات تطليق

أخّره نباتي من الينبوت في طرفي
ولن تصير الى ذيلي بتعليق

واجلبْ عليَّ بما أحببتَ من جَلَبٍ
واسترْ لغات بني نهياً بتشديق

فلن تطيق بحول ان تزيح شجاً
اثبته منك في مستنزل الريق[د]

اللّه أنشاك من تال ومن كرب
لا ترجعنّ على لومٍ لمخلوق[هـ]

ماذا يقول عسىٰ من كان قائله
إلّا ابن عاهرة أو فرخ زنديق[و]

أ - في الأغاني : «لا تشغلنَّ ..»

ب - في الأغاني : «في منتماك» .

جـ - في الأغاني : «ابوك عبدٌ» وفي الأصل : «عيبتك» ولعلَّ ما أثبتناه هو المناسب .
وفي الأغاني «هنٌّ» بدلاً من «أوبا» .

د - في الأصل : «ان تربح شيخاً» والتحريف واضح .

اشمَخْ بأنفك ياذا العِرض والحَسَبِ ماشئتَ واضربْ قذال الأرض بالذَّنب[٢]
ارفَعْ بصوتك تدعو مَن بذي عَدَنَ ومَن بقالي قلا بالويل والحَرَب[٣]
مـا أنتَ إلا مـرُؤٌ ولّى خليقتـهُ فضل العنان فلم يربَعْ على أدَب[٤]
فاجمَحْ ، لعلَّكَ يوما أن تَعَضَّ على لُجْمٍ دلاصيةٍ تَثنيك مَنَ كثَب[٥]
إنّي اعتذرّتُ ، فما أحسنْتَ تسمعُ من عُذري ، ومن قبلُ ما أحسنتَ في الطلب[٦]
صَبْرا أبا دُلَفٍ في كـلِّ مسئلةٍ كالقِدْر وَقفاً على الجارات بالعُقَب[٧]

هـ ـ في الأغـانـي : مـن نـوكٍ ومـن كـزبٍ لا تـعـطفـن الى لـؤم لمخلـوق

و ـ في الأغـاني : «مـاذا يقـول امرؤٌ غشّـاك مـدحتـه إلّا ابـن زانيـة أو فـرخ زنـديـق»

٢ ـ في الأغاني :
.. يا ذا السيء الأدب ما شئتَ واضرب حذاك»
ولعلّ ما في الديوان أنسب ، ففي الشطر الأوّل على التهكّم به يذكر عرضه ونسبه .
والقَذال : هو ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس .

٣ ـ في الأغاني : «تدعو من بذي عدن ...» والبيت في الأصل مضطرب الرواية ، وهو :
ارفـع بصـوتـك مـن يثـوى يـدي عـدت ومـن نفـاليقـلا بـالـويـل والحـرب

٤ ـ في الأغاني : «اعطى بلاغته» وما هو مثبت في الأصل أنسب والخليقة : من قولهم : «اختلق الإفك : افتراه ، واختلق الكلام وغيره : صَنَعَه . والخليقة : ما هو مختلق . والخليقة : الطبيعة . وكلا المعنيين مناسب للمقام . وفي الأصل : «فلم يرفع» وهو تحريف .. ورَبَع الرجلُ رَبْعاً : وقف وانتظر وتحبّس .

٥ ـ في الأصل : «لحم ولا وَصيّة تنبيك ...» والدلاصية من اللجم : الملساء البرّاقة .

٦ ـ يشير الى طلب ابن جَبَلة الجائزة في قوله :
ان يرحض اللّه عنّي عار مطلبتي اليك رفداً ألا فانجدْ به وغُر

٧ ـ في الأغاني : «صَيِّره ابا دلفٍ في كل قافيةٍ» وأبو دلف هذا هو ممدوح عليّ بن جَبَلة ، وهو القائل فيه :

يا ربِّ إنْ كان ما أنشأتَ من عَرَب شَرْوى أبي دُلَف فاسخَطْ عَلى العَرَب[٨]
أرى التعصُّب أبدى منك داهيةً كانتْ تَحجَّبُ ، دون الوهْم بالحُجُب[٩]
أزرى بكَ الغَضَبُ المُزري وأنت فتى لا تُصطَلى نارُه ، فأغْضَبْ على الغَضَب

إنّما الدنيا أبو دُلفٍ بينَ مبْداه وَمُحْتَضَره
فإذا ولّى أبو دلف ولّتْ الدنيا على أَثَرهْ

وابودلف هذا مرَّ الحديث عنه .

٨ ـ الشرْوى : المثِل ، وهو بلفظ واحد للجميع ، يقال : هو وهي وهما شَرْواك : أي مثلك .

٩ ـ في الأغاني : «إن التعصّب ..» .

- ٥٢ -

وقال أيضاً : (الخفيف)

عَـدِّيـا عـن مـلاميـا وأقـلّا عِتـابيـا[١]
واعـذرا إن رأيتُمـا ضـاحِـك السـنّ بـاكيـا
قـد تخـلّى مـن النَّـديـم ومـلَّ التصـابيـا[٢]
كيـف أصبـو وقـد مضى مـا مضى مـن شبـابيـا
ورأيـتُ المشيـب ألقـى بـرأسي المـراسيـا
وانقضـت شرَّتـي وفَلْـلَ زمـانـي شبـاتيـا[٣]
وتفـــرّدتُ حَجْـــرَةً مـوحشـاً من صحـابيـا[٤]

---

١ - كتب البيت من هذه القطعة بشطر من بيت في المخطوط . وفي الأصل : «من ملاميا» .

٢ - في الأصل : «تحلى» .

٣ - في الأصل : «وقلّ شداتيا» والشباة : حدُّ كلّ شيء ، ومن السيف : قدر ما يقطع به

٤ - الحجرة : الناحية .

ودعانـي إلى النُّهـى فـأجبـت المنـاديـا[٥]
داعَـى الشَّيـب إن دعـا قلـتُ : لبَّيْـكَ داعيـا
نـهـج الـرّشـد لي وأبْــدى لـعينـي المسـاويـا
فتجَّـلى الـغِطـاء عَنْـــي ، وأبصرت شـانيـا
بـعـد أنْ عشتُ أعصـراً أسـدل الـذَّيـل غـاويـا
يـا خليـليّ أنصِتـا وأجيبـا دعـائيـا
واصـدقـانـي هُـدِيتمـا إنَّ في الصـدق شـافيـا
هـل يـزور الـغَـوانيـا مَـن بـه مثـلُ مـابيـا
أو تـغنـى بـغـادةٍ مثـل سُـعـدى الأغـانيـا
أو يُـرى كلَّمـا خـلا يتمنَّـى الأمـانيـا
يتمنـى بـأن يحـو ر مجـاري زمـانيـا
قبـل أن ألبَس البيـا ضَ وألقـى سـواديـا
وأرى في قـوادمـي صَلَـعـاً قـد بـدا ليـا
ليتَ شِعـري فَـدتـك نفـــسي وأهـلي ومـاليـا
أيَّ شيءٍ وقـد جمـعْـت صفـاتـي كمـا هيـا
وتَجَلْبَبـــتَ حلَّــــةً سَمْلَـةً مـن لبـاسيـا[٦]
تَـرْتجيـه لـدى إلـغـوا نِـيٍّ ، لازلـت غـانيـا
إنَّ في دون مـا رمـا نـابـه الـدَّهـر كـافيـا
فَـزع النفس إنْ صَبَـتْ واعصِبَنْـهـا بـراسيـا[٧]

٥ ـ في الأصل «اني النهىٰ» والسهو واضح .
٦ ـ سمل الثوبُ سمولاً وسمولةً : أخلقَ ، وهو ثوبٌ أسمالٌ وسمل وسملة .
٧ ـ في الأصل : «وأعصبتها» .

وقال أيضا : (الكامل)

من يلْقه ممن ترى فلقاؤه ... إيّاه ، بالتعظيم والسلطانِ
ولنا عليهم رتبة إنّا له ... دون الجماعة ، كلِّها أخَوانِ
فلقاؤنا إياه عند عَدوِّه ... أو دون ذاك كلاهما سِيّانِ
إن المَوَدَّةَ لا تكون مودةً ... حتى تكون منيعةَ الأركانِ
حتى تكوّن إذا أسأتَ كأنما ... تابعتَ عند أخيك بالإحسان
ثِقَةً ، وإدلالاً ، وإنَّ ضميرَه ... لك قايم بالعُذر ، والبرهان
فاسلَمْ سلاَمة من حَنَت من فوقه ... وتكنَّفَته حياطةُ الرحمن[1]
سيف الخلافة ، والمقدّم دونه ... ونصيحه في السرّ والإعلان
والحمد لله ، المقرِّب بيننا ... مَنَّا من المتفِّضل المنّان
جمعَ القلوبَ على الرّضى فتعاونتْ ... بالنُّصح ، واتفقت على الإيمان
سيف يُهَزُّ ، وحاكم قامت به ... سُنَنُ الكتاب ، وحُجَّة الفُرقَان
وأخو محافَظَةٍ ينوء إذا غدا ... بالثِّقلِ بين يدي وبين لساني

---

١ ـ في الأصل : «وتكفنته» والسهو واضح .

وكتب إلى الحسن بن وهب[١] في أيام المأمون جواب كتاب كتبه إليه وأوله :
(السريع)

سقياً لِنَضْرِ الوجه بسّامه مهذّب الوالد قمقامه[٢]

وزاير طاب لنا يومُه لو سَاعد الدّهرُ بإتمامه[٣]
ماذاً لقينا من دواوينه وخطّه فيها بأقلامه[٤]
أسرّ ما كنّا فمن مازح أو شارب قد عَبَّ في جامه
فارقنا ، فالعين مطروفةٌ بواكف الدّمع وسَجّامه[٥]
وعادَ بالمدح لنا مُنْعِماً به إلى سالف إنعامه

١ - في الأغاني ٢٢/٤٩٤ : «دعا محمد بن عبدالملك الحسن بن وهب قبل وزارته ، في آخر أيام المأمون فجاءه ، ودخلا حمّاماً له ، وأقاما على لهوهما . ثم طلب الحسن بن وهب لعمل احتيج فيه ، فمضىٰ .. وبَطَلَ يومهم ، فكتب الحسن اليه :
سقياً لنضر الوجه بسَّامه مُهذّب الأخلاق قمقامه
زرناه في يوم علا قدره من سائر الأيام في عامه .
أسعده اللّه وأخطىٰ به وجاده الغيث بإرهامه .
والأبيات ثمانية ، انظرها في الأغاني ؛ ٢٢/٤٩٤ .
٢ - في الأغاني : «مهذّب الأخلاق» وما هو مثبت انسب . والقمقام ويضمُّ : السيّد العظيم .
٣ - في الأغاني : «لذّلنا ..» .
٤ - يبدو ان الحسن كان كاتباً ، وكان ابن الزيات حين نظم القصيدة تاجراً ، ولم يكن وزيراً بعد .
٥ - في الأغاني : «فالنفس مطروفة» وما هو مثبت في الديوان أنسب لاستقامته مع الشطر الثاني من البيت .

نشكـر مـا قـال عـلى أنَـه لا يُمـدحُ الحـرُّ بحمَّـامـه[6]
لكن ، وأنّى لي بهـا حـاجـة لو كنت فيه بعض قوّامه[7]
أمسحـه فيـهـا وأدنـو لـه من خلفـه طـوراً وقـدّامـه
جـعلـت نفسي جُنَّـة دونـه وبِعتُ إسـلامي بـإسـلامـه[8]
فكـان مـا يشرب حِـلاً لـه وصـرتُ مـأخـوذاً بـآثـامـه

---

٦ ـ في الأغـانـي : «يشكـر مـانـال عـلى أنّـه
لا يُشكـرُ الحـرُّ لحمّـامـه
٧ ـ في الأغاني : «ليت وانىٰ ...» وقد ورد هذا البيت قبل سابقه .
٨ ـ في الأغاني : «جعلت نفسي جُنَّةً للصبا ...» .

وقال في الحسن بن وهب ، وكان محمد بن عبدالملك يسير على شاطىء دجلة بسرَّ من رأى ، وقد زاد زيادة كبيرة ، فصار إلى مضيق على مسنَّاة فقعد عليها ، وحاد الحسن عن الموضع ، فقال محمد :

قد رأيناكَ إذ تركتَ المسنّا ة وجانفْتَ عن يسار الطريق[1]
ولَعَمري ، ما كان ذاكَ وقد جُدْ دَ بك الجدُّ من فعال الشقيق[2]

---

١ ـ المسنّاة : ما بينىٰ بوجه الفيضان بطريق ضيق على النهر . وقد كان هذا ، ومازال الى الآن ، على دجلة في بغداد . وانظر حديثنا عن الحسن بن وهب وابن الزيات في كتابنا ص : ٤٠ وما بعدها . وفي الأغاني : «وحاذيتني يسار ...» .

٢ ـ في الأصل جواب الحسن :

إن يكن خوفي الحتوف أراني حَسَناً أن ركبت بعض العقوق

وفي الأغاني .. أن تراني مُشبَّها بالعقوق وبعده سبعة أبيات أخرىٰ الأغاني ٢٢/٤٩٢ .

- ٥٦ -

وقال أيضا في ابن أبي دؤاد : (البسيط)

أبلغْ دَعِيَّ إيادٍ إن مررتَ به | قولَ امرِىءٍ ناصحٍ للهِ والدِّين[١]
لن تصلُحَ الأرضُ ما أُسكِنْتَ ظَاهَرَها | ولا ترى العدلَ أو تلحق بأفشين
مازلتَ تحضر للخذلان عن دغَلٍ | في القلب منك لهذا الدين مكنون
وكنتَ في ذاك لنا لمّا أن قصَدت له | كالعنز إن بحثت عن حدِّ سِكِّين
نحن الذين إذا عُدَّ العَفافُ يُرى | فينا العفافُ ، ومأوى كلِّ مسكين

---

١ - لجَّ الشعراء في هجاء ، ابن أبي دؤاد بأنه دَعيّ في قبيلة إياد ، كما لجّوا بهجاء محمد بن عبدالملك بأنه ابن زيّات ، ومشهورٌ قول دعبل الخزاعي في ابن أبي دؤاد :

سألت أبي ، وكان أبي عليماً | بأخبار الحواضر والبوادي
فقلتُ له : أَهيثمُ من عديّ | فقال : كأحمد بن أبي دؤاد .
فإن يك هيثم منهم صحيحاً | فأحمد - غير شكٍّ - في إياد .

- ٥٧ -

وقال فيه أيضاً : (الوافر)

تـأيَّـدَ وادعـى القُـربـا وأَثْـرى ، واستفـادَ أبـا[١]
لِتَـهْنِـكَ دولـةٌ حـدثـتْ فـأحـدث عِـزُّهـا نَسَبـا[٢]
صنـايُـعـه إلى الأَنـذا لِ تخبِـر أنّـه كـذَبـا[٣]

١ - تأيَّد : تقوىٰ ، ويريد به هنا : النسبة الى اياد .

٢ - يعرّض به بأنه لا نسب له . وقد مرَّ ان المؤرخين اختلفوا في اسم أبيه . وفي تأريخ بغداد : ١/٢٩٧ : «وقيل : إن اسم أبي دؤاد الفرج ، وقيل : دعمي ، وقيل : اسمه كنيته» .

وقال أيضا : (الوافر)

دعا شجْوى دموعَ العين مِنّي فبادَرتِ الدُّموع على ثيابي[١]
وقالَ القلبُ : سَمْعُكَ ساقَ حَتْفي على عَمْدٍ ، وأغرقَ في عذابي
فقالتْ : سَمْعُكَ الجاني هلاكي بأغْلَظَ ما يكون مِن العقاب
ولا تغفلْ فتفقدني فأبقى بلا قلبٍ إلى يوم الحساب
فإنّي بين أطيافِ المنايا مقيمٌ بين أظفار وناب
فقال السمعُ - حين عَتَبْتُ - لهُ على حُبِّ الخدَلَّجة الكعاب[٢]
وَعَيتُ كلامَ مُكتَحِلٍ غَرير فأعياني له رَجْعُ الجواب
فأدَّيتُ الكلامَ - ولم أجِبْهُ - إلى القلب المولَّع بالتصابي
فعاقِبْ قلبَكَ المِلجاجَ فيه ودعْني لا تَنطَّعْ في عقابي[٣]
فقلتُ صدقَتني ، وعذلت قلبي ولم أحمِلْ على عيني عتابي
فقال القلب ، ثمَّ أقرَّ هاقد عَشِقتَ أميرةً تَهوى اجتنابي
تصبَّرْ قد سقينَكَ كأسَ عشقٍ حُمَيَّاها تجول على الحجاب[٤]
تُنَغصُك الطعام ، وكل عيش وتَمزُج ما يسوءك بالشراب
فقلتُ له : قطعتَ الصُّلْبَ مني وقد ألصقْتَ خدِّي بالتراب[٥]

---

١ - في الأصل : «دموع الغير» ولعلَّ ما اثبتناه أنسب للسياق .

٢ - الخدلَّجة : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين ، وهذه من صفات الحسن عندهم في النساء . والكعاب : الجارية التي نَهدَ ثديُها .

٣ - تنطّعَ في العقاب : غالىٰ فيه وتفنَّن . ومن قولهم : تنطَّع في الكلام : إذا تفصَّح فيه وتعمَّق ، وغالىٰ وتأنَّق .

٤ - الحُمَيّا من الكأس : سوْرتها وشدّتها ، أو إسكارها وأخْذُها في الرأس . والحُميَّا من كلّ شيء : شدّته .

٥ - الصُّلب : عظمٌ من لدن الكاهل الى العَجُب ، والعجب : أصل الذنَب ، ومؤخّر كلّ شيء .

لعلَّك قد كَلِفْتَ بحبِّ قصفِ — فقال القلبُ : قد قَرْطَسْت مابي[٦]
فقلتُ قَتَلْتني وأَذَبتَ جسمي — وقد آذنْتَ روحي بالذهاب
كأني عن قليلٍ - غير شك - — مُسجَّى بين أصحابي لما بي[٧]
ومالي لا أموتُ وهمُّ نفسي — يباعدُني ويَزهَدُ في اقترابي[٨]
إذا عاهدتُه عهدَ التصابي — يُصَيِّرُ عهدَه لمعَ السراب
يُريد بذاك تعذيبي وغيظي — وتَصْيِيرَ الوصال إلى تَباب[٩]
ولم يَرحَمْ مُطالبتي ، وجَهدي — وما لاقيتُ من طول اكتئاب
أَصابَ جَفاؤه قلبي بضُرٍ — وأَخْلَقَ ما لَبستُ من الثياب[١٠]
وناولني وراء الظَّهر مني — بيُسرى الكفِّ في غِلَظ كتابي[١١]
فكيفَ تلَطُّفي لأغرَّ أَحْوَى — إذا ما زرتُ أسرفَ في سبابي
لقد كنتُ الغني ، فلم يُجزْني — شقاءُ الجَدِّ من حبِّ الخِلاَب[١٢]

---

٦ - قرطَسَ : أصابَ القرطاس ، أي الغرض ، يقال : رمىٰ فقرطس ، والقِرطاس : أديم ينصب للنضال .

٧ - مسجّىٰ : من تسجية الميّت : تغطيته .

٨ - في الأصل : «وبزهدني» .

٩ - التباب : الخسران . قال تعالىٰ : «وما كيد فرعون إلّا في تباب» .

١٠- في الأصل : «بصرّ» .

١١- نظر فيه الى قوله تعالىٰ : «وامّا من أوتي كتابه بشماله ، فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابية» .

١٢- خَلَبَ فلاناً عقله : سلبه إياه ، ومنه : امرأة خالبة وخلوب ، وهو خِلْبُ نساء : يحبهنَّ ويُحببنه . والبرق الخُلَّب : المطمع المخلف .

وقال : (الخفيف)

أما إلى الله أَخلفَتْ ميعادي ... وجَفَتْنـي ، فـأثكلتني فـؤادي
ما جزائي ممن جَعَلْتُ بكَفَّيـ ... ـهِ عناني فيما هوى وقيادي
أنْ جفاني بعد الوصال وقد كا ... ن حيـاتي ومنيتي وسـدادي
أَحمَدُ الله ذا الجَلال على إسخا ... ن عيني وكربتي وسُهادي[١]
قطعتني قصفُ قسمتُ لَحيْني ... بعد وَصْلٍ مثل الظَّلوم المعادي[٢]
إذ ونارُ الهوى على القلب منّي ... تَتَلَظَّـى عليـه ذاتُ اتقـاد
أَحْرَفَتْ صحتي بسقمي ، ورشدي ... بضلالي ، وأسرعتْ في فسادي
تـركتْني صَبّا بهـا مُستهامـاً ... ساهراً ، ما أَلذُّ طعمَ الرُّقاد[٣]
تـركتني كأنَّ في الجفنِ مِنّي ... وعلى ما افترشتُ شوكَ القتاد
تـركتني إلى المماتِ قـريحـاً ... تـركتني أهذي بهـا وأنـادي
تركتني وليس بي من حَراكٍ ... كاسفَ البال شهرَةً في بلادي
كمْ إلى كمْ أقول إنْ ظهرتْ لي ... قلت جدي الوصال حتى التنادي[٤]
فـاذا ما بَـدَتْ تغـيَّر لـوني ... لشقـائي فصار مثـلَ الرَّمـاد
وأراهـا علي قـد رفعتْ ظلماً ... - فَـدَتْها أتـرابُها - بسَـواد

---

١ - سخنة العين : نقيض قرَّتها ، يقولون : أسخن الله عينه : أبكاها .
٢ - في الأصل : «قاسمت لحيتي» . والحيْن : الهلاك والمحنة .
٣ - القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر ، وفي المثل : «من دونه خرط القتاد» يقال لما يصعب الحصول عليه .
٤ - يوم التنادي : يوم القيامة .

- ٦٠ -

وقال أيضا : (الهزج)

لقد أخطأتُ في حُبِّي وفي تكْرِمَةِ الكلبِ
وقد أصبحتُ فيما جئْـ ـتُ مُحتاجا إلى ضَربِ
ولولا أنَّني أذنبـ ـتُ ما عاقبَني رَبِّي
وما أعجب من فعلي وما أعظم من ذنبي
دعاني الجهلُ أنْ أقرَرْ تُ للخنزير بالحُبِّ
ولو كنتُ تَثَبَّتُّ لعُوفيتُ من السبِّ
ولكنْ كان ذنب الـ قلب ، لا أفلحَ من قلب
فإنْ عُدْتُ فإني أحـ وَجُ النَّاس إلى صلبِ

وقال أيضاً : (الكامل)

يـاذا الـذي لا أهجـره ... وعـلى القـلىَ لا أعـذره
مـاذا يُـريبُـك من فتىً ... يهـوى هـواك وتقهـره[١]
أَمسيت عنـهُ مُعـرضـاً ... من غـير ذنب يـذكـره
فبكـى فبـلَّ جيُـوبَـه ... دَمْـعٌ عليـهً يحـدره
وأَتـاهُ مِـن إعـراضِكُـمْ ... مـا كـان منـه يحـذرُه
أَمْسَى قتِيـلاً للـهـوى ... مُتَـعَفِّـرا لا يقبـره[٢]
فـإلى متـىٰ ، وإلى متى ... مَـوْجُ الصَبـابـةِ يطمـره
سـالتْ عليه بحـور عـذ ... رِ مـن حبيـب يقـهـره
فيظـل يسطـو وسطهـا ... طَـوْرَاً ، وطوراً تغمـره[٣]

١ ـ في الأصل : «ويقهره» ، ولعلَّ ما هو مثبت أنسب للسياق .
٢ ـ هكذا في الأصل ، والشطر الثاني غير واضح المعنىٰ .
٣ ـ يسطو : يثب ، ولعلَّها : يطفو .

قد قال لما شفَّه   منك الجفاء وأضمره[4]
إن كنتُ قد أذنبتُ ذنباً   نورَ عيني فاغفره
ولقد صنعتَ إليِّ فيما   فات ما لا أكفره
وشكرتُ ما أَوْلَيتَني   والحقّ مثلي يشكره
فارحَمْ أسيرَك إذ دعا   ك نَصيره لا تَنهره
إنْ كنت مالِكَ رقِّه   فالطُفْ به لا تغدره
لا تجفُه فيسوءه   وإذا دعا لا تزجره
إن الفؤاد عليه كفٌّ   هوىً لحبِّك تعصره
يدميه منها ظفرها   وإذا تضرَّع تقشره
وبطرف عينِك ساحِرٌ   ففتور عينِك يسحره
ولكأسِ عذرك شربةٌ   فيها تصول فتُسكره
قد كاد يظهرُ سِرُّهُ   لولا الحفاظُ يُغيِّره
اذكُرْ جميلَ حِفاظِهِ   ووفائِهِ ، لا تكفره
باللهِ لا تُغلِظْ له   في القوْل منك فتكسره
ولقد كسرتَ نشاطَهُ   وأذقتَهُ ما أَسْهره

٤ ـ يبدو أن ابن الزيات لم يلتزم بضم الراء في القصيدة كلّها .

وقال :[١] وكتب إلى الحسين بن المرزبان النحاس : (المتقارب)

فَـدَيْتُكَ إنَّ انبسـاطي إليـــك عِلْمي بأخلاقك الطاهرهْ
وإنَّ يميني على كلِّ ما حَوَيـــتَ مُسَلَّطـةٌ قـادرهْ
وقد أسْرفَتْ هذه في المجون ولابدَّ من نيكنا الفاجِره
فَسَبِّب فـديتُـك في نيكهـا فـإني أرى رجْلَها شـاغِره
وقـدِّر لهـا تسعـةً عنـدنـا ونـأتيك في اللَّيلـة العاشرة

١ ـ في الأصل : «الحسين .. النحاس» والنخّاس : بيّاع الرقيق وبيّاع الدواب .. وبيّاع الرقيق هو المناسب هنا .

- ٦٣ -

وقال يرثى : (الطويل)

يقول لي الخلَّان لو زرتَ قبرها فقلتُ وهل غير الفؤاد لها قَبرُ[١]
على حين لم أحدُث فأجهل فقدَها ولم أبلغ السِّن التي معها الصَّبْرُ[٢]

١ - في الأغاني : ٤٧٣/٢٢ : «أخبرني الصوليّ ، قال : حدَّثني محمد بن موسىٰ قال : أنشد لي الحسن بن وهب لمحمد بن عبدالملك أبياتاً يرثى بها «سكرانة» أمّ ابنه عمر ، وجعل الحسن يتعجّب من جودتها» .
٢ - أحدث : من الحداثة في السنّ . وفي الأغاني : «فأجهل قدرها» .

(المنسرح)

كنّا وقُضبان ، وهي تُسمِعُنا   والقَوم من مُطرِقٍ ومُقْتَرِحِ
نشربِ صِرْفاً ، كأن مسكَتَها به   نارٌ بكفّي ملاعِبٍ مَرِح[1]
حاضرُنا نَرجسٌ كأنَّ به   عِناقَ خَيل سفرن عن قرح[2]
والقومُ كلُّ أَعدَّ زينَتَه   تسحب عِطِفَاه أذْيُلَ الفَرَح
حتى إذا الكأس باح بما   أخفوا لحيّ الصبى ولم أبُح[3]
فانَتَصحَتْ رأيها فكان لها   شرَّ مُشير ، وشرّ مُنتَصِحْ
لو تعلم العلم كنت أوّل ما   مُبتَذل عندها فُمَطَّرح
صاحَتْ ، فقالوا العفاف نفَّرَها   ما بالها قبلَ ذاك لم تَصحِ
راحوا براءً ، ورحتُ أَسحبُ من   ذَيل امرىء للذُّنوب مُجْتَرِحِ

---

١ ـ في الأصل : «نشرب طرفاً كأن مسكنها» والتحريف واضح .
٢ ـ هكذا في الأصل ، وقد اجتهدنا فيه بما لا نراه مرضياً فتركنا الاجتهاد .
٣ ـ الشطر الثاني غير واضح المعنىٰ أيضاً .

وقال : (الوافر)

تَنَصَّل بعد ما ظَلَمَا فعادَ لوصْلِ ما صَرَما
وقلْت لعالم بالأمـر منتَفِع بما عَلِما
ألستَ ترى تَلَفُّتَه فقال : نعمْ رأيتُ .. فما !؟
أما يكفيك أنَّك كُنْـتَ يوم لقيتَهُ عَلَما
فقلتُ تذوقُه فلعلَّ ذاك الخدَّ قد لُثِما
فقدَّم رغبةً قَدَما وأخَّر رهبةً قدما[1]
يحاول غمْرَةً ويخافُ عند وقوعها النَّدَما[2]
فكابَرَ طَرْفُه فيها فأرسلَهَا ، وما اعتزما
فما بلغتْهُ - وهي الحربُ - حتى ردّها سِلْما
كأنْه كان يَرْقُبُها فحين عَنَيْنَهُ فَهما[3]
وأقبلَ بعدها مُتَخَذْدرا يَتَعَسَّفُ الحشما
يسيلُ جبينُهُ عَرَقا [وتقطر] وجنتاه دَما[4]
ويُقصِرُ طَرْفَه كيلا تَرى عيناه مُتَّهما
يبادِر أن يُراحَ لكي يصحَّ له الذي خَتَما
فحط برِحْلِنا نعماً فَبتنا نشكر النِّعمَا
أشوفُ مُقَلَّدا سَبطا وأرشُفُ بارداً شَبِما
أقولُ له وقد سَنَحَ الـعتابُ عليه فانتَظَما
أذنباً كنتَ تحسب جَفْـوَتي باللـه أم كَرَما
أما استَحْييتَ يوم كذا ويومَ كذا ، أما وأما !؟

---

١ - في الأصل : «فقد - ما رغبةً قدما واحرز رغبة قدما»
٢ - في الأصل : «تحاول» ولا ينسجم مع السياق .
٣ - في الأصل : «كأنّه» والوزن يستقيم بتخفيف النون .
٤ - زيادة اقتضاها الوزن والسياق .

فنكَّسَ ناظِراً في ظَهْـ ـرِ كفٍّ يُنبتُ العَنَما[5]
وقال ، وما على رجل أُسَيءَ بهِ إذا انتعما

5 ـ العَنَم : شجرة حجازيّة لها ثمرة حمراء : يشبّه بها البنان المخضوب .

- ٦٦ -

وقال : (البسيط)

لو كان يمنع حُسْنُ الوجه صاحِبَهُ   من أنْ يكون له ذنْب إلى أَحَدِ
كـانت عليم أَبَـرَّ النـاس كُلِّهم   من أنْ تُكافا بُسوء ، آخر الأبدِ
مالي إذا غبتَ لم أذكر بواحدة   فإن مرضت فطال السقم لم أعدِ[1]
ما أعجب الشيء ترجوه فتحرمه   قد كنتُ أحسب أني [قد] ملأت يُدى

١ - في الأغاني : «... لم أذكر بصالحة» وفي الأصل : «فإني مرضت فطال السقم لم أغد» والتحريف ظاهر .

- ٦٧ -

وقال أيضاً : (البسيط)

ما غيّر الرَّبعَ والمغاني ... إلا صروفُ من الزَّمان

يا صاحبيَّ ، وأنتمالي ... كموضع الكفِّ من بناني

قفا عليَّ فمتِّعاني ... أولا ، فسيرا وَوَدَّعاني

لا تُعجِلاني ، فتُغرياني ... شأنكما اليوم غيرُ شاني

يا ظَبيُ أحباله بقاع ... إنّي ، وإيّاك موثقان

يحزُنُني أن أراك تعطو ... إلىَّ منها ، وأنت عاني

إنَّ الغواني ، وكلُّ شيء ... يُقالُ فاقْبَلْهُ في الغواني

يَنَلْنَ حاجاتِهنَّ عندي ... بلمحة الأعين الحِسان(١)

---

١ ـ في الأصل : «بلحمة» وسهو الناسخ بيّن .

- ٦٨ -

وقال في علي بن عثمان : (المنسرح)

مـاجَبَـلا طَـيء بـأمنـع مِـن زادِ عـليّ زميـلِ صِقْـلاب[١]
ذاك امرؤ [إن] أردتِ كِسْرتَـه جـادَت لنـا عينـهُ بتسيـاب[٢]
النّاسُ أصحابُه فإنْ ذكروا الـ ـ خُبزَ فليسوا لـه بـأصحـاب[٣]
من يَشتري اللحمَ ثم يُدخلُه الـ تنـوّرَ . والـرفقُ بـاب أبـواب[٤]
حتى إذا بـلَّ حَـرْفَ كِسْـرَتِـه مـن دَسَـمِ جـامـدٍ ومُنسـاب
خاصَمَ في اللَّحم كي يَصِحَّ له الـ ـردّ قنَـوعـاً بـريـح جـواذب[٥]
من لؤمِـه أنَّه إذا مَنَـع النـا س لـوى شِدْقَـه بـإغـراب[٦]

١ ـ جبلاطي : هما جبل أَجأ وجبل سلمىٰ ؛ يضرب المثل بمناعتهما .
٢ ـ كسرته : يعني بها : كسرة خبزة . وساب وجرءَ سيباً ، والسيب : مجرىٰ الماء ، ولعلَّ الناسخ حرَّفها عن : «تسكاب» الكثيرة الشيوع والتداول .
٣ ـ في الأصل : «الخير» وواضحٌ ان الحديث عن البخل والخبز .
٤ ـ في الأصل : «من تشترى ..» والمعنىٰ في الشطر الثاني غير واضح .
٥ ـ في الأصل : «كي تصح» والجواذب : بضم الجيم : طعام يتخذ من سُكَّر ورزّ ، ولحم .
٦ ـ الشدق : جانب الفم من باطن الخدّين .

وقال أيضا في علي بن سعيد : (الكامل)

يا «بايخست» ألست الأمَ مَنْ بَرى ... ذو العَرش من إنسٍ ومن جان[١]

أطْعَمْتَنَا كشليةً حَوْليَّةً ... وجَرادِقاً مُسوَدَّةَ الألوان[٢]

نُخرت [و] لكن في ختان بناته ... فَتُورِّثَتْ من فضلة الختَّان

حتى إذا عَري الخِوانُ ، ولم يكن ... يَعْرَى ، وإن قلَّ الطعامُ خِواني[٣]

لكنْ ضَرَبْتَ يديك فيه وإنَّما ... وُضع الخوانُ لنا ، ونحنُ اثنانِ

فكأن كفَّك في الخِوان وقد رمت ... فيه بألام راحةٍ وَبَنان

رُخٌّ يَحُشُّ بنادقا مَبثوثةً ... بَعُدتْ عن الفَرَسَين والفرزان[٤]

وإذا كَسَرْت «لبايخست» قُلةً ... جاءت كعوبُ بكفِّها عَصَوان

١ ـ بايخست : بالفارسية : بارد ، وهي لفظة ـ كانت وماتزال ـ تستعمل في الذم . وفي الأصل : «من يرىٰ» والتحريف واضح .

٢ ـ الكشليَّة : لم نعثر لها على معنى ، ولعلَّها : «الكشكيّة نوع من الجساء ، يعمل من الكشك . والكشك : طعام يتخذ من نقيع البرغل باللبن ، بعد اختماره ، فيفتّ ويطبخ ، وهو معروف في العراق الآن . والجرادق : جمع جردق أو جردقة : وهي الرغيف ؛ معرَّب عن الفارسية .

٣ ـ الخوان : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل .

٤ ـ يُحشُّ : من قولهم : «حَشَّ الصيد» : ضمّه من جانبيه وجمعه . والرخ ، والبنادق ، والفرسين ، والفرزان : أسماء لأحجار اللعب في الشطرنج .

وقال في صالح بن عبدالملك أخيه ، وكان هؤلاء أصدقاء صالح : (الهزج)

تفــرَّعــت لأصحـــابـــي وتنسى بعضَ أصحابِكْ[1]
حميــدٌ وفتــى الطَّحْــن وإسحٰــق ومنجــابــك[2]
وأخــرى لا أسميِّــهَــا تــراني لستُ أقوى بــك
عَنينــاهـــا شمــائلـــك ـ التي ألـوتْ بأسبـابـك[3]
فقــد صرت مــن الــعُــزْ ي تناجي خلْفَ أبوابـك

---

١ ـ تفرَّع ؛ في استعمال أهل العراق الآن : تهيّأ للأمر واستعدَّ له . ولعلَّها : «تفرغت» من قولهم : «تفرَّغ للأمر : بذل مجهوده فيه .

٢ ـ وفتى الطحن : الشجاع ؛ من قولهم : طحنت المنيَّة القومَ : أهلكتهم أو لعلَّ الناسخ حرَّفها عن «الطعن» وهي اللفظة الكثيرة الاستعمال .

٣ ـ في الأصل : «بأسلوبك» ولا يستقيم بها الوزن .

وقال : (الكامل)

سقياً لمجلسنا الذي جُمعَتْ به ... طُرَفُ الحديثَ وطاعةُ الجُلاسِ [١]
ظَلْنـا ويحيى كـالمؤمَّـر بيننـا ... نُسقى ، ونشربُ تارةً بالكأس
نصفَين ، يشربُ بعضُنا من قهوة ... صرف تُضيء كشُعْلَـةِ المقْياس
والآخرون على النَّبيذ عُكُوفُهُم ... شتـانَ إنْ قِسْناهُمـا بقيـاس
ثِنتانِ ، بينهما التي شبَّهتُهـا ... بقَضيبِ آس بين غُصْنَي آس
ما كان عَيْبٌ ، غير أنَّك لم تكن ... يا ابن الذُّؤابةِ مِن بني العبَّاس [٢]
واذا ذكرتُك أو عليًا لم أزَلْ ... حَزْنانَ من كمدٍ ، ومن وسْواس [٣]

١ ـ في الأصل : «طرق الحديث» ولا نراه ينسجم مع ما في القصيدة .
٢ ـ في الأصل : «ما كان غيب» . والذؤابة : الناصية ، أو منبتها من الرأس . ومن كلّ شيء : أعلاه ؛ يقال : «هو ذؤابة قومه» : أي المتقدّم فيهم .
٣ ـ في الأصل : «جزان» والسهو واضح .

- ٧٢ -

وقال أيضا :

بـدَرا بـدا في ليلـة البـدر في ليلـة الأربـع والـعَشْر
لـذلـك الشـهـر لـديَّ يـدٌ لا ينقضي الدهَر لها شكري[1]
أَطْلَـعَ بـدرين وما عهدنـا بـأن نرى بـدرين في شـهـر
ويـلي من بـدرين في ليلـةٍ كـلاهمـا في ضـوئـه يسري

---

١ ـ كررت هذه الأبيات في المخطوطة ، وروي هذا البيت هكذا :
«لذلك الشهر له شاهد ...»

- ٧٣ -

وقال أيضا : (الرمل)

يـالبـان اللـــه فيَّ ! اللــه بي حَرجاً من قطع حَبْلى حَرجا[١]
[قد] رأيتُ الموتَ [أ]و أسبابه فاذْنينْ [لي] الآن منك الفرجا[٢]

---

١ ـ في الأصل : «جرحاً .. جرحا» والحرج : الإثم .
٢ ـ في الأصل : «لو رأيت الموت وأسبابه» .

- ٧٤ -

وقال : (الرجز)

يا يُمْنَ يَومي وغَدِهْ ويُمْنَ ما بَعْدَ غَدِهْ
ليسَ لمَنْ يحسُدُ إلّا ـ حظُّه من حَسَدِهْ
وابأبي مُخْتَضب أو ما إلينا بيدِه
أو ما بها ثمَّ ثنىً راحته في كبدِه
إنَّ الضنى في جسدي يُخبرني عن جسدِه
يُخبرني عنه بما أعرفه من كمدِه

ـ ٧٥ ـ

وقال : (الرجز)

قــام بقلبــي وقَــعَـدْ ظَبْــيٌ نفــى عنِّــي الجَلَـدْ

يـا صــاحبَ القصرِ الــذي أرَّقَ عينــي ورَقَــدْ

واعَطَشـــي إلـــى فَــمٍ يَمُــجُّ خمــراً مــن بَــرَدْ

- ٧٦ -

وقال : (البسيط)

قد كنتُ أبكي على مَن فاتَ من سَلَفي   وأَهْلُ وُدِّي جميعاً غيرُ أشتاتِ[1]
فـاليومَ إذْ فَـرَّقَتْ بيني وبينَهُم   نـوىً بكيتُ على أهـل المودّاتِ
ماذا حياةُ امرىء أضحتْ مَنيتُهُ   مَقْسـومَةٌ بـين أحيـاءٍ وأمـواتِ

---

١ ـ الشتيت : المفرّق ، والأشتات : المتفرّقون ، وجاءوا أشتاتاً : متفرّقين .

وقال :[١] (المديد)

نَــزَلَتْ بــالخـائنــين سَنَـــةٌ   سَنَـــةٌ للنــاس مُمتَحِنَـــهْ[١]
خــولت ذا النصحِ نِعمتَــهُ   وأَزَلَّــتْ نعمــةَ الخَــوَنَـــهْ[٢]
فتــرى أهــلَ العَفــافِ بهــا   وَهُــمُ في حــالــةٍ حَسَنَــهْ
وتـــرى مَنْ خـــانَ ، هِمَّتُـــهُ   أَنْ يُؤَدِّي كلَّ ما احْتَجْنَهْ[٣]

---

١ ـ قال الطبري : «ونصب محمد بن عبدالملك لابن أبي دؤاد ، وسائر أصحاب المظالم العداوة ، فكشفوا وحُبسوا .. وأقيموا للناس ، ولقوا كلّ جهد» .
وأصحاب المظالم ينظرون الأمور يكون النظر فيها فوق سلطة القاضي . وكانت محكمة المظالم تعقد برياسة الخليفة أو الوالي أو من ينوب عنهما .. كان هذا في خلافة الواثق . وأبيات ابن الزيات هذه نرجّح أنها قيلت في هذه المناسبة .
على أن هذه الأبيات نفسها رويت لأحمد بن أبي فنن . وقد أشرنا الى هذا في مقدمة الديوان . نقول : لعلَّ ابن الزيات قد تمثّل بها فظنَّ جامع ديوانه أنّها له . هذا أمرٌ يحتاج الى زيادة في التحقيق .

٢ ـ في الأغاني : «سوَّغت ذا النصح بغيته
وأزالت دولة الخَوَنَة
وهم في دولة حسنـــة

٣ ـ «وترىٰ من خان همّه ...» هذه رواية الأغاني ورواية الديوان أيضاً ، ولكننا نراها من خان ذمّته» بدلاً من «همته» .

محمد بن الفضل بن الأسود الكاتب ، قال : حدَّثني قريش بن أنس عن أبيه ، قال : «دخلتُ على الواثق فقال لي يا أبا قريش اخرجْ رقعة من تحت المصلى الذي تحتي ، فممدت يدي فأخرجت الرقعة وقرأتها ، وقلت : يا أمير المؤمنين ، رقعة حسنة ، أولُّها تشوُّق ووسطها استعتاب ، وآخرها استبطاء ، واذا في آخر الرقعة : (الرمل)

إن يكنْ حَبلُك من حَبلي وَهى ... فإلى شوقي يكـون المنتهىٰ
لم يُـذَكرنيـك خطبٌ حادث ... إنما يذكـر من كان سهـا

وكانت الرقعة من محمد بن عبدالملك ، فقال الواثق : «يلومني الناس على حب محمد بن عبدالملك !» .

ووجدت في كتاب أبي أيوب بن أخت الوزير ، مما اختاره له عمرو بن بحر الجاحظ ، قال محمد بن عبدالملك في عباس بن المأمون وقصته أيام عمورية :
(الخفيف)

حلفَةٌ ما حلفت ، لا تعبـرُ اللئام مبرورةً من الأيمان[٢]
رُبَّ حنْثٍ فيه النَّجاةُ وبر قد أحَلَّ الفتى بدارِ هَوانِ

١ ـ قصة العباس بن المأمون في أيام عمورية : هي : شغب الجند بعد بيعة المعتصم بالخلافة ونادوا عباس بن المأمون بها . وخرج العباس اليهم ، وقال : قد بايعت عمّي وسلَّمت الخلافة اليه .
وفي حرب عمورية وجّه المعتصم عجيف بن عنبة الى بلاد الروم ، ولم يطلق يده في النفقات ، كما أطلق يد الأفشين ، فلام عجيفٌ العباسَ على تنازله عن الخلافة ، ودبّر مؤامرةً معه لقتل المعتصم هو وقواده ، وهم عائدون بعد انتصارهم في عمورية . واحسّ المعتصم بهذا ، فوكّل بالعباس بن المأمون وبالمتآمرين معه من قتلهم . وابن الزيات كان مع المعتصم في عمورية ، وفي هذه المؤامرة ، وهو يشير بهذه القطع الثلاث الى هذه الحادثة .

- ٨٠ -

وقال [في العباس بن المأمون] (السريع)

مَا وَقَع العبّـاس في مِثْلها بُعْـدا ، وإرْغـامـاً لعبّـاس
يـريد أن يـأخذَهـا عَنْـوَةً عَذَرْتُ ، لوْ كانَ من النّاس

- ٨١ -

وقال أيضا ، وذكر المأمون والمعتصم ، وعباس بن المأمون ، وقصته :

(الوافر)

ألم ترَ أنَّ خيرَ الناس أودى	فيـا للنَّـاس للحَـدَث العَظيم
جزاكَ اللهُ ـ يومَ فقدتَ عنا ـ	جـزاءَ الـوالـد البَـرِّ الـرَّحيم
وُليتَ فلم تَـزَلْ حيـاً وميتـاً	عـلى نهـج الطـريق المستقيم
وَوَلَّيتَ الخـلافـة سـايسيهـا	فلا «حكش» ولا ابن أبي حكيم[1]

---

١ ـ يبدو ان اسم «حكش» و«ابن أبي حكيم» من أسماء العامة التي لا وزن لها .

- ٨٢ -

وقال في العباس [بن المأمون][1] حيث حبس بالبدندون وكانت الخلافة صارت الى المعتصم بالله : (السريع)

قُـلْ للإمـام المـرتضى إنّـه ملاذ ذي الدنيا وذي الدِّين
هنّـاك اللـهُ ، ولازلـتَ في حـرز ، وفي عـزّ وتمكـين
خـلافـة حصَّنـتَ أرواقهـا من كُلِّ غادي الجدِّ مفتون[2]
يوم البدنـدون ، كما أنهـا جاءتك في يوم البدندون[3]

١ ـ البدندون : المدينة التي مرض فيها المأمون ، وفيها كانت خلافة المعتصم وهي ـ كما يشير ابن الزيات ـ المدنية التي قرر فيها المعتصم الايقاع بمن تآمروا عليه في عودته منتصراً من عمورية .

٢ ـ الرواق من البيت : شقته التي دون الشقّة العليا .

٣ ـ يشير الى مؤامرة العباس بن المأمون هذه في البدندون .

وقال أيضا في تلك الغزوة[١] في توفلس عظيم الروم : (الخفيف)

اسلَمَ المـدْنَ والحصـونَ وولّى يَحسَبُ الموتَ تحتَ كلَّ قيام
صَنَـع الحزْمَ عـامَ أوَّل لكنْ ضيَّع الحزْمَ كُلَّه في العام[٢]

١ - الغزوة : هي غزوة عموريّة . وتوفلس : هو تيوفيل Theophilus امبراطور الدولة الرومانية من عام ٨٢٩ - ٨٤٩ ، قضىٰ معظم أيامه في محاربة خلفاء الدولة العباسيّة ، وهو الذي قال فيه أبو تمّام في حديثه عن حرب عمورية :

لـمـا رأى الحـرب رأي الـعـين تـوفلس
والحـرب مشتقَّـة المـعنـىٰ مـن الحـرب
مضىٰ يصرّف بـالأمـوال خـزيتـهـا
فـعـزّه البحـر ذو التيّـار والـعَبَـبِ

٢ - في الشطر الأول يشير الى أنه صنع الحزم ، لعله يشير الى المعتصم وربما كانت أبيات ساقطة من القطعة . وفي الشطر الثاني في الأصل : «جمع» ولعل الاشارة فيه الى المعتصم أيضاً ، ولكننا رجّحنا هذا لينسجم مع عنوان القطعة ، ومع البيت الأول منها .

- ٨٤ -

وقال [في العباس بن المأمون][1] (البسيط)

ما كانَ أغناكَ عن همّ خلوتَ به   فينا يُخاطبُ قلباً كُلُّه دامِ[2]
لأنت في عامك الماضي أقرُّ بنا   عيناً ، وأنْعمُ بالاً منك في العام

---

١ - في الأصل : «وقال أيضاً فيه» والأبيات تعني القول في العبّاس بن المأمون الا في «توفلس» ؛ التي مرَّت الاشارة اليه .

٢ - يشير الى مؤامرة العباس بن المأمون على المعتصم . ويبدو أن المعتصم ، وقد نُقل اليه خبر المؤامرة شكّ فيها وتحيَّر ، وشاور ابن الزيّات ، وزيره ، فتحيّر ابن الزيات أيضاً في الادلاء برأي فيها . انظر ص٩٦ وما بعدها من كتابنا : «محمد بن عبدالملك الزيات»

- ٨٥ -

وقال أيضا في سبى عمورية : (الخفيف)

كم قطعنا من البلاد وكم جُبْنا طباقاً موصولةً بطباقِ
تشتكي خيلنا السنابك ممَّا عَضَّهُنَّ الوجى وبُعْدُ السَّياق[١]
مُحقِبات صور الظباء فكم صَـــكِّ طَلاقٍ يحملْنَهُ وعِتاق[٢]
تُصبحُ الحرَّةُ الكريمة قد آ ذَنَ منها حلَيلُها بفراق
أمَّلَتْ عقبه التَّلاقي ولم تد ر بأنَّ الفراقَ عاق التَّلاقي

١ ـ السنابك : جمع السُّنُبك كقنفُذ : طرف الحافر ، ومن الأرض : الغليظة القليلة الخير والوجىٰ : الحفاء ، أو الشديد منه .
٢ ـ صَوِر كفرح : مال ، وهو أصوَر .

وقال أيضا في عباس : (المديد)

ربّ من اهــدىٰ لنــا شغــلاً لــم يحق إلّا بـــه الشُــغُــل
دائبـــاً يســـعــىٰ لينقضـــهـــا نجــذاهـــي ينقض الـدول (؟)

مضىٰ ما أخذ من اختيار الجاحظ ومن كتاب أبي الحسين الخصيني

١ ـ واضح أنه يعني به العبّاس بن المأمون الخليفة
وبعد هذا يأتي تعليقه : «مضىٰ ما أخذ من اختيار الجاحظ ، ومن كتاب ابي الحسين الخصيني» . وهذا بحاجة الى دراسة خاصة ، تتعلَّق بشأن اختيار الجاحظ هذا وبشأن كتاب ابي الحسين ، وعسانا نقوم بها ، أو نرىٰ من يقوم بها إن شاء الله
٢ ـ الشطر الثاني من البيت الثاني غير واضح بسبب اللفظة الأولى منه .

- ٨٧ -

قال محمد بن عبدالملك في المال الذي كان المأمون فرقه ببلاد الروم :

(الوافر)

ذوقوا حلاوةَ فَقْـدِها وتعلمـوا   أنَّ الأسِنَّـةَ بعد ذلـك شُرَّعُ

فإذا وفيتُم فهي خيرُ بلادكم   وإذا غَـدَرْتُم فهي سمٌّ مُنْقَعُ

وقال أيضا : (الهزج)

إذا أحببتُ لم أَسْلُ وإنْ واصلتُ لم أَقطَعْ
وإنْ عَنَّفَني النّاس تَصامَمتُ ، ولم أسمَعْ[١]
وقد جرَّبتُ ما ضَرَّ وقد جربتُ ما ينفع
فلا مثلُ الهوى أنْـ ـهكُ للجسم ، ولا أضرَع[٢]
ولا كالهجر ، لا أوحى إلى الموت ولا أشرع[٣]
وقد أوْجعني العَذْلُ ولكنَّ الهوى أوجَع[٤]
وكانت قُوَّتي في الحـ ـبِّ قبل الفعل فاستَجْمعْ
فلَّما رُمْتُ أن أَسْلُـ ـوَ عن حُبِّيك صارت مَعْ
وهذا عدم العقل فما أسْطيع أنْ أصنع
فلا والله ما عندي لما قد حَلَّ بي مَدْفع[٥]
ولا لي عندكم مغدى ولا لي دونكم مَرْجع
ولا فيَّ لِهجْرانِك ، لولا ظُلُمُكم موضع
وهل لي ناصرٌ منكِ إذا جدّ بيَ المفزَع[٦]
ألا لي جَسَدٌ يَبْلىٰ ولا لي مُقْلَةٌ تَدْمَع[٧]

---

١ ـ في الأغاني : «عاتبني» وما هو مثبت أنسب .
٢ ـ في الأغاني : «فما مثل الهوىٰ» . وضرع اليه : خضع وذلَّ
٣ ـ في الأغاني : «... كالهجر في القرب» .
٤ ـ في الأغاني : «وإن أوجعني .. فنيران الهوىٰ ..»
٥ ـ في الأغاني : «ولا واللّه ...»
٦ ـ المفزع و المفزعة : الملجأ ، يُقال : «فلانٌ مفزع للناس : أي إذا دهمهم أمرٌ فزعوا اليه ؛ أي لجأوا اليه .
٧ ـ في الأصل : «ألا جسدٌ يبلى ..» .

- ٨٩ -

وقال أيضا :[١] (الخفيف)

لیتَ عینَ الرَّشید کانت تراکا   وتری ما احتوت علیه یداکا
حینَ لم یدع للخلافةِ من یَحْـ ـــ ـمِلُ أعباءَها الثِّقالَ سواكا
فتری کیف أهَّلَتْكَ مساعیـ   ـك لها حین لم یُردها أباکا[٢]
لم یحابوك عند ذاك ولكنْ   كنتَ إذ قیلَ ممنْ لها ذي ابتداكا[٣]

---

١ ـ لعلَّها في الخليفة المعتصم .
٢ ـ في الأصل : «لم يرثها» ولعلّها سهو .
٣ ـ في الأصل : «من لها ابتداكا» .

- ٩٠ -

وقال : (البسيط)

البرُّ بي منكَ ، وَطَّا العذرَ عندكَ لي فيما أتاك فلم تَعـذِلْ ولم تَلُم
وقام علمك بي فاحتجَّ عندك لي فقـامَ شاهـدُ عَدلٍ غـيرُ مُتَّهَمِ

- ٩١ -

وقال أيضا : (الوافر)

أعـزِزْ عــلي بـأن تكـونَ عليـلا　　أو أن يكونَ بك السقامُ نزيلا
ووددْتُ أني مـــالــكٌ لِسَــلامتي　　فـأعــيركـاهــا بُكـرَةً وأصيــلا
فتكـون تسعى سالمـاً بســلامتي　　وأكـون مما قـد عراك بـديـلا
وأنا أخٌ لك أشتكي ما تشتكي　　وكـذا الخليلُ إذا أجَـلَّ خليلا

وقال أيضا : (الرمل)

لم يَزْدني العَذْلُ إلّا وَلَعـا ضَرنـي أكثـر ممـا نَفَعـا
ذَهَبَتْ بـالقلب عَينٌ نظـرتْ لَيتَهـا كـانت وإيـاه مَعـا
أوْ بَراها الشَّوْقُ حتى لا ترى حَتْفَها ، ياليتَ قلبي رَجَعـا
كـلَّ يـومٍ لِيَ منـه آفـةٌ تَـرَكَتْنـي للـهـوى مُتَّبِعـا

وقال أيضا : (الطويل)

وحدَّثتُ نفسي أنني غيرُ صابرٍ ... فها أنا ذا لم أَقض من إثْرها نَحْبي[1]

خليليَّ ، لم أصدقْ ، وكانَ سفاهةً ... رجوعي بحسن الظنِّ منَها على قلبي

فأقسِمُ أنْ لو كنتُ أوَّل مَيِّتِ ... وآخرَ منشور يهبُّ من التُّرْب

لما كان من موتي عليها صبابة ... قضاء لما استرعيتُ من ذمَّة الحبِّ

---

١ ـ النحب : اشدّ البكاء . والنحب : الأجل والموت ؛ يقال : «قضىٰ نحبه» : مات

٢ ـ في الأصل : «لما كان موتي من عليها .. استترعتُ» يقال : استرعاه إياهم استحفظه .

وقال أيضاً : (الكامل)

أسَلُ الذي صَـرَفَ الهوى منّـي إليـك ، ومنـك عنِّي
أنْ يبتليـكَ بمـا ابتلَـوْ ني منك يا إنسانَ عيني[١]
فتكـون مثـلي في الهـوى مثـل الذي بـك كان ظني
وإذا رأيـتُ بـك الـذي بي قلتُ يا نفس اطمئِّني

١ ـ في الأصل : «... يا إنسامنّي» وإنسان العين : سوادها ولعلّه انسب هنا .

- ٩٥ -

وقال أيضا : (الخفيف)

لَيْتَ شعْري عن أملَح النَّاس دَلا أمقيمٌ لنا على العَهدِ أم لا
زَعَموا أنْ مَنْ تشاغَلَ باللَّذا تِ عَمَّن يُحبُّه يتَسَلَّى
كذَبوا ، والذي تُساقُ له البُدْنُ ومَنْ لاذَ بالطَّواف وصلَّى[1]
لرسيسُ الهَوَى أحرُّ مِن الجمْرِ على قلبِ عاشق يَتَقلَّى

١ - البُدْن : جمع البدنة محرَّكة : من الابل والبقر كالأضحية تهدىٰ الى مكّة المكرّمة

وقال(١) محمد بن عبدالملك يجيب أبا سعيد الفيشي : (السريع)

يا أيُّها المـأفونُ رأيـاً لقد   تعـرَّضَتْ نفسُـك للمـوتِ(٢)
قَيَّـرْتُمُ الملـكَ فلم تنتهـوا   حتى غسلنا القارَ بالزّيتِ(٣)
الزَّيتُ لا يُزرى بأحسابنـا   أَحسـابُنـا مَعـروفـةُ البيتِ

---

١ ـ أبياتُ أبي سعيد هي :
أحسن من تسعين بيتاً سُدىً   جمـعُـك مـعنـاهـنَّ في بيـت
مـا أحـوج الملـك الى مطـرةٍ   تـذهـب عنـه وَضَر الـزيـت
وفي الأغاني ، ٢٢/٤٧٧ : «كان محمد بن عبدالملك يعادي أحمد بن أبي دؤاد ويهجوه ، فكان أحمد يجمع الشعراء ويحرّضهم على هجائه ويصلهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين كان أجود ما هجاه به ، وذكر البيتين هكذا :
أحسن من خمسين بيتاً سُدى   جمـعُـك إيّـاهـنّ في بيـت
مـا أحوجَ النـاس الى مطـرةٍ   تـغسلـهـم مـن وَضَر الـزيـت
والبيتان في «العقد الفريد» مع اختلاف في بعض اللفظ ؛ ٣/١٩٤ .
٢ ـ المأفون : الضعيف الرأي والعقل .
٣ ـ في العقد الفريد : «... فلم ننقه   حتى قلعنا» ٣/١٩٤ .

وقال[١] في ابن أبي دؤاد يعرِّض به وقد أنشدتها قديما لغيره ، ومحله يرتفع عن مثلها : (البسيط)

دبي إلى حرمٍ ، ما كان أحمقَه   إذ لم يَقُلْ إنّني من سادَةِ العَرَب[١](؟)
أكـانَ أعجَز من قـومٍ رأيتُهُمُ   تسورَّوا بعد ما شابوا على الحَسَب[٢]

١ - في الأصل : «وبي في حرم الى ما كان احمقه» . كان ابن الزيّات يهجوه بهذا ، ويهجو قبيلة إياد التي انتسب اليها ؛ اذ يبيّن أن الأوْلىٰ به ان ينتحل نسبه في سادات العرب ، وكأن البحتريّ نظر الى هذا ، في هجائه له ، اذ قال :

يـا أحمد بن أبي دؤاد   والحـادثـات بكـلّ واد
مـاذا رأيـتَ إذ ادّعيـ   ـتَ الى إيـاد في إياد !؟

٢ - تسوّر : تسلّق السور ؛ والسور : حائط المدينة .

وقال عبدالله بن طاهر[١] في ابن عبد الملك أبياتا ، فأجابه محمد بن عبدالملك : (المنسرح)

وكيف بي أن أحولَ يا أملي   وكلَّ خير أنالُ من سَببك[٢]
أنكرتَ شيئاً فلستُ فاعلَهُ   ولا تراه يُخط في كُتُبك[٣]

---

١ ـ عبدالله بن طاهر : كان ركناً من أركان الدولة العباسية ، ولّاه المأمون مصر ، واثنى عليه في نزاهته في المال ، وقال : «هو غرس يدي وخرّيج أدبي ، وتمثل المأمون قائلا :

فتىً هو من غير التخلّق ماجد   ومن غير تأديب الرجال أديبُ

وكان يلي للمعتصم خراسان وأعمالها ، والريّ ، وطبرستان وما يتصل بها ، وكرمان .. وعصىٰ المازيار فكان ابن طاهر هو الذي حاربه وأرسله أسيراً الى سامراء . وكان عَوْن المعتصم على الأفشين . ولمقامه هذا كان ابن الزيات يكتب اليه بخطه وانشائه ، ولا يجيز لغيره من كتّاب الخلافة الكتابة اليه .

وأبيات عبدالله بن طاهر هي :

أحلتَ عما عهدتُ من أدبك   ام نلتَ ملكاً فتهتَ في كُتبكْ
أَم قد ترىٰ أنْ في مناصفة الـ   إخوان نقصاً عليك في حسبك
أم كان ما كان منك من غضب   فأيّ شيء أدناك من غضبك
إنَّ جفاءً كتاب ذي مقةٍ   يكون في صدره وأمتعَ بك
اتعبت كفيَّك في معاقبتي   حسبك مما يزيد في تعبك

وفي العقد الفريد ١٨٢/٤ رويت الأبيات مع بعض اختلاف ؛ ففي البيت الثاني «عليك في أدبك» والبيت الرابع : «أكان حقاً كتاب ذي مقة» وفي البيت الأخير

... في مكاتبتي   حسبك ما قد لقيت ..

والابيات قد رويت في «ادب الكاتب ـ لابن قتيبة ٥١/١» مع بعض الاختلاف أيضاً .

٢ ـ في العقد الفريد : «وكيف أخون الإخاء ... وكلّ شيء ...»

٣ ـ في العقد الفريد : «ولا يراه» وما هو مثبت أنسب .

إن كـان جهلٌ أتـاك من قبلي   فعُـدْ بفضلٍ عـلىَّ من أَدَبِك[4]
واعفُ ، فَدَتْكَ النفوسُ عن رجلٍ   يعيش حتى الممات في حَسَبِك[5]

---

٤ ـ في العقد الفريد : «إنْ يك .. عليَّ من حسبك» .
٥ ـ في العقد الفريد : «... المماة في أدبك» .

وقال أيضا : (السريع)

رُبَّتَ دار بعـدَ عِمْـرانِهـا أَضحَت خلاءً ما بها آهِلُ
لم تدخُلِ البهجةُ دارَ امرئٍ إلّا ومـا يَهْدِمُهـا داخِلُ[1]
مـا يأمَنُ الـدنيا وأيّـامَهـا بَعْـدي إلّا أنوك جـاهِلُ[2]

---

١ - في الأصل : «لم يدخل البهجة ..» .

٢ - النوك ، بالضمّ والفتح : الحمق ، ونوِك كفرح ، وهو أنوك ، وما أنوكه : ما أحمقه !

وقال أيضا (الهزج)

أمــا مــن حَكَمٍ يــعــدي ... عــلى مَن ســامنَي جَهْــدي
أمــا مِــن حكــم يَقضي ... عــلى المــولاةِ للــعَبْــدِ
فقــد حــالتْ عن الـعـهــد ... ومــا حُلــتُ عــن الـعـهــد
عصيــتُ النــاسَ في حبــيٍّ ... كــأنّــي أمــةٌ وَحْــدي

وقال أيضاً : (الوافر)

ولي طَـرْفٌ يُنـازِعُني إليهـا ... أُحـاولُ صـرفَـه عنِّي فيـابى
أقـاتِلُـهُ لأَصْـرِفَـه قتـالاً ... ويـأبَى نَحـوهـا إلَّا ذهـابـا
فَطَـرفي هكـذا ، وإذا أرادَتْ ... لتَصْرف طَـرْفَها عَنِّي أَجـابـا
أحينَ ملكتَ يا إنسان أمري ... فتحتَ من العذاب عليَّ بـابا
أدالَ اللهُ منك بيـومِ صدق ... يكونُ لما سبَقْتَ به عِقابـا[١]

---

١ ـ يقال : أدال اللّه بني فلان من عدوّهم : جعل الكرَّة لهم عليه . والإدالة : الغلبة .

وقال أيضاً : (الطويل)

تَجلَّدْتُ في حُبِّي ومابي قُـوَّةٌ ولي زَفَراتٌ شاهِداتٌ على عشقي
وإني لأنوي الشيءَ من غير علْمها فَيعْرفه غيري ، ولم يَجرِ في نُطْقي
كـأنَّ عُيـونَ العـالـمين مُطِلَّـةٌ عليَّ فما يخفى هواكِ على خَلقِ[1]
تَجَنَّى عليَّ الذنْبَ ، وهي مُسيئَةٌ فأوثرها بالصِّدق فيه على صدقي

١ ـ في الأصل : «... هواك على خلقي» .

- ١٠٣ -

وقال أيضا : (السريع)

مجلس صَبَّين مُحبَّين ليسا من الحبِّ بخلوين
قد صيَّرا روحيهما واحداً فاقتسماه بين جسمين[١]
تنازعا كأساً على لذةٍ قد مازَجاها بين دمعين
والكأسُ لا تَحسُنُ إلَّا إذا أَدَرْتَها بين مُحبَّين[٢]

١ ـ في الأصل : «روحيهما واحدٌ» .
٢ ـ في الأصل : «والكأس لا يحسن ..» .

وقال أيضا : (المتقارب)

من العَـين واقفـة دمْعَـة فـلا هي تجفُّ ولا تَقْطُـر
ومن تحتِ أحشـائها لَـوعة إليـك علـى كبـدي تـزفـر
فيا راميا في حَشـا نفسه بسَهْم الفراق ، وما يشعـرُ
ببغداد تترك من قد هويـ ـــت وأنت غداً مُزْمع مُبكرُ
فكـلٌّ لكُلِّـك منـه مُـدا مٌ وكُلُّـك مِن كُلِّـه يسكَـرُ

وقال أيضا : (الرمل)

إنَّ في الصَّبر لخيراً فاصطَبر واستعذْ بالله من سوء القدر
اجعَـلِ الصَّبـر لمـا تحـذرُه جُنَّةً ، فالصَّبرُ مفتاحُ الظَفَر[١]
كـلُّ مَن حُدِّثتَ عنـه إنّـه نال خيرا فاعلمنْ أنْ قد صَبَر
إنَّ في الصبر مجيراً لك من صَوْلةِ الهمِّ ، إذا الهمُّ حَضَر
عـادَ بـالسـوء علـيَّ حَـذَري رُبَّما أدّى إلى السوء الحَذَر[٢](؟)
قـدَّر اللـه علـيَّ أنني لا أرى يـومَ سرور فـأسَر
أتجـافى عن هنَـاتِ لـو بهـا مُني الخلق جميعـاً لانتَحَر[٣]
إنَّ في قلبي - ولا ذنبَ لكم - حُـرْقَـةً أثبتهـا فيـه النَّظـر
بَصَري جرَّ على قلبي الشّقـا فأراحَ الله قلبي من بَصَر[٤]
زادني شـوقـاً إليكم هجـرُكُم ربّما يزداد شوقاً مَن هجـر
وعَجيـبٌ أنَّ حُبـي لكُـمُ صـار ذنبا عنـدكم لا يُغتَفَر
لا يضق عفُوك مابي [جَلَد] واغفري ذنبي وإنْ كان كبر
إنَّ للمـوت اليَّ سُبُـلاً غيرَ أن الموتَ يأتي بقَدَر (؟)
لامنـي النَّـاسُ عـلى حُبِّكـم خـاب مَن عَنَّف فيكم وخسر

---

١ ـ الجُنَّة بضم الجيم : كلّ ما وقى .

٢ ـ في الأصل : «جذري» وهو سهو الناسخ .

٣ ـ الهنات : جمع الهَنَة ؛ وهي الشيء اليسير . والهنات : الداهية ؛ ونراها أنسب للسياق هنا .

٤ ـ هكذا ... ولعلَّ الأنسب : «يا أراح اللّه» !

ولكــم نَبْــلُ جِــدادٌ صُيُــبٌ نبــلُ حُبٍ لم تُفَوقْ بِــوَتر[٥]
فإذا ما شئتِ أن تستعبدي أحــداً ، أرسلتِ سهماً فَعَقَــر
فهــو عبدٌ ليس يعــدو كُلَّمــا أوْجَــبَ المــوْلى عليــه وأمَــر
إننـــي أصبحــتُ في حُبِّكُــمُ بين حالين ؛ كلا الحالين شَرْ
بـــين هجــرانٍ وبُعــد أجَّجــا في بناتِ القلبِ ناراً تَستَعِــر
اجعـــلي نفسَــكِ لي نـــاصــرةً لستُ إلَّا بِكِ منكم انتَصِرْ[٦]
إن في الهجــر لدَاءً مُعْضــلاً ولـــدَاءُ الحُــبِّ أدْهــى وأمَــرَ

---

٥ ـ الفوق : موضع الوتر من السهم ، والفوق : شق رأس السهم حيث يقع الوتر .
٦ ـ في الأصل : «باصرةً» والسهو واضح .

وقال : (الوافر)

أتعزِفُ أم تُقيم على التَّصابي فقد كثُرتْ مُناقَلَةُ العِتاب[١]
إذا ذُكِرَ السُّلوُّ عن التصابي نفرتَ من اسمه نَفْرَ الصِّعاب[٢]
وكيف يُلامُ مثلُك في التّصابي وأنتَ فتى المجانةِ والشباب
سأعزفُ إنْ عزَفت عن التصابي فأغرتْني الملامةُ بالتصابي[٣]

١ ـ عزف عن الشيء : زهد فيه . وفي الأصل : «مثاقلة» . والمناقلة في المنطق : ان تحدّثه ويحدّثك .

٢ ـ الصعاب : جمع الصعب ؛ وهو نقيض الذلول من الإبل .

٣ ـ في الأصل : «فأغريني» ويبدو أن الأبيات مختلّة الترتيب ، أو أن بعضها ساقط .

وقال أيضا : (الخفيف)

ذهب الحزم ، واستمال بي اللَّهـ ـو وأخنى علي رَيْبُ الزَّمـانِ[١]
صرتُ مُسترفـداً ، وكنتُ أراني سوف يحيا بـرفدي الثَّقـلان[٢]
شَغَلَتْني الشَّكاةُ عن طلبِ الحيـ ـلـةِ ، واستحوذَتْ عـليَّ الأماني
فكـأني أرى الغِنَـى بضمـيري غـيرَ أني مُنِعْتُـهُ في الـعِيـان
سِمَةُ العَجْز أقعدتني عن العَزْ مِ ، وقادتْ بعد الشِّماس عناني[٣]
وقنـوعَى بالـدون ألبسني الذُّلْـ ـلَ ، وألقى عـليَّ ثوبَ الهَـوان
فَلَعمـري ، لئن هلكتُ لبالَحسـ ـرة منّـي تقطـعـت أقـرانـي
راجِع الحَزْمَ ، واستعِذْ من خِصا لِ العجز يوماً إن زلَّت القَدمان
لم يُسيء في الصّموت من ذكر الذّ لة ، في القول عند نطق اللسان
لا يَكن حِصْنَك التمسُّكُ بـالهَمْ مِ ، إذا خفتَ صولَة الحَـدَثان
واسـعَ في الحيلة التي تتـلافا ك ، وشَمِّر تشميرَ غـير الواني
وتَجَنَّبْ من التَصبُّـر مـا يلقى إلى الناس ، واخشَ غِبَّ التواني
رُبَّ مَنْ طـالبَ الزَّمـانَ بإلحـا حٍ شـديـدٍ فـآبَ بـالحـرمـان
سيعيـد الـزَّمـانُ ذلـك علمـاً وكفـى واعظـاً لـه العَصران[٤]

---

١ ـ اخنى عليه الدهر : جاء عليه ، وغدر به ، وأهلكه

٢ ـ الرفد : العطاء والصلة ، واسترفَدَ : طلب العطاء .

٣ ـ الشماس : من قولهم : شمس الفَرَس : مَنَع ظهره

٤ ـ العصران : الغداة والعشيّ ، أو الليل والنهار .

وقال أيضا : (الوافر)

شَجاني صائحٌ يدعو ببينٍ وأَرَّقَني بُكاءُ الباكيين[١]
وناحَ الطائرانِ فَهَيَّجاني وشوَّقني بكاءُ الطايرين[٢]
بكيتُ ، فأسعَداني حين ناحا فلم أرَ مثلَ ذينك مُسعِدَيْنِ
كأنَّهما أرادا أنْ يَهيجا هوايَ ، فأبكيا قلبي وعيني
أَطَلْتَ ملامَتي ياصاح جَهْلاً وبعضُ اللَّوم شَيْنٌ غيرُ زَيْنِ
ولو كنتَ العليم بما ألاقي عطفتَ عليَّ عطفَ الوالدينِ
حُرمتُ نوالهَا من غير ذَنْبٍ سِوى كَذِبٍ رُميتُ به وَمَيْنِ
إذا سُمِعَتْ مقالاتُ الاعادي فذاك فسادُ بين العاشقينَ
عليكَ مواعِدُ أَقْسمتُ إلَّا وَفَيْتَ بهنَّ لي وقضيتَ دَيني

---

١ ـ في الأصل : «شجنى صالح» والتحريف بيّن .

٢ ـ في الأصل : «وفاح» والسهو واضح .

وقال أيضاً : (البسيط)

حُبٌّ وهجرٌ على جسمٍ به سَقَمٌ ... العيشُ عن ذا سريعاً سوف ينصَرِمُ
حياةُ ذا موتُهُ ، والموتُ عيشتُهُ ... ما خيرُ عيشٍ ، إذا مازالت النِّعَمُ
أرى المحبِّين قد طالَ البلاءُ بهم ... حتى كأنَّ هواهم فيهُم نِقَمُ
عَرفْتُ ذلك في نفسي ، وعلَّتُهم ... قد يرحمون ، ولم أرحم كما رحموا
جاء الكتاب ، بما قد كنت أحذره ... يا ويلتا ليَ مما سطر القَلَمُ
قالتْ تَحقَّق ما كنّا نُزنُّ به ... فالنَّار بين ذوي الأضغان تضَطرم[١]
إليكَ عنّي ، فإنَّ القوم قد نَذَروا ... أنْ يقتلوك ، ألا فاسْلَمْ ، ولا سَلِمُوا[٢]
لولا مخافةُ أنْ يَشْجَى بقيلِهُم ... لما تَفَوَّه منهم بالوعيدِ فَمُ
لا كنُت ! إنْ عاقَني عن أَنْ أزوركم ... - وكُلُّهم شاهدٌ - خوفٌ لما زعموا

---

١ - أزنَّ بكذا : اتَّهمه بكذا .

٢ - في الأصل : «نزروا» والسهو واضح .

وقال أيضاً : (البسيط)

يـاداني الـدار في الأمـاني ونـازعَ الدار في العِيـان[1]
ذكـراك دانٍ وأنـت نـائي فأنتَ نائي ، وأنت داني[2]
نفسـك مـوصـولـةٌ بنفسي وأنت كـالنجم من مكـاني
لي فِكَـرٌ فيـك مُـعجبـاتُ في اللَّفظ صفرٌ من المعاني
تجـري ضُروبٌ من التَّمني في كـلِّ يوم عـلى لسـاني
أقـولُ حتّـى كـأنَّ عينـي تـراكَ من حيثُ لا تراني

---

١ ـ في الأصل : «يا دان الدار ..» ونازع : من قولهم : فلاة نزوع : اي بعيدة . ولعلَّها : «نازح» وهي الأكثر تداولاً .

٢ ـ في الأصل : «ذكراك دار» .

إذا ركبتَ الذُّنوب مِنّي | رددت لومي على الزَّمان[3]

---

٣ ـ في الأصل : «وكتب اليه الحسين بن محمد وعاب تكريره : «نائي وداني» وكتب ـ في الأصل ـ أبيات الحسين هذا ، وهي :

أصبحتُ ـ لو صحَّ في العيان | بكل خير من الأماني
لكنها تستحيلُ حتى | أرجع في البؤس والهوان
وكيف يأذى لما دهاني | مَن لا أراه ولا يراني
ولستُ مَع ذا له بشاني | فَدَته نفسي ، وإن قلاني
هذا ودرْياقُه شمْول | كانت ولا عهد للزَّمان
إذ لا ثواب ولا عقاب | أعدَّه الله في الجنان
ما صحَّ في العقل أين كانت | إلا بتصديق ما أتاني
لهوتَ عن شربها بخطب | أرق ليلي ، وكلّ عاني
يبيت مِما عراه صباً | ذا حُرَقٍ أوعَرَ المَكان
وشاعر قال قول حكم | وكلُّ شيء له معاني
أحسَنَ في وصفه ولكن | أكثَر من «نائى ودانى»
أنشدنيه فتى جواد | بنى له المجد خير باني

وقد ردَّ عليه محمد بن عبدالملك بقصيدته «ما غيَّر الربع والمغاني» وقد مرَّت وهي القصيدة رقم : ٦٧ .

وقال في الفضل بن سهل[١] : (البسيط)

قِفْ بالمنازلِ ، والرَّبُع الذي دثرا   فَسَقِّها الماء من عَيْنَيْكَ والمَطَرا[٢]
بَلْ ما بكاؤكَ في دار تَضَمَّنَها   ريبُ الزَّمان ، فأجلى أهلها زُمَرا
بلى ، وجدتُ البْكا يشفى إذا طرقتْ   طوارقُ الهمِّ إن سَحَا وإن دَرَرا[٣]
ما أحْسَنَ الصبرَ ! لو كان المحبُّ إذا   حَلَّت به نَوبةٌ من دَهره صَبَرا
كيف العَزاءُ ولم يترك له كبداً   يومُ الفراق ، ولم يترك له بَصَرا
مازال يُشعِلُ نـاراً في جوانحـه   ويُجشِم المُقلَتين الدَّمعَ والسَهَرا
يا دارُ دار الأُلى وَلَّتْ حُمولهُمُ   لو شِئتِ خَبرتِنا عن أهلكِ الخَبَرا
أين الـذين عَهدنـا لا نُحِسُّهُمُ   ولا نرى منهمُ عَيناً ولا أثَـرا
قاظوا ربيعَهمُ في خِصب باديةٍ   حتى اذا القيظُ وَلي آثروا الحَضَرا

---

١ ـ الفضل بن سهل : فارسيّ مجوسيّ . يقول الجهشياري : «نقل ـ الفضلُ ـ ليحيىٰ بن خالد البرمكيَّ كتاباً من الفارسية ، فقال له : أراك ذكيّاً ، فأسلمْ حتى أجد السبيلَ الى ادخالك في أمورنا . قال : نعم ، أصلح اللّه الوزير .. وأُدخِلَ الى المأمون وأسلمَ على يده . وأحبّ البرامكة .. ومات الرشيد ، واختلف الأمين والمأمون ، فقال الفضل للمأمون ، وهو معه في خراسان : إصبرْ وأنا اضمن لك الخلافة . فقال المأمون : قد فعلت وجعلتُ الأمر اليك ...»
ويقول الجهشياري : «إن رأس محمد الأمين أدخله ـ ذو الرياستين على تُرس بيده الى المأمون .. واستقامت الأمور ، وردَّ المأمون تدبير الدولة الى الفضل بن سهل» وسلّم المأمون نفسه ومملكته للفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل .
وابن الزيات ، وهو تاجر قبل ان يكون وزيرا ، مدح الحسن بن سهل ونال جائزته ويظهر انه أراد ان يرتفع الى الفضل بن سهل في قصيدته هذه .

٢ ـ تراه يسير بالقصيدة سيرة الجاهليين في السفر الى الممدوح ، في الحديث عن المتاعب التي لقيها ولقيتها ناقته . ولم نر في أخبار ابن الزيات أنه سافر الى خراسان ، أو أنه رأىٰ الفضل بن سهل .

٣ ـ السحُّ : الصبُّ والسيلان . وعينٌ سحّاحةٌ : صبّابة للدمع .

فقـرَّبوا كـلَّ شِمْـلالٍ مخيسـةٍ ... قد شذَّب النيُّ عن أصلابها الوَبرا[٤]

وكلُّ قَرْمٍ اذا الحادي أَرنَّ به ... سار العِرَضْنَةَ بعد الأين أو خَطَرا[٥]

يا حاديَ العيس لا تربع فإنَّ لنا ... بها لحاقاً ، قبيلَ الصُّبح أو سَحَرا[٦]

أَمَّمْ بلادَك ، إنَّا قاصدون لهـا ... ولو نزلتَ ببطن السِّيف من هجَرا[٧]

تقولُ والبينُ قـد شُدَّت ركـايبُه ... من شاء هذا لبينٍ أو [به] أمرًا[٨]

أحفَظْ مغيبي ؛ فإني غير غادرةٍ ... أما حفظتَ : «ولا حُسنى لمن غَدَرا» !؟

فقلتُ والعين ، قد جادتْ مسارُبها ... يكاد يمنعُ منها دمعُها النَّظَرا[٩]

أنتِ التي سمِتني سلم العُداة وقد ... يُسالم المرءُ أعداءً وإن وُترا[١٠]

لولاكِ لم تَسرِ الوجْنـاء في بَلَدٍ ... لم ألْقَ فيه ـ اذا استنصَرْتُ ـ مُنتَصِراً[١١]

بلا دَليل ؛ ولَا عقدٍ يُشَكُّ لهـا ... إلَّا تَعسُّفها ، والصارمَ الذَّكرا[١٢]

---

٤ ـ الناقة الشملال : الخفيفة السريعة . والمخيَّسة : التي حُبستْ ، ومنه قولهم : «فقمنا والركاب مخيَّسات» : أي محبوسة عن السير . والنيُّ : الشحم . وفي الأصل «الوترا» وهو سهو .

٥ ـ القَرْم : فحل الابل ؛ الذي تُرك للفحلة . أَرنَّ الحادي : صوَّت وصاح . وفي الأصل «العريضة» . ويقال : «مشىٰ العِرضنة» : إذا مشىٰ بنشاط وناقة عِرِضْنةٌ : تمشي معارضة بنشاط . والأينُ : التعب . وخطر في مشيته : سار بزهوٍ .

٦ ـ في الأصل : «يا حادي العين» . وربع في المكان : أقام .

٧ ـ السِّيف : ساحل البحر . وهجر : اسم لأرض البحرين ، ومنه المثل : «كمستبضع تمراً الى هجر» .

٨ ـ في الأصل : «يقول ... من شاء هذا البين أو أمرا» .

٩ ـ مَسْربُ الماء : مسيلُه . ومسارب العين : مجاري الدموع .

١٠ـ في الأصل : «سميتني ... الغداة» .

١١ـ الوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين ، أو هي الصلبة

١٢ـ اعتسف الطريق : مال وعدل ، أو خبطه على غير هداية . والصارم الذكر : السيف المتخذ من أيبس الحديد .

يا ناصرَ الدين إذ رثَّتْ حَبائلُه لأنت أكرمُ من آوى ومن نَصَرا[١٣]
أعطاك ربُّك من أفضال نِعْمته رياستين ولم تظلم بها بَشَرا[١٤]
لو كان خَلْقٌ ينال النجمَ من كَرَم إذَنْ لنالت يداك الشمسَ والقَمرا

إني شعرتُ فلم أمدح سواكَ ولم أعمِلْ الى غيرك الإدلاجَ والبكرا[١٥]
ما كان ذلك إلّا انني رجل لا أقربُ الورْدَ حتى أعرف الصَّدَرا[١٦]
إني متى أَظْمَ لا أَجهر براحلتي سَدْمَ المياه ، ولا أطرق بها الكدرا[١٧]
إلا مواردَ لا يلقى الغريبُ بها من دونها ذا يدٍ يُهدي له الحجرا[١٨]
إئت المياه التي تَسقي إذا طُرقَتْ عَذْباً ، وتستُر من ذي الفاقة العَوَرا
لم أمتَدحْكَ رجاء المال أطلبُه لكنْ لتُلبِسَني التَّحجيل والغُررا[١٩]

١٣ـ يشير الى أنّه آوىٰ المأمون في خراسان ، ونصره على الأمين في الحرب .
١٤ـ لقّبه المأمون بذي الرياستين : رياسة السيف ورياسة القلم .
١٥ـ الدَّلج : السير من أوّل الليل . والبكرة بالضم : الغُدْوَة .
١٦ـ في الأغاني : «ليس ذلك» وفي الأغاني أيضا : «لما مدح الحسن بن سهل ـ مرَّت قصَيدته ـ ووصله بعشرة آلاف درهم ، مثل بين يديه ، وقال :
لم أمتدحك رجاء المال أطلبه لكنْ لتُلبسني التحجيل والغررا
وليس ذلك إلا أنني رجلٌ ....
وعندنا ان ابن الزيات قد تمثل ببيتيه هذين من قصيدته في الفضل لمناسبة المقام ، وكثيراً ما يفعل الشعراء هذا .
١٧ـ أجهر : من جهر الأرض : سلكها بغير معرفة . والسدم من الماء : المندفن ، أو المتغيّر الطعم لطول مكثه .
١٨ـ الجحرا : من قولهم : انتشرت جحرته : اي كثر ماله .
١٩ـ الحجل : بياض في قوائم الفَرَس كلّها . والغُرَّة : بياض في الجبهة . والغُرر من المال خياره ، وواضح قوله في أنه لا يريد المال بقصده هذا . وابن الزيّات غير صادق في هذا ، وستأتي أبياته في طلب الصلة أو العطيّة .

إليكَ أعملتُها تدمي مناسمُها ... من مسحها المَرْوَ والكَدّان والبَهَرا[٢٠]
لم يُبقِ من نيها عضُّ النُّسوع بها ... ألا تَعَسُّفها والناظِر الحَذِرا[٢١]
تَخدِي على ثَفِنات يرتَمين بها ... إذا المطيُّ وَنى لم تعرف الخَوَرا[٢٢]
لأياً انيختْ قليلاً ثم ازعَجَها ... حادٍ إذا ماونى أمثالُه انشَمَرا[٢٣]
في مَهْمَهٍ لا ترى عينُ البصير به ... إلّا حواسَرَ صَرْعى غُودِرَت جزرا[٢٤]
يعضُّ من هَوْلهِ الحادي بإصبعه ... ويجعل الماءَ دون الزّاد مُدخَرا
حتى أنيخَتْ بأعلى الناس منزلةً ... عند الإمامِ وأعفاهم إذا قَدِرا
هو الذي فُقِئت عينُ الضلال به ... لمّا تفاقم أمرُ الناس وانتشرا
مازال يُلحِقها ضرماً مُضرمة ... في حومة الموت حتى استنتج الطهرا[٢٥]
قاد الأعادي كُرْهاً خاضعين له ... حتى أَمَرَّ على ما ساءه المِررا
أبدى محاربةً ، ثم انبرى لهُمُ ... بالمَكر ان ابن أم الحرب مَن مَكَرا
ساقَ الكتائب مِن مَرْو فأوردها ... بطن السواد يجر الشوك والشجرا[٢٦]

٢٠- المناسم : جمع المنسم ، وهو طرف خفّ البعير . المرو : الحجارة الصلبة ؛ تعرف بالصوان . والكدان : الحجارة الرخوة . والبُهرُ : ما اتسع من الأرض .

٢١- النسوع : جمع النسع ؛ وهو سيرٌ أو حبلٌ من أدَم يكون عريضاً تشدّ به الرحال .

٢٢- خدى البعير يخدى : أسرع وزجّ بقوائمه . والثفنات : جمع الثفنة ؛ وهي من البعير ما يقع على الأرض إذا استناخ .

٢٣- في الأصل : «أتيحت» وانشمر : مرَّ مسرعاً مختالاً .

٢٤- المهمه : المفازة البعيدة . والجزر ؛ من قولهم : اجتزروا في القتال ، وتجزّروا ، وتركوهم جَزَراً للسباع أي قطعا ، وحسر الرجل والدابة : تعب وأعيا .

٢٥- في الأصل : «صرماً مصرَّمة» وضرم : احتدم غضباً . وضرمت النار : اشتعلت . وأضرمها وضرَّمها واستضرمها : أوقدها فاضطرمت وتضرَّمت

٢٦- مرو : بلد بخراسان ؛ كان المأمون وجّه جيوشه منها الى بغداد لحرب الأمين ، ثم اتخذها عاصمة في أول خلافته . والسواد : العراق . ويجر الشوك ، كأنه نظر فيه الى قول بشّار بن برد :

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا ... وبالشوك والخطّيّ حمرٌ ثعالبه

حتى أحَلَّتْ بدار الملك داهيةً ... شاب ابنُ عشرين منها واشتكى الكِبرا[٢٧]

وابتزَّتِ الناكث ، المخلوع بزّته ... وأوطأته بساطَ الذلّ مُقْتَسرا[٢٨]

وفرَّقت بين ذي زوجٍ وزوجته ... وأنستْ أُمّاً طُفَيلَيها ، وإن صَغُرا[٢٩]

من كُل سابحةٍ أو سابحٍ عَنِد ... نهد مراكُلُه مِن بعد ما ضمرا[٣٠]

يَظَلُّ من وقع أطراف الرماح بها ... كأنّ فيها إذا استعرضتَها زَوَرا

لا يتَّقي الطَّعن إلا أنْ يَصدَّكما ... صَدَّت كريمةُ قومٍ أُسمِعَتْ هجرا[٣١]

قُبُّ خفاف العُجى تبلى فوارسها ... قد صَيَّر الطعنُ في لَبأَّتها وقرا[٣٢]

بكلِّ أروعَ خَطَّار بشكته ... في كفِّه صارم يُفْرى به القَصرَا[٣٣]

لا يطعنون اذا جالتْ خيولُهُم ... إلا الحوافر ، واللَّبات والثُغَرا

كم قد تداركْتنا من قعر مُظلمةٍ ... وكم جَبَرْتَ كسيرَ العظم فانجَبَرا

وكم سَنَنْتَ لنا في الخير من سُنَنٍ ... أمثالها ما علمنا تُنبتُ الشَّعَرا

أنتَ المُدَبِّرُ لولا ما تداركنا ... من يُمن رأيك كنا للرَّدى جزرا[٣٤]

لم يشكر الفَضْل كُنْه الشكر إنَّ له ... فضلاً يُضاعف أضعافاً إذا شَكَرا

لا يجمع المالَ إلّا ريث يُتلِفُه ... ولا يُزَهِّدُه في العُرف من كَفَرا[٣٥]

٢٧- يشير الى الحرب بين الأمين والمأمون ، وما حلَّ ببغداد منها .

٢٨- الناكث المخلوع : يعنى به الخليفة الأمين . الذي نكث العهد وخُلع .

٢٩- في الأصل : «طفيلها» ولا يستقيم بها الوزن .

٣٠- السابح : الفرس السريع .

٣١- في الأصل : «لا يبقى .. إلّا أن تصدَّ» وهجرا : من قولهم نطق بالهُجر : أي بالفحش .

٣٢- قب : جمع أقب ؛ وهو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . والعجىٰ : الجلود . واللبَّة : موضع القلادة من الصدر .

٣٣- الشكّة : السلاح . ويفرى : يشق . والقَصَر بفتحتين جمع القصرة ، وهي أصل العنق .

٣٤- جزرا : من قولهم : اجتزروهم في القتال : تركوها جَزَراً أي قطعاً للسباع .

٣٥- في الأصل : «في العرق» .

لا يقطع الأمرَ إلا من مفاصلِه سِيانِ ما غابَ منه عنه أو حَضَرا[٣٦]
كُنَا نقولُ ألا [يا] ليتَ باقينـا والحيُّ منَّا كمثل الميت إذ قُبرا
فالأرض بالذر من طيب الزمان لنا تقول ياليت أنَّ الميت قد نُشِرا[٣٧]
ياليتَ أنَّا نَقيه السوءَ أنفسَنـا بل ليتَ أعمارَنا كانتْ له عُمُرا[٣٨]

٣٦ـ في الأصل : «شتّان» وما أثبتناه أنسب .
٣٧ـ الذرّ : من ذرَّت الأرضُ النباتَ : أطلعته .
٣٨ـ في الأصل : «نفيه» والسهو واضح .

- ١١٢ -

وقال أيضا : (البسيط)

يامَن يُمازحني في الهَزْلِ بالغَضَب فَرِّقْ فَدَيتُك بين الجدِّ واللَّعِب[١]
إذا اصطلحنا مُنحنا بالصدود فما تَنفَكُّ من غَضَب يُفضي إلى غَضَب[٢]

١ ـ في الأصل : «يا من يمان حنى» .
٢ ـ في الأصل : «من حنا» .

- ١١٣ -

وقال : (الكامل)

أَخْنى عليَّ الدهرُ كَلْكَلَهُ ... وعدا [على] عيشي فَبَدَّلَهُ

وكأنَّما جهدتْ أَلِيَّتُه ... أنْ لا يرى خيراً فيفعلَهُ

ما إنْ يزالُ يُجِدُّ داهيةً ... تحدو بها نحوي رواحِلُهُ

وينوبني منه بمعضِلَةٍ ... يرمي بها جسمي ليُنْحِلَهُ

فإذا رتَقْتُ الأمرَ بادره ... بالفتق إصراراً وعاجلُهُ

لو كان يُعقِبُ مرَّةً فَرَحاً ... ويسوءُ أخرى لاحتملْتُ له

وَلَخلْتُ منه ذاك فائدةً ... لكنْ أَبىٰ إلاّ تحامله

فَلَئنْ ذَمَمْتُ العيشَ آخرَه ... فلقدت حَمِدْتُ العيشَ أوَّلَهُ

لِلهِ أوّلُنا وآخرُنا ... ما كان أَجْوَدَهُ وأَعْدَلَهُ

ياليتَ هذا كان أوّلنا ... يعدو لآخرنا فيقتله

---

١ ـ في الأصل : «اضنا .. وغدا» .

وقال أيضا : (الرجز)

أبكى الفتى بعد الخليط مرْبَعُه وكاد وجْدُ القلب منه يَصْرَعُه
حتى جرى جَرْىَ الجُمانِ أدْمعُه والحبُّ داءٌ عاجلاً سيصرعُه
طال البكا ، لو أنَّ ذاك ينفعُه من حبٍّ من يقنعها وتقنعُه
أولعها اللهُ به وَأَوْلَعَهُ فليس يجفوها وليست تقطعه
ليست كمن يخدَعُها وتخدعُه يُطمِعُها بباطلٍ وتطمعُه
لكنْ لها منه الوصالُ أجمعُه فمضجع مضجعها ومضجعه
يرفعها طوراً وطوراً ترفعه يحشرها اللهُ إذا ماتت معه

وقال : (الكامل)

هل أنت صاح أو مراجعُ صَبْوَةٍ أم أنت فيما بين ذاك تُفَكِّرُ
لابل أظنُّكَ قد جَنْحتَ إلى الصبا واذا صبوتَ فليس مثلُك يُعذَرُ
إني حَدَستُ ، وقد نظرتُ بفكرةٍ ولعلَّ ما أخطي اذا ما أنظُرُ

وقال أيضا : (الرمل)

اْصبر النَّفْسَ على مرِّ الحَزَنْ وإذا عَــزَّك مَن تَهْـوى فَهُنْ
فلعـلَّ الـوصــلَ يـأتي مــرَّةً فكــأنَّ الهجْــرَ شيء لم يكُنْ
أنا ، لا واللهِ ، ما حلتُ ولا كان منيِّ في الهوى إلاَّ الحَسَنْ
ولقــد تــزعُـمُ أنــي خُنْتُــهــا ونَقَضْتُ العهدَ ، لا كنتُ إذَنْ

- ١١٧ -

وقال : (الوافر)

أباحَ الدَّمـع سِراً لم أبُحْـهُ فـدمـعي آفتـي لا تظلمينـي
فما ذنبي إذا كانتْ دموعي تُعـينُ عـليَّ أسبـابَ المنـونِ
إذا ظنَّ الجليسُ ببعض مابي نَصَبْنَ لعينِـه وجـه اليقـين
ونُـرمىٰ بالظُّنـون اذا التقينـا فتكشف لمحتي لُبْسَ الظُّنـون

- ١١٨ -

وقال أيضاً : (الطويل)

لَعَمْري لقد قَرَّتْ عيونٌ رأيتُها ... ولكنَّ عيني لم تُمتَّعْ من النَّظر

إذا سَخِطتْ أوْمَتْ إلى الدهر بالذي ... تحاوله فيَّ فلم يَعصِها القَدَر

ولا عيبَ إلَّا أنَّها بَشَريَّةٌ ... فلولاه كانت ثالث الشمس والقمر[١]

لئن كان أشقى الله قوماً بحبِّهم ... فقد أسعدَ اللهُ المحبَّ إذا قدر[٢]

---

١ ـ في الأصل : «ولا عيت» .

٢ ـ في الأصل : «يجهّم» وما أثبتناه أنسب .

- ١١٩ -

وقال أيضاً : (الوافر)

فَدَيتُكِ ، قد كففْتُ عن العِتاب	لما حاذرتُ من سوء الجواب
ولم أرَ حيلةً تُجدي لنفعٍ	لديكم غيرَ صبري واحتسابي
وأَعْملْتُ الأَماني فيكِ حتى	كأنِّي قد ملكتُكِ في الحساب
أُعاتَبُ في الهوى ، وأقَلُّ وَجْدي	بمنْ أَهوى يَجل عن العتاب !؟

وقال أيضا : (الطويل)

وَلَيلٍ كلونِ الطَّيْلَسانِ سَرَيْتُه على بطْن خَوْد بَضَّة المُتَجَرَّدِ[١]
جزوعٍ على الإدلاجِ أَعجَلُ سيرها الوقوفُ ، إذا استعجلتُ والضمُّ باليدِ
بقولُ ، ويشكو الأير : أتعبني السُرىٰ وأنصبني قطعُ الفراش الممهد
أجدُّ ، ومالي حاجة حين أَسْتَوى عليها ، سواها بالنجاء العَمَرَّد[٢]
إذا أعْمَلَتْ في السير ، كان خطامها التثامي ، بما يشفى بريقَته الصَّدى
أَخُبُّ عليها ، وهي تحت مَقَرِّه وَأرقُدُ منها بين بَطْنٍ ومجسد[٣]
حواريَّةٌ ، زين النِّقاب انتقابها وإن سَفَرَتْ فالشمس وافتْ بأسْعَد[٤]
وإنْ قَعَدت زان القعودَ قعودُها وإن تمشِ لا يعدمْكَ حُسْنُ التأوُّد[٥]
فهاتيك أقرى طارقَ الهمِّ ، لا التي تَروحُ بأحناء الرِّجال وتَغتَدى[٦]

١ ـ الطيلسان : كساء يلبسه خواص العلماء ، لونه أسود مغبرّ . والطيلسان : الأسود ، ومنه قولهم : «طلسَ البصرُ : ذهب . وطلَّس الكتابة : محاها . والخود : المرأة الشابة والبضَّة : الرخصة الجسد ، الناعمة

٢ ـ العمرَّد السريع الشديد

٣ ـ أخبُّ من خبَّ الفرس : راوح بين يديه ورجليه ؛ أي قام على هذه مرةً وعلى الأخرىٰ مرة والمجسد القميص يلي البدن .

٤ ـ في الأصل «حوارية رين التفات» الحواريَّة : الحضريَّة ؛ سُميتْ بذلك لبياضها . والحواريات نساء الأمصار . والسَّعْد : اليُمْن ؛ وهو نقيض النحس .

٥ ـ في الأصل «نران» . والتأوّد : الانعطاف .

٦ ـ في الأصل «بأحناء الرجال» والسهو واضح ، ويريد أنه بهذه الحواريّة ، لا بالناقة ، يقرى طارق الهمّ .

فداءٌ لوصف الحُور ، وصفُ ابن ناقة ويفدى الحلا لحنَ الغريض ومعبَدِ[7]
وتَفدى لنا في جانب الكرخ منزلاً رُسـومٌ وأطلالٌ ببـرقـة ثهمـد[8]
أَلَمْ تَرَنَي أعْملتُ نفسي في الصِّبى ولا أَتَـوَقَّى اليـومَ نـائبـةَ الغَـد
أعاذلَ ! لا أدْعى المقَصِّرَ في الصِّبى ولا أتوقَى اليوم نـائبة الغَـد[9]
أعاذل لم أبلُغْ ـ فأصحو وأرتَدِعْ ـ أَشدِّى ، ولا ، ما جاوز النصف مَوْلِدي[10]
لَعَلِّي إذا جاوزتُ خمســين حجَّةً وَعشْراً ، وتسعاً ، بعد حول مُجرَّد
أُراجِـعُ سُلـوانـاً ، وإني لخـائفٌ فإن حقَّ خوفي فالثمانون موعدي[11]

---

٧ ـ الغريض : هو المغنّي المشهور ، اسمه عبدالملك ، ولقّب بالغريض لجماله ، وهو من مولدي البربر ، وأشهر المغنيين في صدر الاسلام . ومعبد : هو معبد بن وهب ؛ نشأ بالمدينة وانتقل الى الشام ، وكان أشهر مغن في عصره . أخباره في الأغاني ١/٣٦ ـ ٥٩ ط : دار الكتب المصرية .

٨ ـ الكرخ : جانب بغداد على نهر دجلة ، والجانب الثاني هو الرصافة . ويشير بالشطر الثاني الى قول طرفة في معلّقته :

لخـولـة اطـلال ببـرقـة ثهمـد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

٩ ـ هكذا ورد الشطر الثاني مكرراً في هذا البيت .

١٠ـ بلغ أشُدَّه : أي قوّته ؛ وهو ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين سنة ، وهو واحد جاء على بناء الجمع .

١١ـ لعلَّه قُتِلَ ، رحمه اللّه ، قبل أن يبلغ هذه السنّ التي أرادها .

وقال أيضاً : (البسيط)

يامَن رأى صورةً فاقتْ على الصُّور يا مَنْ رأى قَمَراً أَبهى من القَمَرِ
تُخيلَتْ حاسِراً ، حتى إذا حَسَرَتْ قال الصُّدُود لها : «يا هذه استتري»
فـأبرزتْ ردنـاً وارت محـاسنَهـا بفضله، وأزاحتْ عازب الخصر (؟)
نامتْ ، وبتُّ أُراعي النجم مرتَفقاً يا نوم حَمَّلْ ، أما استَحييتَ من سهري[1]

---

١ ـ في الأصل : «مرتفعاً» ومرتفقاً : من ارتفق : اتكأ على مرفق يده ، أو على المخدَّة
وأجمل في العمل : أحسن ، وأجمل في الكلام : تلطَّف .

وكتبَ أبوالمستهل[١] الى محمد بن عبدالملك أبياتا فأجابه محمد (البسيط)

لا أشتكـي هـوايَ إلّا إليـكَ لـو ينفَـع التَّشكّي
آليتُ جَهْـدَ اليمـين أنْ لا أزولَ إلّا إليـكِ عَنـكِ
كَلَّفْتِني الشِّعْـرَ في طـريقِ وَعْرٍ قليلِ الأنيس ضَنْك[٢]
فَـرَغْتِ لي في إسـارِ قلبي ثـمَّ تشـاغَلْتِ عنـد فَكِّي

١ ـ أبيات أبي المستهل ، كما وردت في المخطوطة ، هي :
يقـول لمـا جـعلـتُ أبكـي سلـوه : مِـمَّ أراه يبكـي !؟
فقلـت : أبكـي لمـا أراه عمّـا قليـل يكـون منـك
قـالت : أتخشىٰ ؟ فقلت : مـالي قلـب عـلى الـدهـر يـأتمنـك
قـالـت : فمـاذا اذاً علينـا ؟ فقلـت : أُدخلـتُ بحـر شـكّ
لا غـرّني اليـوم منـك ودّ ؟ قـالـت : ولا غـرَّني التبكّـي
٢ ـ في الأصل : «وعن قليل» .

وقال : (الخفيف)

ليت شِعْري ، وذاك [عندي] عيبٌ كيف يحيا مُباعَدٌ مهجورُ
عاقَبتْني على الذي اجتَرَمَتْهُ وَتَوَلَّتْ ، وذنْبها مغفور
جعلتْ بيننا الوصالَ ونادَتْ باختيالٍ : يا هجرنَا منصور
لو بنا قوةٌ سَعينا عليها كيفَ ، والقلبُ عندها محصور !؟

وقال أيضا : (الطويل)

أتيحَ - من الحين المُتاح لقلبه - ثلاثةُ أنواع وآخر رابعُ[١]
فِراقٌ وهجرانٌ وليلٌ كأنَّما تُجاذِبُه الإصباحَ أيدٍ نَوازِع
وإني متى أنظُرْ إلى مَن أحِبُّه اشارتْ من الأعداء نحوي الأصابع
فلا البينُ مأمونٌ ، ولا الهجر مُبْعدٌ ولا يَفتُرُ الواشي ، ولا الصبح ساطع

---

١ - الحين : الهلاك والمحنة .

وقال أيضاً : (الخفيف)

انفِ بالخمر نَعْسَةَ المَخمور واسقِ يحيى كبيرنَا بالكبير[١]
من سُلافٍ تُدير طَوْقاً من الدُّرْ ر عليها مفصَّلاً بشذور
عَمرتْ والزمانُ في حِجْر أم فَضَّلتها بالبرِّ والتوقير
فدَّمتها المرابيات من الدَهْـ ـرِ فأبقت قليلة من كثير[٢]
لستُ في وَصْفها ببالغ شيءٍ غيرَ أني أقرُّ بالتَّقصير[٣]
فإذا الكأسُ أقبلتْ فبنَوْعَيْـ ـنِ سُلافٍ مُعَتَّقٍ وسرورِ
غيرَ أنَّ السُّلافَ تُبصِرُهُ العيَـ ـنُ وهذا يُرى بعينِ الضَّمير

١ ـ كأنه نظر فيه الى قول المنخّل اليشكري :

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير

٢ ـ في الأصل : «قدمتها» وفدَّمتها : وضعت عليها الفِدام ، والفِدام : المصفاة ؛ يقال . إبريق مُفَدَّم كمعظّم : عليه مصفاة .

٣ ـ في الأصل : «يثنى» .

وقال : (المنسرح)

ما أعجبَ الحبَّ في مذاهِبه ... ما يَنقَضي القولُ في عجائِبه

يُفسِد ذا الدِّين بعد عِفَّتِه ... ويُذْهِل المرءَ عن مآربه

الحبُّ نارٌ ولا خمود لها ... تترك ذا اللُّبِّ جدّ عازبه[1]

ثمَّت تَرْفَضُّ في مَفاصِله ... فتُشعِل السُّقمَ في جوانبه

ليس أخو الحبِّ من يَمَلُّ ولا ... مَنْ يَطرَحُ الحبلَ فوق غاربه

يأخذُ منه الذي يطيب له ... غيرَ صبور على نوايبه

لم أرَ داءً ، ولا دواءَ له ... إلّا وفي الحبِّ ما يقاس به

سائلْ عن الحبِّ من تضمَّنَه ... ما شاهِدُ الأمرِ مِثْلُ غايبه

ما جرَّب الحبَّ فوقها أَحَدٌ ... إلا رأى الموتَ في تجاربه

ولا رأى الموتَ في تجاربه ... إلا فتىً مُخلِصٌ لصاحبه

انْظُرْ إلى المؤمن الذي اجتمعت ... أَلْسِنَةُ الناسِ في مناقبه

من بَعد سجَّادةٍ مركَّبةٍ ... تلوح للعين فوق حاجبه

ولحيةٍ كالمِجَنِّ وافِرَةٍ ... أليقُ شيءٍ بحفِّ شاربه

لا يرفع الطَّرْف في السماء من الإ ... شْفاقِ والخوف من مُحاسبه

أُتيح للحَين والقضاء له ... مَنْ قَصَّرت عنه كفُّ طالبه[2]

آنسكب الحسن فوق جبهته ... فمرّ يَجرْي إلى ترايبه

ثم توافى إلى أظافره ... فانطمَسَتْ ثمَّ عينُ عايبه

ثم أعادت عليه ثانية ... فثبَّت الحسن كفُّ ساكبه

فالحسن فيه مضاعَف وله ... شيمَةُ بُخْلٍ على مُطالبه

لم يخلقِ اللهُ مثلَه أحداً ... في مَشرق الأرض أَو مغَاربه

---

١ - في الأصل : «ولا جمود لها» .

٢ - الحين : الهلاك والمحنة .

كأنه دُمْيَةٌ مُصَوَّرَةٌ … يعبُدُهَا القَسُّ في محاربه

صوَّرها راهِبٌ وزخْرَفَها … فابتَزَّها القَسُّ دون راهبه

تنازَعاها كلاهما حَنِقٌ … يَفْقَأ بالسِّن عينَ صاحبه

وأجلَبَ القسُّ أهل بيْعَتِه … وجاء يختال في كتايبه

فصانَها دون ما حَوَتْ يدُه … من جُلِّ مالٍ ومن رغايبه

يَسْطو علىٰ أهل بيعته … كَسَطْو كسرى على مرازبه

تبكي ابن عبَّاد، إنَّ له … فضلاً سأُبديه غير كاذبه

في لفظهِ غنَّةٌ يخال بها … دُراً جرى من سلوك ثاقبة

إذا علا موضع الحقاب وقد … ضمَّ يديه على مناكبه

واهاً له مَركباً لراكبه … لا خَيَّبَ الله سَعْى جالبه

وقال أيضاً : (الوافر)

أأحيا بعدَ صدك إن عُمري لَعَمْرُك - بعد ذا - عُمْرٌ طويلُ
بُليتُ علـى مُطـاوَلَـة اللَّيـالي وحُبُّـك ما يمَـحُّ ومـا يَـزول
رأيتُك قد عقدتَ على جفائي كـأنَّ زيـارتـي ذنبُ جليـل
سِهـامُ المـوتِ مُقبلـةٌ وإني أرى أنـي لأوَّلِـهـا قَتيـل

وقال : (الكامل)

يا ظالماً نَحَل الإســاءَة غيرَه ... إني لذاك وإن عَنَفْتَ لَقابلُ[١]
أمّــا اللِّسانُ فمنِصفٌ مُتَبـدِّلٌ ... وضميرُ قلبك فيه داءٌ داخِلُ
فإذا نطقتَ خَصَمتَني فكأنني ... لك قاطعٌ حَبْلاً ، وأنت الواصِلُ
بــاللهِ ربِّــك هل يَسرُّك أنَّني ... أصبحتُ مقتولاً ، وأنت القاتِلُ

---

١ ـ في الأصل : «يخلّ» ولا نراها تستقيم .

- ١٢٩ -

وقال من قصيدة : (المتقارب)

وصَـــهبـــاءَ كـــرخيَّـــةٍ عُتِّقَـــتْ فطالتْ بها في الدِّنان الطِّيَلْ[١]
فلم يبقَ منهـا سوى لـونها ونكهـــةِ ريــح بهـــا لم تـــزلْ
كـــأنَّ خيـالاً لـــدى كـأسِهـــا يَدقُّ عن الطَّرف ما لم يجُلْ
فإنْ جالَ قلتَ سرابٌ جَــرَى على جانبِ الكأس ، لا بَلْ أقلْ
تُسَمَّى وليس لهـــا في اليقيـــــــين معنى وجودٍ عليها يَــدُل
فلـــولا الـــدَّلالـــةُ عَنْ ريحِهـــا لضلَّت ، ولكن أبَتْ أن تَضِل[٢]
تـــرَى بالتَّـــوَهُّم لا بـــالعـيـــــا نِ وتُشرَبُ بالقَولِ لا بالعَمَلْ[٣]
كفـــاني مِنْ ذَوْقِـهـــا شَمُّهـــا فـــرحتُ أُجـــرُّ ثيـــابَ النَّمِـــلْ

---

١ ـ الطّيلة بالكسر : العُمر ؛ يقال في الدعاء : «أطال اللّه طيلته : أي عُمره .

٢ ـ في الأصل : «فلو لا الدلالامن» والسهو في النسخ واضح .

٣ ـ في الأصل : «... ولا بالعيان ويشرب ..» . وانظر كتابنا في هذه المعاني : «تطوّر الخمريات في الشعر العربي» .

وقال : (البسيط)

شاقَ الفؤادَ - وما نشتاق من أمَم - أطلالُ مَنْزلةٍ أقْوَتْ ولم تَدُمِ
هي الخَيالُ الذي أهدى لنا سَقَماً إذ زارنا وغدا خِلْواً من السَّقمِ
ما زارك الطَّيفُ من بر تَعرّفه لكنْ تَمَنِّيكهُ أهداه في الحُلُمِ
بتنا ، وبات يُمَنينِّا ويؤنِسُنا بُخْلاً علينا ، ولَمّا يؤتَ من عَدَمِ
لو دام ذلك لم نَطْمَحْ بأعيننا إلى سواه ، ولكن ذاك لم يَدُمِ
قد هاجَ لي بُكراً ممن بُليتُ به حمامتانِ على غُصْنٍ من السَّلَمِ
تَناوحانِ بِنَغْماتٍ يَهيجُ لها قلبُ الفتى ، وهو عمّا تعنيان عمي[١]
يا مَن رأى عَرَبّي اللفظ هاج له حُزناً ، فقال عليه نايح العَجَمِ
لا شيءَ أعجبُ منْ قتلي بلا تِرَةٍ متى أُقاد بها كانت ولا تدم[٢]
ياذا الذي خان عهدي إذْ وَثِقْتُ به قد كنتَ عندي أميناً غَيْرَ مُتَّهمِ
أَطْمَعْتَني في الهوى حتى إذا سمحتْ نفسي ، مُنيتُ بِحَبْلٍ منك مُنصَرمِ[٣]
صَدَّقتَ فيَّ أقاويلَ الوُشاةِ ولم تَسمعْ مقالي في عذري ، ولا كَلمِي
ومجلسٍ نظرتْ عينُ السرور به إلى النَدّامى بألوانٍ مِنَ النَّغَمِ
ظلَّتْ عليه سماءُ اللَّهو هاطِلةً بالسَّكب من قطرها ، والوَبْل ، والدِّيَمِ
ثابَتْ إليه من اللَّذاتِ ثايبةٌ وقد أُمِيطَ الأذى عنه فلم يَقُمِ
ظلَّتْ أباريقُنا للكأسِ ساجِدةً فيه كما خَرَّت الكُفَّار للصَّنَمِ

---

١ - في الأصل : «يهيج لنا يعنيان»

٢ - الترة : الذحْل ، أو الظلم فيه ، والموتور : من قتل له قتيل ، ولم يدرك بدمه . وفي الأصل : «متى أفاد» وهي من سهو الناسخ . وأقاد : من قاد القاتل بالقتيل : قتله . والقَوَدُ : القصاص ، وقتْلُ القاتل بدل القتيل .

٣ - في الأصل : «أطعمتنى » وهي من سهو الناسخ .

وقال : (الطويل)

وإني لألقـاهَـا فينطِقُ طَـرْفُهـا لطرفي بما يخفي ، وإن لم تَكَلَّمِ
وتبخَـل عنّي بـالسَّـلام وعينُهـا تُشير به نحوي ، وإنْ لم تُسَلِّمِ
بنفسيَ إنسانٌ ، إذا غابَ لم أَزَلْ ألاحِظُ عَيْنَيْهِ ، بعيـن التَوَهُّـمِ
سُرورٌ وحُـزنٌ فيـه يَعْتـوِرانني فـأقطعُ يـومي بالبُكـا والتبسُّمِ

- ١٣٢ -

وقال أيضا : (الكامل)

بَعُدَ القريبُ ، وأعَوز المطلوبُ وعَدَتْكَ عنه حوادثٌ وخُطوب
ومُنيتَ من بُعْدِ الحبيب بعاذلٍ يلحى ، ويَعْجَبُ أنْ يحنَّ كئيبُ
قالوا : أساءَ حبيبُه ، فأَجَبْتُهم إن الحبيبَ وإنْ أساءَ حبيبُ
إن المُحبُّ وإنْ أقام بأهْله ما لم يكنْ فيمن يُحِبُّ غريبُ

وقال أيضاً : (الرمل)

لم يَعُدْ ذكراك ، لكن لم يبنْ إنّمـــا يحـــدث شيء لم يكنْ
لستَ بـالـمـذنب فيمـــا بيننـــا إنّمـــا بـاعَـدَنـا ريبُ الـــزَّمَنْ

وقال أيضا : (الطويل)

ألَا مَنْ عَذيرُ النَّفس مِّمنْ يلومُها على حُبِّها جهلًا ، ألا مَنْ عَذيرُها[١]
تذكَّرت أياماً تَولَّ سُرورهُا فدر لَعيني عند ذاك دَرُورُها[٢]
فبتُّ كأنِّي بالنجوم مُوكَّلٌ أقلِّبُ فيها مُقْلَتي وأُديرُها
كأنَّ بنات النَّعْشِ باسط كفِّه - وقد مدَّ كفاً للسؤال - فقيرُهَا
كأنَّ الثُريا في الدُّجَى واجتماعها عِصَابَةُ طَيْر فَزَّعَتْها صُقورُها
يخال بها النَسْرُ الذي هو واقعُ أثافيَّ لم يُنْصَبْ عليها قُدورُها[٣]
ألا يالَهَا من ليلةٍ حار نَجْمُها وغابَ الكرىٰ فيها وطال قصيرُها[٤]
تذكَّرْتُ أياماً تَولَّتْ حميدةً فعاد لنفسي بَثُّها وزفيرُها
ليالِيَ كانت مَنْ تحبُّ أميرةً عليكَ ، ومولاةً ، وأنت أميرُها[٥]
وكانت أسيراً في وثاقك ينتهي إلى كلِّ من تهوى وأنت أسيرها
فأعقبتُ أَياماً جرت بمساءَتي قر[يبة بؤس] واستشاط غيورها
وفي الصدر منّي غُصَّةٌ لا أُحِيرُهَا وفي الصدر منها غُصَّةٌ لا تحيرُهَ
دهاني وإيّاها العُداةُ فأصبحتْ وقد أُسْبِلَتْ دوني عليها ستورُه
وكانت وأبوابٌ لها خمس عشرة تطول عليها ليلة لا أزورها

---

١ - في الأصل : «... ألا من عذرها» .

٢ - درَّ الدمع : سال ، ودرَّت السماءُ بالمطر درّاً ودُروراً .

٣ - في الأصل : «الذي هو دافعُ...» والنسر : واحد النسرين ؛ وهما كوكبان ؛ يقال لأحدهما : النسر الواقع ، وللآخر : النسر الطائر .

٤ - حار السحاب : لم يتجه الى جهة . وحار النجم : بقى في مكانه . وفي البيت نظر الى قول جرير :

أبدِّل الليل!؟ لا تسرى كواكبه أم طال حتى حسبتُ النجمَ حيرانا

ومعلوم ان العرب كانت تقيس الليل بالنجوم وبتغيّر مواقعها .

٥ - في الأصل : «من يحب ...»

وكنت أثيراً عندهن يَـرَيْنَني كتفَّاحَةٍ قد فُضَّ فيها عبيرُها
وكانت علاماتي إليها تَنَحْنُحي ويُنذِرها من حسّ نعلي صريرها[٦]
وكانت إذا ما جاء غيري تسترّت وكان لديَّ بذلُها وستـورُها[٧]
فأصبحتُ أَرْضَى بالقليلِ وربّما طلبتُ فلم يعسُرْ عليَّ كثيرُهـا
وأَعزِزْ عليها أن تكون إشارتي إليها بطُهرٍ لا يُجاب مُشيرُهَا
تطـاولَتِ الأيـام منـذ رأيتُهـا فكانتْ عليَّ كالسنين شَهـورها
ولو أنَّ ما ألقَى من الوجد ساعةً بأجبالِ رَضْوَى هُدَّمنها صُخُورُهَا[٨]
ولو أنَّ ما ألقىَ من الوجد ساعةً برُكْنَي ثَبيرٍ ما أقامَ ثَبيرُها[٩]
ولو أنَّني أدْعىٰ لدى الموتِ باسمِها لَعادَ لنفسي ـ باذن ربِّي ـ نشورُهَا
أُعَلِّلُ نفسي بالأمـاني مخافـةً عليها إذا ما الْشوقُ كادَ يُطيرُها
وأدعو ـ إذا ما خفتُ أنْ يغلبَ الهَوَى عليها ـ غرامي باسمها أستجيرُهَا
فإنْ تكن الأيام أغشتك نقمة فقد أدبرت أعجازها وصدورها
وإنّي لآتي الشَيْءَ من غير علمها فيخبرُهَا عَنِّي بذاك ضميرُهَا[١٠]
وقد زعمت أني سمحت لغيرها بوصلٍ ، ولا والبُدْنِ تَدْمي نحورُهَا
وربِّ المنايا لا أُميلُ زيارتي إلى غيرها أُنثى ، ولا أستزيرُهَا
ولكنَّني كنيَّتُ عنها بغـيرهـا مخافَةَ عينٍ لا ينام بصيرُهَا[١١]
عـليَّ نذورٌ جَمَّـةٌ في لِقـائِهـا فليتَ نذوري أوجبَتْ ونذورها
أما مِنْ مُشيرَ ـ سدَّدَ اللهُ رأيه ـ يرى أنَّ فيها حيلةً لا يضيرها

٦ ـ في الأصل : «يعلى ضريرها» .
٧ ـ في الأصل : تسيَّرت» .
٨ ـ رضوىٰ : جبل مشهور بالمدينة المنوّرة
٩ ـ ثبير : جبل بظاهر مكّة المكرّمة .
١٠ـ في الأصل : «... فتخبرني عتّي ...»
١١ـ في الأصل : «عبّيت ...» .

وقال : (البسيط)

ما أَسْرَع البينَ ، بَلْ ما أَسرَع الفَرَجا ... إنْ كنتُ أَرجو كما أخشى فَلا حَرجَا
ما أم واحدِ أمٍ لا أنيسَ لها ... إلّا الذي رسخْت بالأمس فاختَلَجا(١)
باتتْ وبات لَها همٌّ يؤرِّقُها ... من عالجٍ في بنات القلب قد وَشَجا(٢)
إلّا كمثلي ، وإنْ جَلَّتْ رَزيتُّها ... إذا أزعجَ البين مَن أهواه فانزعجا
نظرتُ يومَ تَولَّتْ نظرةً عَرَضاً ... وجدتُ في كبدي من حَرِّها وَهَجا
بمُقْلةٍ كُلَّما كَفكَفْتُ دَمْعَتَها ... هاجَتْ مذاوبها بالدَّمع فاعتَلَجا(٣)
كأنَّها عارضٌ مُخْضوضلٌ هَزِجٌ ... هَاجَتْ له حَرجَفٌ حَصباءُ فانبعَجا(٤)
تَالله ما عَصَفَتْ ريح شـآميَةٌ ... إلّا تنسَّمْتُ منها ريحَك الأرجا(٥)
ولا سنا البرقُ لي من نحو دارِكُم ... إلا تنعَّشْتُ ، واستقبلتُه بَهِجا(٦)

---

١ ـ في الأصل : «رسخت بالاس» ولم نجد ما يناسبها .

٢ ـ علجه : غلبه . والوشيج : الاشتباك ، يقال : وشجت بك قرابته .

٣ ـ مذاوبها : مسارب الدمع فيها . واعتلج . التطم .

٤ ـ العارض : السحاب المعترض في الأفق . والمخضوضل : النّدي المبتلّ . والحرجف الحصباء : الريح الباردة الشديدة التي تحمل البَرَد وصغار الحجارة .

٥ ـ في الأصل : «الا بتسمت منها» والأرج : توهُّج ريح الطيب ، وأرج كفرح : فاحت ريحه .

٦ ـ سنا البرق : أضاء .

- ١٣٦ -

وقال أيضا : (الخفيف)

رُبَّ لَيل أمَدَّ من نَفَس العا   شِقِ طولاً قطعتْهُ بانتحــاب[١]

ونَعيمٍ أَلَذَّ من وَصْل معشو   قٍ تبــدَّلتُــه ببؤس العِتـــاب

- ١٣٧ -

وقال في راشد : (الطويل)

وكنّا ارتقينا في صعود من الهوى فلمّــا تَــوافينــا ثَبَــتُّ وَزَلَّــتِ
وكنّا عَقَدْنَا عُقْدَة الوصل بيننا فلمــا تــواثَقْنــا شــدَدْتُ وحَلَّتِ

١ - هذان البيتان لا يتفقان مع عنوان القصيدة ، وراشد الكاتب مرَّ حديثه ، وحديث هديته في ق٥٠ . ولعلَّ هذه بداية لقصيدة في راشد لم يكملها الناسخ .

وقال أيضا : (الكامل)

لـم أنسَ حُسْـنَ المـوقـفِ وعــلامَــةَ النَّظَــرِ الخفــي
فــإذا أردتُ وَداعَــهــا قــالــتْ محــاسِنُهــا : قِـفِ
فــأجَبْـتُ : لســتُ ببــارح مــن حَسْــرةٍ وتلَــهـفُّ
بــهــواكِ صــافيتُ الجــوى وعــرفتُ ، مــا لم أَعــرف

- ١٣٩ -

وقال أيضاً : (الخفيف)

مـن الـعـين طَـرْفـهُ ومـن الظبـي ظَـرْفُـهُ
ومـن الغُصـن حـين أَقْبَـل يـهتَـزُّ نِصْفُـهُ
ومـن الـرَّمـل إذ تَـأوْ وَدَ في المشي ردْفُـهُ
ومـن البـرقِ حـين أَطْلَـعَ كـالبـدر خَطْفُـهُ
يـا خليـلاً يَـدِقُّ مَـذْ هَـبُ مـن رام وصفَـهُ
وأميـراً عـلى الظِبـا ءِ بمـا نيط خلفَـهُ
قـد حـويناك بـالـعيو نِ فقلنـا آسْتَخَفَّـهُ
حَسَـنٌ بـالكـريـم أنْ يمنـحَ النـاسَ عُـرْفَـهُ
أَدَلالٌ ؟ فَـرُبَّمـا مـازَحَ الإلْـفُ إلْفَـهُ

وقال أيضا : (البسيط)

نَمْ ، لا حُرمتَ لذيذَ النَّوم ياسَكَني   وخلِّ عنِّى ، وما ألقىٰ من الوَسَنِ[١]
لا تحبسِ الرِّيحَ عنِّي حين تنفح لي   بالوصل منك ، ولا تنهى عن الحَزَنِ[٢]
إنْ كنتَ تكرهُ ما يُغْوَى الفؤادُ به   فقلْ لَعَيْنِك : لا تنفيه بالأمَـــنِ
أهوى هواك يُكلِّ ، لا أخصُّ به   بعضي ، ولو نمتُ من حُبِّيك في الكَفَنِ
يا معدِنَ الحُسن في الدنيا ، وغايته   ويا أَميراً بعينيـه [على] الفِتَنِ
صلَّى الإلهُ على وجهٍ خُصِصْتَ به   وبارك اللهُ فيما فيه من حسن

١ ـ السَكَن بالتحريك : ما يُسكن اليه أو يُستأنس به .
٢ ـ في الأصل : «حين تنفتح» والسهو واضح .

وقال أيضا : (الكامل)

هَبْ مـا أُكـاتمُ قـد عَلَنْ   وبـدا فَشَـاعَ كمـا اسْتَكَنْ
هـل بـين ذاك وبـين ذا   إلّا الممـاتُ أوِ الحَـزَنْ
لا تُضْجِـرَنَّـكَ صَبْوَتـي   وارفـقْ فـديتُـك بي ولـن
فلقـد منحتـك خطَّـةً   في القلبِ ليس لهـا ثمـن
أمّـا عـليَّ فَـأنْ أمُـوْ   تَ ، ولاَ أهـونُ فـلا تهن
جـازت هـواك جـوانحـي   فَنَطَقْـن فيـك بمـا أجـن
يـا مَن محـاسنُ وجـهـهِ   تعـدى ، ويحسـده الحسن
إلّا تـرانـي نـاطقـاً   بك في الهوى أخرى الزَّمنْ
فَـأجِرْ ، فـديتُك مِن هـوىً   دونَ الجـوانحِ ، قـد كَمَنْ

وقال أيضا : (الطويل)

إذا النَّاس كانوا في الأحاديث والمنى خَلوتُ بنفسي فيكِ من بينهم وَحْدي
أحيد بنفسي عنكِ عَمْداً وفي الحشا إليك عُيونٌ ما برِ حْنَ عن القَصْدِ[1]
فيا مَنْ بكَفَّيْهِ حياتي ومنيتي ومَن ليس لي منه - وإن مت - مِن بُدِّ
أرِحْني من نفسي بموت مُعَجَّل فديتُكَ ، أو نائي الفؤادَ من الجَهْدِ

---

١ - في الأصل : «ما يرعن» .

وقال أيضا : (مجزوء الرمل)

بـات للـهـمِّ رقيـبٌ يمنـعُ الغمضَ الجُفـونـا
بـات يستـدعي لي الهمْ مَ ، ويستـوفي الأنينـا
فكـأنـي لـم أكـنْ كنـتُ لمـن سرَّ خَـدينـا
وكـأنـي لم أكـنْ للنَّـو م مـذ كنتُ قـرينـا[1]
وأمـيري قد بـرى جسـمِي حـذاراً أنْ يخونـا
قلبـه مـن حَجَـر صَلْـدٍ فمـن لي أنْ يلينـا
ثـوَّر الأحـزانَ فيَّ القَلْـبِ وقـد كنَّ سكـونـا
فتنـاهـين عـن الصَّبـرِ وحـالفْنَ الجُنـونـا
وإذا مـا قلـتُ صِلْنـي قـال مـاذا أنْ يكـونـا
فـإليـهِ مَفْـزَعـي مِنْـهُ وإنْ كـان ضنينـا[2]

١ - في الأصل : «كنت قريبا» والسهو واضح . والقرين : الصاحب ، ومشهور قولهم : «عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ...» .

٢ - المفزع : الملجأ ؛ يقال : فلان مفزع للناس ؛ إذا دهمهم أمرٌ فزعوا اليه . وفي الأصل : «ظنينا» وهي من خطأ الناسخ ، والضنين : البخيل .

وقال أيضا : (الكامل)

أَقْسى من الحَجَر الأَصَمِّ فؤادُه　　وَأَرَقُّ من عَزْف الرياح فؤادي[١]
أشكو إليه ، وقد تبيَّنَ فاقتي　　فيصُدُّ صَدَّ غَريبة الأذوادِ[٢]
عـازَلْتُـه بتضـرُّعٍ وتخشُّـعٍ　　فنـأى ونازعني هـواه قيادي
فأجبْتُ حاجتَه ، وأَخَّرَ حاجتي　　شتَّـان بين مُبَخَّـلٍ وَجَواد[٣]

١ ـ عزف الرياح : أصواتها .
٢ ـ الأذواد : جمع الذود : وهي ثلاثة من الإبل الى العشرة أو أكثر ، وغريبة الأذواد مشهورة بنفورها .
٣ ـ المبخَّل : الشديد البخل .

وقال : (الكامل)

طَـرْفُ تَـرَقْـرَق بـالـدَّمِ بَعْـدَ الـدُّمـوع السُّجَّمِ[١]
اللـهُ يـعلـمُ أَنَّنـي أهـوى وصـالَـكِ فـاعلمي
قْسمَ الهَـوَى بـين العِبـا دِ فليتَـهُ لـم يُقسَـمِ
سَهْمٌ عـلى أهـلِ الهـوى وعـليَّ تسـعـةُ أَسْـهُـم

١ ـ في الأصل : «طرقت ترقرق ...» وترقرق الدمع : دار في باطن العين . والسُجّم ؛ من سجم الدمع : سال وانصبّ .

وقال أيضا : (المنسرح)

كـان ابتـداي بحبـه ولـعـا حتى صنع بي هواه ما صنعا[1]
أطمعني فيـك حسن ظنـك بي لا خيّـب اللّـه ذلـك الطمعـا
وكـلّ مَـن في فـؤاده وجـعٌ يطلب شيئـاً يسكّن الـوجـعـا
يـا قابـلا فيّ كـلّ مـا سمعـا لم يدع اليأس فيـك لي طمعا
أعمـل في الطرق طـرف والهـة لـعـلَّ طـرفي عليـك أن يقعـا

[1] ـ الشطر الثاني من البيت غير مستقيم الوزن .

وقال أيضا : (الوافر)

ألــم تعجــب لمكتئب حــزيــن حليف صبابة وخدين صبر[١]

يقول ، اذا سألت به ، بخيرٍ وكيف يكون مهجور بخــير !؟

١ - في الأغاني ؛ ٢٢/٤٤٦ : «خدين صبابة وحليف صبر» وفي الأغاني : «... حدثني عبدالله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، قال : وصفني محمد بن عبدالملك للمعتصم ، وقال : ماله نظير في ملاحة الشعر والغناء ، والعلم بأمور الملوك ، فلقيته فشكرته ، وقلت : جُعلتُ فداءك ! أتصف شعري وأنت أشعر الناس ، أَلستَ القائل ؛ وأوردَ البيتين ..» .

وقال أيضاً : (الطويل)

لسكـــر الـــهـــوى أرویٰ لــعظمـــى ومفصـــلي
إذا ظميـــا يـــا روح مـــن سكـــرة الخمـــر
واحســـن مـــن رجـــع المثـــانـــي دفقـــهـــا
مـــراجيـــع نـــغم الثـــغـــر يقـــرع بـــالثغـــر[1]

١ - في الأصل : «... مراجيع نعم ... بالنعر» والمثاني ؛ من القرآن الكريم : ما ثنى منه مرَّة بعد مرَّة في القراءة . والمثاني : من أوتار العود بعد الأول ؛ واحدها مثنىٰ ، وهو المناسب هنا .

- ١٤٩ -

وقال أيضا : (الكامل)

الويلُ إنْ كـان الفراقُ دنـا وصليتُ منـه بحرٍّ مـا كمنا
كنَّـا ونحـن مـعـاً تسكنـه فالآن ينفر أن أخىٰ شطنا[١]
أستحفظ اللـه السميـعَ لـه إمَّـا أقام بنـا ، وإنْ ظَعَنـا
لكنَّنـي مَيـتٌ لئـن شحطـت عنِّي نواه ، ولم يكنْ قمنا[٢]
يا مَن براني حُسْنُ صـورته هل كان قبلك آخر حسنا[٣]
مـا إنْ سمعتُ به فـأذكـره ولقـد عُنيـتُ بـعلمـه زَمنـا

١ ـ شطنه : خالفه عن نيِّته ووجهته في الأرض ، ونيَّةٌ شطونٌ : بعيدة . وبئر شطون : بعيدة القعر .

٢ ـ في الأصل : «سخطت» . وشحطت : بَعُدتْ .

٣ ـ في الأصل : «يا من يراني» والتحريف واضح .

وقال : (الطويل)

رأيتك سمح البيع والعِلْق إنّما يُغالىٰ به إن ضَنَّ بالعِلْق بايعه[١]

---

١ ـ قال أبوعبدالله بن عبدوس وجدت بخط أبي أحمد اسماعيل ، حدَّثني محمد بن علي ابن سعيد الطبري ، وأخوه ابراهيم بن علي ، وأمهما أخت محمد بن عبدالملك الزيات قالا : جاءنا حبيب بن أوس الطائي بقصيدته التي يقول فيها :

لـكَ القلم الأعلىٰ الـذي بشباتـه يصاب من الأمر الكلىٰ والمفاصل
لعـابُ الأفاعي القـاتـلات لعـابُـه وأرمي الجنا اشتارته أيد عواسل
لـــه ريقـــة طـــلٌّ ولكـنَّ وقعـهـــا بـآثاره في الغـرب والشرق وابـل
فصيحٌ اذا استنطقته وهو راكبٌ وأعجم إن خـاطبته وهـو راجـل
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغتْ عليه شعاب الفكـر وهي حوافـل
أطاعته أطـراف الرمـاح وقوضت لنجواه تقويض الخيـام الجحافـل
إذا استغزر الذهن الذكيَّ وأقبلتْ أعاليه في القرطاس وهي أسـافل
رأيت جليـلاً شأنـه وهو خـامـل ضنـاً وعظيماً خطبـه وهو نـاحل

فسألنا أن نعرضها على محمد ، وأن نتوخى بها وقتا تكون نفسه طيبة فيه ، فتوَّخينا ذلك الوقت وأوصلنا القصيدة ، فقرأها من أوَّلها وتوقّف على أكثرها ، ثم قال : الطائي جيد الشعر ، إلا أنه يهّجن شعره بأنه يمتدح السوقة بما يمتدح به الملوك ، فيعطي السوقي أكثر من حقه ، ويبخس الملك حقه إذا أعطى السوقي ما يعطيه ، ثم قلب القرطاس وكتب شيئاً في ظهره ، وقال : إذا جاء فارفعوه اليه ، فقرأنا ما كتبه فإذا هو : رأيتك سمح البيع ...

فلما جاء الطائي أعلمناه أنّا قد أوصلنا شعره ، فلم يشك أنّ معه جائزة . قال : فأين الجائزة !؟ قلنا : خذها ، ودفعنا القرطاس اليه فلما قرأه قال : الله الله ! قد رضيتُ من جائزته أن تكتما هذا الشعر فإنه إن انتشر أفسد عليَّ عمود الصناعة ، وكان لبخلاء الملوك مثله أعزّه الله حجّة . قلنا : وتهجوه ؟ قال : ما أدير لساني بهجائه ، ولكني استفدتُ مما وصلني به فحكينا ذلك لمحمد ، فضحك ، وبعث اليه بمائتي دينار .

في الأغاني ؛ ٢٢/٤٧٨:

وأحْر بمن هانتْ بضــائع مــاله لدىٰ البيع يوماً أن تبور بضائعه[2]
هو الماءُ إنْ أجممته طاب ورده ويفسده أن تستباح شرائعــه[3]

«رأيتكَ سهل البيع سمحاً وإنما يغالىٰ اذا ما ضنَّ بالشيء بائعه»
والعِلْق بالكسر: النفيس من كلّ شيء وعندنا ان رواية الديوان أقدم.

٢ ـ في الأصل : «بمن كانت» وهانت أنسب هنا ، وقد نظرنا فيها الى رواية الأغاني
فأما الذي هانت بضائع بيعه فيوشك ان تبقى عليه بضائعه

٣ ـ في الأغاني : «... ويفسد منه أن تباح شرائعه»
وما هو مثبت في الديوان أقوم .

- ١٥١ -

وقال في جارية ، كان يهواها أسمها عذر : (الكامل)

يا عُذْرُ زُيِّنَ بـاسمك العُـذر   وأساء ولم يُحسِنْ بك الدَّهرُ
وهي التي قالت ، وقد جعلت   تنَسلُّ من وجناتهـا الجَمْرُ[1]
اكمدْ بدائـك هل رأيتَ كـذا   بـدراً يلـوح بخـدِّه البـدر

١ ـ هكذا في الأصل : «تنسل من وجناتها الحمر»

وذكر انه كان يألف في حداثته [illegible] المقينين [illegible] قد [illegible] رما رجل كان ينادمه ، يعرف بعيسى بن [illegible] الذي [illegible] شعره ، ويصف كبر أنفه ، قال : وكان ينزل المقين [illegible] ساباط ، فلما [illegible] إلى بابه ، وجد عليه برذونا أدهم فسأل عن [illegible] فعرّفه غلامه [illegible] القينة ، وابتاع البرذون من ثمنها ، فانصرف ، و [illegible] يقول : (مجزوء الأمل)

قينـةٌ كـانـت تُـغَنـيِّ مُسِخَـتْ بـرذَونَ أدْهَـمْ
عجتُ بـالسـابـاط يـومـاً فـإذا القينـةُ تُلْجَـمْ[2]

---

١ - في الأصل : «المعيّنين» وهو من سهو الناسخ .

٢ - الساباط : محلة معروفة قرب بغداد ، بلهوها وخمرها ، واليها أشار أبو نواس في خمريته المشهورة :

ودار نـدامىٰ عطّلوهـا وأدلجوا بهـا أثر منهم جـديد ودارس
ولم أدر ماهم غير ماشهدت به بشرقيّ ساباط الديار البسابس

ومن أمثالهم : «افرغ من حجّام ساباط» قالوا : كان يحلق من مر من الجيش بدانق نسيئة .. ويذهبون ولا يعودون .

وقال : (البسيط)

وللنفوس ، وإنْ كانت على وَجَلٍ   من المنيَّةِ آمالٌ تُقَوِّيها[١]
والمرء يبسطها ، والنعش ينشرها   والدهر يقبضها ، والموت يطويها[٢]

١ ـ في الأصل : «آمال يقوّيها» .
٢ ـ في الأصل : «والنفس يبشرها» والمعنى غير واضح .

- ١٥٤ -

وقال محمد ؛ أنشدها ابنه [أبو] مروان : (البسيط)

وعـــايـــب عـــابنـــي بشيـــب لـــم يُفْـــدَ لمَّـــا ألَمَّ وقتـــه[١]
فقلـت إذ عـــابَنـــي سفَـــاهـــاً يا عايبَ الشيب لا بلغته[٢]

١ ـ في الأغاني : «لم يعدُ» وما هو مثبت في الديوان أنسب
٢ ـ في الأغاني ٢٠/ ٥٤ : «بشيبي» ، وقدَّم صاحب الأغاني لهذين البيتين بقوله : «... نظر رجل كان يعادي يونس النحويّ اليه ، يهادىٰ بين اثنين من الكبر ، فقال له : ... أَبلغت ما أرىٰ !؟ فقال :... هذا الذي كنت أرجو فلا بلغته» ، قال : «فأخذه محمد بن عبدالملك فقال : وذكرا البيتين : .....

- ١٥٥ -

وأنشد ابنه [أبو] مروان لأبيه محمد : (البسيط)

أمَّا شبابي فلم أذْممْ صحابتَه والشيب حين علاني زادني وَرَعَا

أصبحتُ بين الفتى والشيخ مُرتدياً ثوبَ الشباب بثوب الشيب مُقتَنِعا

في الشيب عافية ، مالم يكن صَلَعٌ فإنَّ ذاك وذا عارٌ إذا جتمعا

لَوْن المشيب إذا ما شِبْتُ يَستُرُه لَوْنُ الخضاب فما [ذا] يستر الصَّلعَا ؟[1]

---

١ ـ في الأصل : كون المشيب ... فماذا أستر...» وسهو الناسخ واضح .

- ١٥٦ -

وقال أيضا : (الخفيف)

رُبَّ لحَظ يكــون أبــين مِــن لَفْظِ وأبدى لمُضْمَرات القلــوب

- ١٥٧ -

وقال لما بلغه نعى ابي تمام حبيب بن أوس الطائي : (الكامل)

نبـأ أتى من أعظم الأنبيـاء لمـا ألمّ تقلقلتْ أحشـائي[١]
قالوا : حبيب قد ثوىٰ فأجبتهم ناشدتكم ! لا تجعلوه الطائي

---

١ - في ابن خلكان ؛ ٢/١٨ : «وقيل انها لأبي الزبرقان الكاتب مولىٰ بني أُميّة «انظر مقدمة الديوان»

وقال يرثي الواثق ، وقد توفي سنة اثنتين وثلاثين : (المتقارب)

سقى قَبـرَكَ الهاطـلُ المُسْبِـلُ وجـادَت لكَ الـدِّيَمُ الحُفَّلُ[١]
وأسكنـكَ اللـهُ خُلْـدَ الجِنَـا نِ ، وجاوَرك المصطفى المرسَلُ
فقـد بِنْتَ مِنَّا عـلى حـاجـة وهَـلْ يُدفَـعُ القَدَرُ المُنـزَلُ !؟

١ - الهطل : تتابعُ المطر المتفرّق العظيم القطر . وأسبل المطر : سال . والديم : جمع ديمة : وهي المطر يدوم بلا رعدٍ وبرق . والحفّل ؛ من قولهم : حفل الوادي بالسيل : جاء يملء جنبيه من الماء . وحفلت السماء : اشتدَّ مطرها ، وضرعٌ حافل : كثير اللبن .

وقال ، وهو في التنّور الذي عُذِّب فيه ، وكان اتخذه يعذِّب به بعض الكتّاب فعُذّب فيه ومات ، وهو آخر ما سمع منه : (البسيط)

هو السَّبيلُ فمن يومٍ إلى يومٍ كأنّه ما تُريكَ العين في النَّوْم
لا تعجَلَنَّ ! رويداً ! إنها دُوَلٌ دنيا تَنَقَّلُ من قومٍ إلى قَومِ[1].

نجز شعر محمد بن عبدالله الزيات بأسره ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

١ - في العقد الفريد ، ٢/١٦٤ : «إنما دولٌ» وزاد عليها بيتاً ثالثاً ، هو :
ان المنايا وإن أصبحت ذا فرح تحوم حولك حوْماً أيَّما حوم
وهو زيادة لا نراها تنسجم مع حاله التي قيل انه قال الشعر فيها .
يضاف الى هذا أن البيت ينسب لأبي العتاهية أيضا ، وهو أشبه بأبياته في الزهد ، من أبيات ابن الزيات .
وجاء بعد البيتين : نجز شعر محمد بن عبدالملك الزيات بأسره وصلّى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ملحق بالديوان

أبيات لم ترد في الديوان
بعضها نسب لابن الزيات
وبعضها نسب له ولغيره

- ١ -

قال محمد بن عبدالملك يرثي أبا تمّام :[١] (الوافر)

ألا للـهِ مـا جَنتِ الخطـوبُ	تُخُـرِمَ مِـن أحبتنـا حبيـبُ
فماتَ الشعرُ من بعد ابن أوس	فـلا أدب يُحَسُّ ولا أديـبُ
وكنتَ ضَريبَ وحدِكَ يا ابنَ أوس	وهـذا الناسُ أخـلافٌ ضُروبُ
لئنْ قَطعتْكَ قـاطعـةُ المَنـايـا	لَمنْـكَ وفيـكَ قُطِّعَتِ القلـوبُ

١ - أخبار أبي تمام للصولي ص : ٢٧٧ .

- ٢ -

وقال أيضا في رثائه :[1]

نبأ أتىٰ من أعظم الانبياء لمّا ألمَّ مُقلقِلُ الأحشاء
قالوا : حبيب قد ثوىٰ ، فأجبتهم
ناشدتكم ! لا تجعلوه الطائي

١ - ابن خلكان ٢/١٨ ، وقيل : أنها لعبدالله بن الزبرقان .

- ٣ -

وقال : (الخفيف)

ليسَ شيءٌ ممّـا يدبّـرُهُ العـا قِـلُ إلاَّ وفيـهِ شيءٌ يُـريبُــه
فأخو العقـلِ مُمسِكٌ يَتـوقَّى ويخافُ الدُّخـولَ فيما يَعيبُـه
وأخو الجهلِ لا يُقدّرُ في الأمـ ـرِ وإنْ أَشكلتْ عليهِ ضروبُه
راكبٌ رَدْعَــهُ كحــاطبِ ليـلٍ يخطئُ الأمَر كلَّهُ أو يُصيبُه
تَتأتي له الأمـورُ على الجهـــــلِ إذا مـا أرادها وتُجيبُـه
وأخو العقلِ بعدُ يُنتجُ الـرأ يَ فَيَـرضَى ومـرَّةً يَستـريبُـه
وإذا صــيَّرَ البعيـدَ قــريبــاً عادَ فيهِ فازدادَ بُعداً قـريبُه
فهُو الدهرَ شاخصُ القلب فكْراً مـا تَقضَّى همومُـهُ وكـرُوبُـه

---

٣ ـ بهجة المجالس ـ للقرطبي : ١/ ٥٤٤ ، وقد ذكرت لمحمود الوارق ، ولابن زيات .

وقال :[1] (الوافر)

سمـاعاً يـا عبادَ اللـهِ مِنّي وكُفّـوا عن مُلاحظـةِ المـلاحِ
فـإنَّ الحبَّ آخـرُهُ المنـايـا وأوّلُـهُ يُـهَيّـجُ بـالمِـزاجِ
وقالوا دَعْ مراقَبـةَ الثُريَّـا وَنَمْ فاللَّيلُ مسوَدُّ الجنـاحِ
فقلتُ وهلْ أفاقَ القلبُ حتَّى أفـرّقَ بـينَ ليـلي والصَّبـاحِ

---

١ - وفيات الأعيان - لابن خلّكان ؛ ٥/٩٥ .

- ٥ -

دخل ابن الزيات على الأفشين وهو محبوس فقال :[1] (البسيط)

اصبِرْ لها صبرَ أقوامَ نفوسُهُمُ لا تَستريحُ إلى عقلٍ ولا قَوَدِ
لم يَنجُ من خيرها أو شرّها أحدٌ فاذكُر شوائبَها إنْ كنتَ من أحدِ
خاضتْ بكَ المْنيةُّ الحمقاءُ غَمرتَها فتلكَ أمواجُها تَرميك بالزَّبَـــدِ

١ ـ المحاسن والأضداد ـ المنسوب للجاحظ ؛ ص٣٣ .

ـ ٦ ـ

وقال : مخاطباً الحسن بن سهل : قال[١] (المجتث)

أبـا عـليَّ أراك الألـ ـهُ في الأمـرِ رُشـدَكْ
إنْ لم تكنْ عنـديَ اليـو مَ كنتُ بـالشـوقِ عنـدَكْ
فـاهـدِمْ مَحلَّـكَ عنـدِي واجـهَـدْ لـذلـكَ جَـهـدَكْ
فلسـتُ أزدادُ إلَّا رعـايـةً لـكَ وُدَّكْ
وانـعمْ بمـن قلـتَ فيـهـا عبـدَ الـرجـاءِ وعبـدَكْ
أزيـلَ نحسُـكَ فيـهـا وأطلـعَ اللـه سَـعـدَكْ

١ ـ الأغاني ؛ ٢٤٥/٢٧ .

- ٧ -

وقال :[1] (الكامل)

كَتبتْ علـى فَصّ لخاتَمِهـا	مَن مَلَّ من أحبابـهِ رَقَدا
فكتبـتُ في فَصّي ليبلُـغَـهـا	من نامَ لم يَشعُرْ بمن سهِدا
فمحتْـهُ واكتتـبْ ليبلـغَنـي	ما نامَ من يهوَى ولا هَجَدا
فمحـوتُـهُ ثمَّ اكْتتبتُ أنـا	واللـهِ أوَّلُ ميّـتِ كَمَـدا
قـالتْ : يعارضُني بخـاتَمـهِ	واللـهِ لا كلّمتُـهُ أبـدا

١ - الموشى - للوشاء ص٢١٧ - الزهرة /١/٢٩٢ والأبيات في ديوان ابي نواس ؛ ص٢٦٠ط : دار الكتاب العربي - بيروت ، وأمراء البيان - محمد كرد على ؛ ١/٣٥٠ .

وقال :[١] وهو في حبس المتوكل (الرمل)

سَلْ ديارَ الحيَّ ما غيَّرها ومَحاها ومَحا منظرَها ؟
وهي اللّاتي إذا ما انقلبتْ صَيَّرتْ معروفَها مُنْكَرَها
إنَّما الدُّنيا كظلٍ زائلٍ نَحمَدُ اللهَ كذا قدَّرها

١ ـ الأغاني ٢٧/ ٩١٩٤ وتاريخ بغداد ، ٢/ ٣٤٤ ووفيات الأعيان : ٥/ ١٠١ .

- ٩ -

وقال :[١] (السريع)

راحَ علينـــا راكبـاً طِــرَفــهُ أغيـدُ مِثلُ الـرَّشــأ الآنس

قد لَبسَ القُرطَقَ واستمسكتْ كفَّاه من ذي بَدَنٍ مائسٍ

وقُلِّـدَ السيفَ عــلى غُنجــهِ كـأنَّهُ في وَقعـةِ الـدَّاحسِ

أقـولُ لمَّا أنْ بـدا مُقبـلاً يا لَيتني فارِسُ ذا الفارسِ

---

١ ـ الأغاني ٢٧/٩١٨٦ ط : ابو الفضل ابراهيم .

- ١٠ -

وقال :[١] وهو في التنور الذي عذّب فيه : (الخفيف)

هِيضَ عظمي الغداةَ إذْ صرتُ فيهِ   إنَّ عَظمي قد كانَ غَير مَهيضِ
ولَقدْ كُنتُ أنطِقُ الشّعرَ دَهراً   ثُمَّ حالَ الجريضُ دُونَ القَريضِ

---

١ ـ المحاسن والمساوىء ؛ ص٥٣٣ .

- ١١ -

وقال :[١] (البسيط)

يا طولَ ساعاتِ ليلِ العاشق الدَّنِفِ   وطولَ رَعْيتهِ للنجم في السَّـدَفِ
ماذا تُواري ثيابي من أخي حُرَقٍ   كـأنما الجسمُ منـه دِقّةُ الألِفِ
ما قالَ يا أسفا يَعقوبُ من كَمَدٍ   إلَّا لطولِ الذي لاقىٰ من الأَسفِ
من سرَّهُ أنْ يَرى مَيتَ الهِوى دَنِفا   فليسْتَـدِلَّ عَـلى الـزَّيَّـاتِ وليقِفِ

١ ـ تأريخ بغداد ٢/٣٤٣ وابن خلكان ؛ ٥/٩٦

- ١٢ -

وقال :[١] (البسيط)

ما سرتُ ميلاً ولا جاوزتُ مرحلةً إلاَّ وذِكـرُكِ يَثني دائبـاً عُنُقِي
ولا ذكـرتُـك إلاَّ بتُّ مُـرتَفقـاً صَبّاً حَزيناً كأنَّ الموتَ مُعتَنقي

١ - المنتحل - للثعالبي ؛ ص٢٤٨ .

قال :[١] وأرسلها للواثق على أنها لبعض المعسكر : (البسيط)

يا ابنَ الخلائفِ والأملاكِ إنْ نُسبُوا حُزتَ الخلافةَ عن آبائكَ الأوَل
أجُرْتَ أمْ رقدتْ عيناكَ عن عجبَ فيهِ البريَّةُ من خوفٍ ومن وَهَل
ولّيتَ أربعـةً أمرَ العِبـادِ معـاً وكلُّهمْ حاطبٌ في حبلٍ مُحتَبل
هذا سُليمانُ قـد ملّكتَ راحتَهُ مَشارقَ الأرض من سهلٍ ومن جبل
ملّكتَهُ السِّندَ فالشِّحْرَيَنِ من عدنٍ إلى الجزيرةِ فالأطرافِ من مَلَل
خلافةٌ قد حواها وحدَهُ فمضتْ أحكامُهُ في دماء القومِ والنَّفَل
وابنُ الخصيبِ الذي ملّكتَ راحتَهُ خلافةَ الشّامِ والغازيْنِ والقفـل
فنيلُ مِصْرَ فبحر الشَّامِ قد جَريا بما أرادَ من الأموالِ والحُلَـل
كـأنَّهمْ في الـذي قسّمتَ بينَهمُ بنو الرَّشيدِ زمانَ القَسْمِ لِلدُّوَل
حوَى سليمانُ ما كانَ الأمينُ جوَى من الخـلافةِ والتّبليـغِ لـلأمـل
وأحمـدُ بنُ خَصيبٍ في إمارتـهِ كالقاسمِ بن الرَّشيدِ الجامعِ السُّبل
أصبحتَ لا ناصحٌ يأتيكَ مُستتراً ولا عـلانيةً خـوفاً من الحِيَـل
سَلْ بيتَ مالِكَ أينَ المالُ تعرفُهُ وَسَلْ خَراجَكَ عن أموالِكَ الجُمَل
كم في حُبوسِكَ ممَّنْ لا ذنوبَ لهمْ أسرَى التّكذُّبِ في الأقيادِ والكَبَل
سُمِّيتَ باسمِ الرّشيدِ المرتضَى فيه قِس الأمورَ التي تُنجي من الزَّلَل
عِشْ فيهُم مثلَ ما عاشتْ يداهْ معاً عـلى البرامـكِ بالتَّهـديم للقُلَل

---

١ ـ الأغاني ؛ ٢٣/٧٩٦١ ، ط : الأبياري .

- ١٤ -

وقال :[١] (الوافر)

أتــرحــلُ تَــهــوَى مُقيــمُ لَعمرُكَ إنَّ ذا خَطرٌ جَسيمُ
إذا ما كنتَ لِلحَدَثانِ عوناً عليك ، وللزمــانِ فَمَنْ تَلُومُ

---

١ ـ المنتحل ـ للثعالبي ؛ ص٢٢٢ ، وأمراء البيان ؛ ١/٣٠٥ .

وقال :[١] لما جعل في التنور الذي مات فيه (الرمل)

مَــن لَــهُ عَــهـدٌ بنــومٍ يُــرشِــدُ الصَّــبَّ إليــهِ
رحــمَ اللــه رَحِيمــاً دلَّ عَيِنــيَّ عليـــهِ
سَــهِــرَتْ عينـــي ونــامــتْ عَــينُ مَــن هُنــتَ لــديـــهِ

١ - تأريخ بغداد ؛ ٢/٣٤٤ .

وقال :[١] (الكامل)

ونعـود سيّدنـا وسيّد غـيرنـا ليت التشكّي كـان بـالعـوّاد
لو كان يقبـل فديـةً لفديتـه بالمصطفى من طارفي وتلادي

١ ـ امراء البيان ـ محمد كرد علي ؛ ١/٣٠٥ .

وقال :[١] (الكامل)

امّا القباب فقد أراها شُيّدتْ وعسىٰ امورٌ بعد ذاك تكـون
عبدٌ عَرتْ منه خلائق جهلـه إذ راح وهو من الثراء سمين

١ ـ الأغاني ؛ ٢٢/٥٠٠ .

وقال :[١] (الكامل)

وكمـا اللوّاط سجيَّـة الكتّـاب   فكذا الحُلاق سجيَّه الحجّـــاب

١ - الأغاني ؛ ٢٧/٩١٧٢

وقال :[١] (الطويل)

تمكَّنــت مــن نفسي فــأزمــعــت قتلــهــا
وأنــت رضيٌّ البــال والنفس تــذهــب

كــعصفــورة في كــفّ طفــلٍ يســومــهــا
ورود حيــاض المــوت والطفــل يلــعــب

فــلا الطفــل يــدري مــا يســوم بكفّــه
وفـــي كفّـــه عصفـــورة تتضــــرّب

١ ـ المجاسن والمساوىء ص٥٣٣ ، وأمراء البيان ؛ ١/٣٠٦ .

فهرس القوافي

أ

٤٥ ـ جَمَع الله للخليفة ما كا ن حَواه لسائر الخلفاءِ

ب

٤ ـ قالوا : جَزِعْتَ ، فقلتُ : إنَّ مُصيبةً جَلَّتْ رَزيَّتُها ، وضاق المذهب
١٢ ـ سَلامٌ على الدار اتي لا أزورُها وإنْ حَلَّها شخصٌ إليَّ حبيبُ
١٧ ـ وكانَ أخَالك يرى ما رأيـتَ ومهما دعوت إليه أجابا
٥١ ـ اشمَخْ بأنفك ياذا العِرض والحَسَب ماشئتَ واضربْ قذال الأرض بالذَّنب
٥٧ ـ تأيَّدَ وادعى القُربا وأَثْرى ، واستفاذَ أبا
٥٨ ـ دعا شجْوى دموعَ العين منِّي فبادَرتِ الدُّموع على ثيابي
٦٠ ـ لقد أخطأتُ في حُبِّي وفي تكْرمَةِ الكلب
٦٨ ـ ماجَبلا طَيء بأمنع مِن زادِ عليّ زميلِ صِقّلاب
٩٣ ـ وحدَّثتُ نفسي أنني غيُر صابر فها أنا ذا لم أَقض من إثْرها نَحْبي
٩٧ ـ دبي إلى حرمٍ ، ما كان أحمقَه إذا لم يَقُلْ إنّني من سادَةِ العَرب
١٠١ ـولي طَرْفٌ يُنازعُني إليها أُحاولُ صرفَه عنِّي فيابي
١٠٦ ـأتعزفُ أم تُقيم عل التَّصابي فقد كثُرت مُناقَلَةُ العِتاب

* الأرقام تشير ألى أرقام القصائد في الديوان .

١١٢ ـيامَن يُمازحني في الهَزلْ بالغَضَب فَرِّقْ فَديتُك بين الجدِّ واللَّعِب
١١٩ ـفَديتِك ، قد كفَفْتُ عن العِتاب لما حازرتُ من سوء الجواب
١٣٢ ـبُعْدَ القريبُ ، وأعوز المطلوبُ وعَدَتْكَ عنه حوادثُ وخُطوب
١٤٢ ـرُبَّ لَيل أمَدَّ من نَفَس العا شقِ طولاً قطعتْهُ بانتحاب
١٥٦ ـرُبَّ لحَظ يكون أبين مِن لَفْظِ وأبدى لُمضْمَرات القلوب

ت

٢٥ ـ أنا أفديه من حبيب له الفضـــلَ على مَنْ أرى وَمَنْ قد رأيت
٧٦ ـ قد كنُت أبكي على مَن فاتَ من سلَفَي وأَهْلُ وُدِّي جميعاً غيرُ أشتاب
٩٦ ـ يا أيُّها المأفونُ رأياً لقد تعرَّضَتْ نفسُك للموتِ
١٣٧ ـوكنّا ارتقينا في صعود من الهوى فلمّا توافينا ثَبَتَّ وَزَلّت

ج

٢٢ ـ أقول إذا مابدا طالِعاً وقد كان إذ همّ أو قد وَلَجْ
٧٣ ـ يا لبان الله فيَّ ! الله بي حَرجاً من قطع حَبْلي حَرجا
١٣٥ ـما أَسْرَع البينَ ، بَلْ ما أَسرَع الفَرَجا إنْ كنتُ أَرجو كما أخشى فَلا حَرجَا.

د

١ ـ أَلم تَرَ أَنْ الشيء للشيء علَّةٌ يكونُ لها كالنار تُقدَح بالزَّنْد

٧ ـ أَبو دهمانَ داهيةٌ نادُ له في كلِّ مُنْتَجَع مَصَادُ

٣٥ ـ قَسَمَ الزَّمانَ على البلاد ولم يقم للوقت يَرصُدَه ويحسُبُ باليدِ

٣٧ ـ يا جَمَالَ الدنيا : ويا زينة الدِّيـــن ويا عِصْمَةَ التُقى والرَّشادِ

٤٦ ـ ليتَ شعري يا أملحَ النَّاس عندي هل تَعالَجتَ بالحجامة بعدي

٤٨ ـ لم تَلقَ مثلي صاحباً أنْدى يداً وأعزَ جودا

٥٩ ـ أما ألى الله أَخلفَتْ ميعادي وجَفَتني ، فأثكلتني فؤادي

٦٦ ـ لو كان يمنع حُسْنُ الوجه صاحبَهُ من أنْ يكون له ذنْب إلى أَحَدِ

٧٥ ـ قام بقلبي وقَعَدْ ظَبْيٌ نفى عنِّي الجَلَدْ

١٠٠ ـ أما من حَكَمٍ يعدي على مَن سامَني جَهْدي

١٢٠ ـ ولَيلٍ كلونِ الطَّيْلَسانِ سَرَيْتُه على بطْن خَوْد دَضَّة الُمتَجرَّد

١٤٢ ـ إذا النَّاس كانوا في الأحاديث والمنى خَلوتُ بنفسي فيك من بينهم وَحْدي

١٤٣ ـ أَقْسى من الحَجَر الأَصَمِّ فؤادُه وَأَرَقُّ من عَرْف الرياح فؤادي

ر

٩ ـ أيا ثقةَ الخلائف من نزارِ ومَن هو للمُلِمَّات الكبار
١٠ ـ إنّي نظرتُ ، ولا صوابَ لعاقلٍ فما يَهُمُّ به إذا لم ينظر
٢٦ ـ يا أيُها العائبي ، ولم ير لي عيباً ، أما تنتي فتَزدْجرُ
٤٤ ـ خَليفَةَ الله طالتْ عنكَ غَيبَتُنا عَشْرا وعشرا وعشراً بعدها أُخَرا
٦٣ ـ يقول لي الخلّان لو زرتَ قبرها فقلتُ وهل غير الفؤاد لها قَبرُ
٧٢ ـ بدرا بدا في ليلة في ليلة الأربع والعَشْر
١٠٤ ـمن العَين واقفة دمْعَة فلا هى تج تجفُّ ولا تَقْطُر
١٠٥ ـإنَّ في الصَّبر لخيراً فاصطَبر واستعذْ بالله من سوء القدر
١١١ ـقفْ بالمنازلِ ، والرَّبُع الذي (دائرا) فَسَقِّها الماء من غَيْنَيْكَ والَمطَرا
١١٥ ـهل أنت صاح أو مراجعُ صَبْوَةٍ أم أنت فيما بين ذاك تُفَكِّرُ
١١٨ ـلَعَمْري لقد قَرَّتْ عيونٌ رأيتُها ولكنَّ عيني لم تُمتَّعْ من النَّظر
١٢١ ـيا مَن رأي صورةً فاقتْ على الصُّور يا مَنْ رأى قَمَراً أَبهى من القَمَر
١٢٣ ـليت شِعْري ، وذاك [عندي] عيبٌ كيف يحيا مُباعَدٌ مجهورٌ
١٢٥ ـانفِ بالخمر نَعْسَةَ المَخمور واسقِ يحيى كبيرنَا بالكبير
١٤٧ ـألم تعجب لمكتئب حزين حليف صبابة وخدين صبر
١٥١ ـيا عُذْرُ زُيِّنَ باسمك العُذر وأساء ولم يُحسِنْ الدَّهرُ

س

٧١ ـ سقياً لمجلسنا الذي جُمعَتْ به طُرَفُ الحديثَ وطاعةُ الجُلاس
٨٠ ـ مَا وَقَع العبّاس في مِثلها بُعْدا ، وإرْغاماً لعبّاس

ع

٢٨ ـ فيـا أنـفَ عيسى جَـزاكَ اللـه صـالحـةً
٨٧ ـ ذوقوا حلاوةَ فَقْـدِها وتعملـوا أنَّ الأسِنَّـةَ بعد ذلـك شُرَّعُ
٨٨ ـ إذا أحببـتُ لـم أَسْـلُ وإنْ واصلـتُ لـم أَقطَـعْ
٩٢ ـ لم يَـزْدني العَـذْلُ إلّا وَلَعـا ضرَنــي أكثـر ممـا نَفَـعـا
١٢٤ ـأتيحَ ـ من الحين المُتاح لقلبه ـ ثـلاثـةٌ أنـواع وآخـر رابـعُ
١٤٦ ـكـان ابتـداي بحبـه ولعـا حتى صنع بي هواه ما صنعا

ف

٥ ـ تَستنكـرُ النّاس فِتْنَـةً شَمَلَتْ قَـوْمـاً فـأدَّتْـهـم إلى تَلَـفِ
٣٣ ـ فَـدَيْتُـكَ إنَّ سُربى في كَنيف وندماني البعيـد من الطَريف
٣٩ ـ يَظَـلُّ له سيف النبيِّ كـأنما له دمعةٌ من لَوْعَةِ الشَّوْق تَذْرِفُ
١٣٨ ـلـم أنسَ حُسْـنَ المـوقـفِ وعـلامَـةَ النَّظَـر الخفـي

ق

٢٤ ـ نَمْ فقـد وكَّلْتَ بـي الأرقـا لا هيـاً بُـعْـداً لمن عَشِقـا
٣٤ ـ لي إليكـم كَبـدٌ مَقْـروحَـةٌ وفـؤادٌ طـائـرُ القَلْب خَفِـق
٥٥ ـ قد رأيناكَ إذ تـركتَ المسنّا ة وجانفْتَ عن يسار الطريق
٨٥ ـ كم قطعنا من البلاد وكم جُبْنا طبـاقـاً مـوصـولـةً بطبـاقِ
١٠٢ ـتَجلَّدْتُ في حُبِّي ومابي قُـوَّةٌ ولي زَفَراتٌ شاهِداتٌ على عشقي

ك

٦ ـ أبو خَلَفٍ، أبو تَلَفْ فاتكته إذا فتكا
١٣ ـ سَقامِي في تَقَلُّب مُقْلَتيكا وبُرئى في رُضاب ثنيَّتيكا
١٤ ـ صَغيرُ هَواكَ عَذَّبني فكيف به إذا احتنكا
٢٣ ـ يا قلْب ويحكَ لِمْ تُردْ بمودَّة مَن لا يُريدُك
٣٢ ـ يا متُّ قبلك حتى متى يكون ركوبُك
٤٢ ـ وشيَّدها حُدْباً تخال ظهورها من [الجانب] الأقصى سواماً مبرَّكا
٧٠ ـ تفرَّعت لأصحابي وتنسى بعضَ أصحابكْ
٨٩ ـ ليتَ عينَ الرَّشيد كانت تراكا وترى ما احتْوت عليه يداكا
٩٨ ـ وكيف بي أن أحولَ يا أملي وكلَّ خير أنالُ من سَببك
١٢٢ ـلا أشتكي هواي ألّا إليكَ لو ينفَع التَّشكّي

ل

١ ـ كأنَّه حينَ تناءى خطوُها أخْنسُ مَوشيٌّ الشوى يرْعى القُلَل
٣١ ـ تَركَ اللّهو والصبى وتَخلَّى من الغزَلْ
٤١ ـ خيرُ ما نالتْ الرَّعيَّةُ هذا الأمـ ـنُ أمنُ النُّفوس والأموالِ
٤٧ ـ الها ذا الوزير اكرمك اللـ ـه وأبقاك لي بقاءً طويلا
٩١ ـ أعززْ علي بأن تكونَ عليلا أو أن يكونَ بك السقامُ نزيلا
٩٥ ـ لَيتَ شعْري عن أملَح النَّاس دَلا أمقيمٌ لنا على العَهدِ أم لا
٩٩ ـ رُبَّتَ دار بعدَ عِمْرانِها أضحَت خلاءً ما بها آهِلُ
١٢٧ ـأأحيا بعدَ صدك إن عُمري لَعَمْرُك ـ بعد ذا ـ عُمْرٌ طويلُ
١٢٨ ـيا ظالماً نَحَل الإساءة غيرَه إني لذاك وإن عَنفْتَ لَقابلُ
١٥٠ ـرأيتك سمح البيع والعِلْق إنّما يُغالى به إن ضَنَّ بالعِلْق بايعه
١٥٨ ـسقى قَبرَلَ الهاطلُ المُسْبلُ وجادَت لكَ الدِّيَمُ الحُفَّلُ

م

٢١ ـ صلَّى الضُّحى ، لما استفاد عداوَتي	وأراه يَنْسُكُ بعدها ويصوم

٢٧ ـ ألم يُسْلكَ عن نَعْم	ولا عن جارتي نُعْمِ

٣٦ ـ ليتَ هذا الصيام دام لنا	عاماً وعاماً بل ليتَه ألفَ عامِ

٦٥ ـ تَنَصَّل بعد ما ظَلَمَا	فعادَ لوصْلِ ما صَرَمَا

٨١ ـ ألم ترَ أنَّ خيرَ الناس أودى	فيا للنَّاس للحَدَث العَظيم

٨٣ ـ اسلَمَ المدْنَ والحصونَ ووليَّ	يَحسَبُ الموتَ تحتَ كلَّ قيام

٨٤ ـ ما كانَ أغناكَ عن همّ خلوتَ به	فينا يُخاطبُ قلباً كُلُّه دامِ

٩٠ ـ البرُّبي منكَ ، وَطَّا العذرَ عندكَ لي	فيما أتاك فلم تَعذِكْ ولم تَلُم

١٠٩ ـحُبُّ وهجرٌ على جسمٍ به سَقَمٌ	العيشُ عن ذا سريعاً سوف ينصَرمُ

١٣٠ ـشاقَ الفؤادَ ـ وما نشتاق م أمَم ـ	أطلالُ مَنْزلةٍ أقْوَتْ ولم تَدُمِ

١٣١ ـوإني لألقَاهَا فينطِقُ طَرْفُها	لطرفي بما يخفي ، وإن لم تَكَلَّمِ

١٤٥ ـطَرْفُ تَرَقْرَق بالدَّمِ	بَعْدَ الدُّموع السُّجَّمِ

قينةٌ كانت تُغَنيِّ	مُسِخَتْ برذَونَ أدْهَمْ

١٥٢ ـعجِتُ بالساباط يوماً	فإذا القينةُ تُلْجَمْ

١٥٩ ـهو السَّبيلُ فمن يوم إلى يومٍ	كأنّه ما تُريكَ العين في النّوْم

ن

٣٨ ـ ألا مَن رأى الطِّفلَ المفارقَ ... أمه بُعيْدَ الكرى ، عَيْنَاهُ تنسكبان

٤٣ ـ اقول إذا غيَّبوك واصطَفَقَتْ ... عليك أيدٍ بـاللَّبْنِ والطِّين

٥٣ ـ من يلْقه ممن ترى فلقاؤه ... إيّاه ، بـالتعظيم والسلطانِ

٥٦ ـ أبلغْ دَعِيَّ إيادٍ إن مررتَ به ... قولَ امرىءٍ ناصحٍ للهِ والدِّين

٦٧ ـ من غيّر الرَّبعَ والمغاني ... إلا صروفٌ من الزَّمان

٦٩ ـ يا «با يخسست» ألست الأَمَ مَنْ بَرى ... ذو العَرش من إنسٍ ومن جان

٧٩ ـ حلفَةٌ ما حلفت ، لا تعبرُ ... اللئام مبرورةً من الأيمان

٨٢ ـ قُلْ للإمام المرتضى إنّه ... ملاذ ذي الدنيا وذي الدِّين

٩٤ ـ أسَلُ الذي صَرَفَ الهوى ... منّي إليك ، ومنك عنِّي

١٠٣ ـ مجلس صَبَّين مُحبَّين ... ليسا من الحبِّ بخلوين

١٠٧ ـ ذهب الحز ، واستمال بي اللَّهـ ... ـو وأخنى علي رَيْبُ الزَّمانِ

١٠٨ ـ شجاني صائحٌ يرعو ببينِ ... وأَرّقني بُكاءُ الباكيين

١١٠ ـ ياداني الدار في الأماني ... ونازعَ الدار في العِيان

١١٦ ـ أصبرِ النَّفْسَ على مرِّ الحِزَنْ ... وإذا عَزَّك مَن تَهْوى فَهُنْ

١١٧ ـ أباحَ الدَّمع سِراً لم أَبُحْهُ ... فدمعي أفتي لا تئلميني

١٣٣ ـ لم يَعُدْ ذكراك ، لكن لم يبنْ ... إنّما يحدث شيء لم يكنْ

١٤٠ ـ نَمْ ، لا حُرمتَ لذيذَ النَّوم ياسَكَني ... وخلِّ عنِّي ، وا ألقى من الوَسنِ

١٤١ ـ هَبْ ما أكالتُم قد عَلَنْ ... وبدا فَشَاعَ كما اسْتَكَنْ

١٤٣ ـ بات للهمِّ رقيبٌ ... يمنعُ الغمضَ الجُفونا

بات يستدعي لي الهمْـ ... ـمَ ، ويستوفي الأنينا

١٤٩ ـ الويلُ إنْ كان الفراقُ دنا ... وصليتُ منه بحرِّ ما كمنا

٣ - ما للغواني مَنْ رأينَ برأسِهِ يَقَقَاً مللْنَ وصالَـهُ وشَنَينَهُ
١١ - الآن قام على بغداد ناعيها فليبكِها لخراب الدَّهر باكيها
١٥ - ظـالـمٌ مـا عَلمتُـه مُعْتَـدٍ لا عَدِمتُـه
١٨ - مـا بـالـه وابنـه لـم يُـزَّوجـا عَـرَبيـهْ
٢٩ - قـل لـعيسى أنـفِ أنفِـهْ أنفُـهُ ضـعـفٌ لضـعفِـه
٣٠ - قـولا لأنـفٍ وقُـزْعَـهْ أخطـاكمـا وزن سَبـعـه
٤٠ - إنَّ الخلافةَ أصبحتْ سَرَّاؤُهَا مجلوبةٌ ، وشرورُهـا مصروفهْ
٥٠ - أنَّكَ مني بحيث يطّرد النا ظَرُ من تحت ماءِ دمعتيـه
٥٤ - سقياً لِنَضْرِ الوجـه بسّامـه مهـذّب الـوالـد قمقـامـه
٦٢ - فَـدَيْتُكَ إنَّ انبسـاطي إليـ ـك عَلْمي بِأخلاقك الطاهرهْ
٦١ - يـاذا الـذي لا أهجـره وعـلى القبـلَ لا أعـذره
٧٤ - يـا يُمْـنَ يَومـي وغَـدِهْ ويُمْـنَ مـا بَعْـدَ غَـدِهْ
٧٧ - نَـزَلَتْ بـالخـائنـين سَنَـةٌ سَنَـةٌ للنـاس مُمتَحِنَـهْ
٧٨ - إن يكنْ حَبلُك من حَبلي وَهى فإلى شوقي يكـون المنتهى
١١٣ - أخْني عـليَّ الـدهـرُ كَلْكَلَـهُ وعـدا [على] عيشى فَبَـدَّلَـهُ
١١٤ - أبكى الفتى بعد الخيط مرْبَعُه وكاد وجْدُ القلب منه يَصْرَعُه
١٢٦ - ما أعجبَ الحبَّ في مذاهِبه ما يَنقَضي القولُ في عجائِبه
١٣٤ - ألَا مَنْ عَذيرُ النَّفس مَّمنْ يلومُها على حُبِّها جهلاً ، ألا مَنْ عَذيرهُا
١٣٩ - مـن العيـن طَرْفـهُ ومـن الظبـى ظَرْفَـهُ
١٥٠ - رأيتك سمح البيع والعِلْق إنّما يُغالى به إن ضَنَّ بالعِلْق بايعه
١٥٣ - وللنفوس ، وإنْ كانت على وَجَلٍ من المنيَّـةِ آمـالٌ تُقَـوِّيهـا
١٥٤ - وعـايـب عـابنـي بشيـب لـم يُفْـدَ لَّمـا ألَـمَّ وقتـه

ي

٥٢ ـ عَدِّيـــا عــن ملاميـــا وأقــــلّا عِتابيـــا

١٥٧ ـ نبأ أتى من أعظم الأنبياء لمــا ألمّ تقلقلتْ أحشــائي



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

